جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة

الآيات والأحاديث
الواردة في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بإشراف الدكتور
محمد أحمد يوسف القاسم
تقديم الطالب
سالم أحمد سلامة

١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، ومن تبعهم بإحسان واقتفى . وبعد ... "

ان الصورة التي يراها القارئ لهذا البحث من خلال الآيات والأحاديث الواردة في أي شأن من شؤون أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، هي صورة نموذج من أخصب نماذج الاسلام الحية ، المليئة بخصائص الإنسانية القوية ، في ميادين القيادة والتفكير والحزم ، في ميادين السلم والحرب .

والصديق رضي الله عنه يمثل جانبا من جوانب الحياة الاسلامية في صدرها الأول ، تجلت فيه آثار التربية الاسلامية ، فكان في سيرته عنوانا على واقعيتها كاملة لما نزلت من السماء .

وهذا النموذج في تاريخ الاسلام حجة واقعة على من يزعم أن الاسلام دين مثالي الاهداف والمقاصد ، بعيد عن الواقعية . وهؤلاء يقيسون الاسلام بحاضر المسلمين المقيت ، ويحاكمونه الى أحوالهم ، ويقدرونه بأقدارهم البخيسة ، ويزنونه بأوزانهم الخاسرة ، وهذا خطأ فاحش ، والا فأين شهادة التاريخ الواقعي ، يوم أن كان الاسلام مدرسة لتخريج اساتذة الدنيا وساستها ، ويوم أن كانت تعاليمه ممثلة في أشخاص حاملي ألويته ورافعي راياته الخفاقة في العالمين .

وكما ينبغي للمرء المسلم أن يعرف نفسه وما مرجه من يسر وعسر ، ينبغي للجيل كذلك أن يعرف ماضي أمته وماصدر عنها من خير وشر ، وماقامت به للحق والفضيلة من نصرة أو تقصير ، لأن الجهل امتداد لامته وهو منها ، وقبيح به أن يجهلها ، كما أنه قبيح بالمسلم أن يجهل نفسه .

وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق على رأسهم رضي الله عنهم أجمعين خير من يكتب عنهم ، فهم المثل العليا للحاكمين ، حتى يهتدوا بهديهم ويسلكوا طريقهم ،

فذلك وحده " سيؤدى بهم إلى نفس المكانة التى وصل إليها أسلافنا من العزة والمجد والسؤدد ، وهم المثل العليا للمحكومين ، حتى يعرفوا كيف يكون الحاكم الصالح الذى يعمل لخدمة أمته ورفعة شأنها بين الأمم . وهم الذين خافوا الله فخافهم كل شئ .

وأنا إذ اكتب عن سيد الصحابة وأفضلهم ، فلن أتعرض له من الناحية التاريخيه أو السيرة ، بل سأتناول الموضوع من ناحية حديثية ، أعنى سأكتب فى الأيات التى وردت فى شأن الصديق ، وسأعرض أسباب نزولها على علوم الحديث فما صلح للاحتجاج قبلته والا رددته . كما سأتناول كل ماورد فى شأنه رضى الله عنه من أحاديث وأخرجها وأحكم عليها ، فما صلح للاحتجاج أثبته والا نحيته .

وحسب الذين لم يعنوا بدراسة الحديث وعلومه أن يشعروا عند قراءة هذا البحث بدفء الصدق ، وبرد اليقين ، حيث استبعدت كل ماضعف مما ورد فى أى شأن من شؤون صديق هذه الامة رضوان الله عليه ، ولم أسطر الا مابلغ درجة القبول ، وأما ماذكر من تاريخ وسير فهو قليل جدا ولتمام الفائدة فقط .

سبب اختيارى لهذا البحث :

لما كان مطلوبا من كل طالب ينهى السنة المنهجية - فى مرحلة التخصص الاولى - أن يتقدم بموضوع رسالة للحصول على الدرجة المطلوبة ، كان لزاما على - وأنا أحد الطلبة - أن أتقدم بموضوع لأكتب فيه ، فذهبت الى مركز البحث العلمى لأبحث عن تراثنا العتيد ، وبعد التنقيب وجدت مخطوطة لشيخ إمامنا الشافعى وكيع بن الجراح رحمهما الله تعالى وهى كتاب الزهد ، وفرحت عندما عثرت عليها ، خصوصا وقد أثنى عليها أساتذتنا المحققون فى هذه الجامعة ، وقد صورت منها نماذج للعرض على مجالس الفرع والقسم حيث قد أجيزت ، لكن لتقدم فرحتى اذ أخبرنى أحد الاخوة من الهند بأن كتابا لوكيع بن الجراح قد حقق وخرجت احاديثه وسيناقش فى الجامعة الاسلامية عن قريب ، فأوجست كلماته فى نفس خيفة أن يكون ذلك هو الكتاب ، وكان ماتخوفته ، فضاعت على مدة بحثى عن ذلك المخطوط .

ثم عزمت على أن أكتب في موضوع قريب من التحقيق والتخريج فوقع اختياري على ما ورد في شأن الصديق من آيات وأحاديث فاستخرت الله وعزمت على الكتابة فيه وعرضته على سعادة الأستاذ الدكتور / محمد أحمد القاسم المشرف على هذه الرسالة فوجدت منه كل تجاوب ووافقني على ذلك ، إلا أنه اجرى بعض التعديلات في عنوان البحث وخطته .

وكان الدافع لاختياري لهذا الموضوع دون غيره مايلي :

أولا : ان حياة الخلفاء الراشدين وعلى رأسهم الصديق وجوه مشرقه بارزة للشريعة الاسلامية إذ كانوا في أقوالهم وأفعالهم ترجمانا صادقا لرسالة الاسلام في الحياة ، وتفسيرا عمليا لمنهجه في إقامة المجتمع المسلم على أحسن وجه وأتم صوره يمكن أن تقع في الحياة البشرية ، كيف لا وهم نتاج تربية رسول الاسلام ـ القرآن الذي يمشي على الارض ـ .

ثانيا : لما كان ماقام به الصديق والخلفاء الراشدون من بعده معتبرا في الأحكام الشرعية ـ مما لم يأت به نص من كتاب أو سنه ـ لان نظرهم وآراءهم في المسائل خير لنا من نظرنا وآرائنا لأنهم شاهدوا الوحي وعاصروه وكان ينزل بين ظهرانيهم . فيعرفون من احوال القرآن والسنة مالا يعرفها من جاء بعدهم . وقال ابن تيمية رحمه الله : " وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين ، كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرفها أكثر المتأخرين ، فإنهم شهدوا الرسول والتنزيل ، وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله ، وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على مرادهم ". (١)

ثالثا : ولأن أهل الحل والعقد من الصحابة الأبرار لم يقدموا على الصديق رضي الله عنه أحدا في كل شيء ، وكانوا يقفون عندما وقف عنده الصديق حتى قال قائلهم : هذا شيء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ،

---

(١) الاتجاهات الفكرية : الاستاذ زغلول نقلا عن معارج الوصول ص ٣٤ .

فيرد عليه فاروق الأمة : هما المرآن أقتدى بهما .

قال ابن المسيب رحمه الله : " كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم مكان الوزير ، فكان يشاوره فى جميع أموره ، وكان ثانيه فى الاسلام ، وكان ثانيه فى الغار ، وكان ثانيه فى العريش يوم بدر ، وكان ثانيه فى القبر ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم عليه أحدا " . (١)

رابعا : ولأنى نظرت وسألت فلم أجد كتابا كتب فى سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد خلفائه الراشدين من حيث ماورد من آيات قرآنيه ، وأحاديث نبوية صالحة للاحتجاج ، ومخرجة تخريجا " علميا " ، إلا ما وصل الى سامعى من أن الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى وفقه الله عاكف على اخراج كتاب فى صحيح السيرة النبوية .

خامسا : ولما كانت الأوضاع التى نعيشها أيامنا هذه شبيهة إلى حد ما بالوضع الذى نجم عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث تجمع غثاء وزبد الأمم الكافرة والمرتدة ومن منعوا حقا من حقوق الله ، تجمعوا ووقفوا صفا يريدون اجتثاث شأفة الإسلام ، مثلما تكالبت علينا الأمم اليوم ، كافرها ومرتدها ومن منع أعظم حق من حقوق الله - وهو تحكيم شريعته - كلهم وقفوا أيضا فى وجه التيار الإسلامى الذى يريد أن يرجع الأمه إلى دينها الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وقاتل عليه الصديق أهل الجزيرة المرتده .

سادسا : ولما كانت الدولة الاسلامية التى امتدت امتدادا واسعا فيما بعد أثرا لتعاليم ديننا الحنيف الذى أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) المستدرك للامام الحاكم النيسابورى ٣/ ٦٣

فأفرانسى ما أعتقده من أن معرفة الماضى - ماضى الأمة الاسلامية - هى وحدها التى تطلع لنا تصوير المستقبل . فالماضى والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل إلى انفصامها ، ومعرفة الماضى هى الوسيلة لتشخيص الحاضر الذى نحياه ، كما أن معرفة الطبيب ماضى مريضه خير وسائل التشخيص والعلاج .

خطة البحث

قمت بجمع كل ما ورد فى أى شأن من شؤون الصديق من آيات وأحاديث ، فنظرت الى ما قمت بجمعه وتخريجه ، فاذا به يكفى لعمل ثلاث رسائل . فاستخرجت الأحاديث الضعيفة ، وأبقيت الأحاديث الصالحة للاحتجاج ، فاذا بها كمية جيدة تكفى لعمل رسالة ، فاستشرت سعادة الدكتور محمد أحمد القاسم المشرف على هذه الرسالة ، فوافق على الاقتصار على ما صلح للاحتجاج من الأحاديث ، فخرجت الرسالة بشكلها الذى هى عليه أمامكم .

وقد قسمت هذه الرسالة الى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وهى نتيجة البحث .

أما المقدمة فقد احتوت على سبب اختيارى لهذا الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهجى فيه .

وأما التمهيد فقد احتوى على نبذة صغيرة عن قبيلة "تيم" - قبيلة أبى بكر الصديق رضى الله عنه - وذكر نسب الصديق ، وولادته ، واسمه ولقبه ، وكنيته ، وسبب تسميته بالصديق رضى الله عنه ، وصفته ، وأولاده ، ونبذة عن حياته قبل الاسلام ، ومعرفته وصحبته بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وأما الباب الأول فهو من اسلام الصديق رضى الله عنه الى الهجرة النبوية الى المدينة . وفيه سبعة فصول :

الفصل الاول : وتحدثت فيه عن اسلام الصديق رضى الله عنه وذكرت فيه :

أولا : الأحاديث التى وردت وتفيد أن الصديق من أول الناس اسلاما .

ثانيا : الأحاديث التى وردت وتفيد أن الصديق أول الرجال الأحرار اسلاما .

الفصل الثانى : وتناولت فيه الآيات التى نزلت فى شأنه ، والأحاديث التى تشير الى أبى بكر الداعى الى الاسلام .

الفصل الثالث : وتناولت فيه الأحاديث التى تشير الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظ لأبى بكر حسن صنيعه .

الفصل الرابع : وذكرت فيه الأحاديث التى تشير الى دفاع الصديق عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتحمله الأذى فى سبيل الدعوة .

الفصل الخامس: وتحدثت فيه عن هجرة أبى بكر رضى الله عنه الى الحبشة .

الفصل السادس : وذكرت فيه الأحاديث التى وردت فى هجرة الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة . وتحدثت فيه عن :

أ ـ اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق رضى الله عنه بالاذن بالهجرة ، وأعدّا خطة الهجرة سويا .

ب ـ الأحاديث التى وردت فى طريقهما الى الغار .

جـ ـ الأحاديث التى وردت أثناء مكثهما الأيام الثلاثة فى الغار .

د ـ الأحاديث التى وردت فى باقى الهجرة حتى وصولهما المدينة المنورة .

هـ ـ ما ورد فى آثار الهجرة على آل أبى بكر .

الفصل السابع : وتحدثت فيه عن :

أ ـ قوله تعالى : " الا تنصروه فقد نصره الله ... الآية " والنتائج

ب ـ انتقادات الشيعة وطعنهم فى الصديق من خلال حادثة الهجرة ، والرد عليهم .

وأما الباب الثانى : فهو من الوصول الى المدينة الى انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، ويحتوى على ستة فصول :

الفصل الاول : وتحدثت فيه عن وصول الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة وبناء المسجد .

الفصل الثانى : وتحدثت فيه عن بناء الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة بنت الصديق رضى الله عنهما ، وما ورد فى ذلك من أحاديث .

الفصل الثالث : وتحدثت فيه عن ما أصاب الصديق وبعض الصحابة رضى الله عنهم من حمى المدينة .

الفصل الرابع : وتحدثت فيه عن المؤاخاة فى المدينة المنورة بين أبى بكر وخارجة بن زيد رضى الله عنهما ، مع تحقيق عن مؤاخاة المهاجرين مع بعضهم البعض .

الفصل الخامس : وتحدثت فيه عن جهاده وغزواته وسراياه من خلال الآيات والأحاديث الواردة فى شأنه واحتوى على ست عشرة مبحثا من مواقفه رضى الله عنه .

١ ـ الأحاديث الواردة فى شأن الصديق فى غزوة بدر الكبرى وتحدثت فيها عن أ ـ استشارة الصديق رضى الله عنه .

ب ـ مقر القيادة (العريش) فى المعركة وموقف الصديق فيه .

٢ ـ الأحاديث التى وردت فى طلب الصديق المزواج من بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ الأحاديث التى وردت فى غزوة أحد وموقف الصديق فيها .

٤ ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة حمراء الأسد وموقف الصديق فيها ٠
٥ ــ الأحاديث الواردة فى غزوة الأحزاب وموقف الصديق فيها ٠
٦ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة بنى المصطلق وفيها حديث الافك ٠
٧ ــ الأحاديث التى وردت فى صلح الحديبية وموقف الصديق فيها ٠
٨ ــ الأحاديث التى وردت فى سرية أبى بكر الى بنى فزارة ٠
٩ ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة خيبر وموقف الصديق فيها ٠
١٠ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة ذات السلاسل ، وموقف الصديق فيها ، والرد على مزاعم الشيعة وطعنهم فى الصديق رضى الله عنه ٠
١١ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة فتح مكة ، وموقف الصديق فيها ، وفيها اسلام أبى قحافة رضى الله عنه ٠
١٢ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة حنين وموقف الصديق فيها ٠
١٣ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة الطائف ، وموقف الصديق فيها ٠
١٤ــ الأحاديث التى وردت فى غزوة تبوك ، وموقف الصديق فيها ٠
١٥ــ الأحاديث التى وردت فى حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس ، والرد على مزاعم الشيعة ٠
١٦ــ الأحاديث التى وردت فى قدوم الوفود ، وموقف الصديق فيها

الفصل السادس : وتحدثت فيه عن بداية مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستخلاف أبى بكر للصلاة بالناس ، وذكرت فيه :

أ ــ الأحاديث التى وردت فى التنويه بفضل أبى بكر ، وهمّه صلى الله عليه وسلم أن يكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف المسلمون عليه ٠
ب ــ الأحاديث التى وردت فى صلاة أبى بكر رضى الله عنه بالناس بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠
جـ ــ الأحاديث التى وردت فى صلاة الصديق رضى الله عنه بالصحابة صلاة فجر يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

الباب الثالث : وهو من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلاف أبى بكر رضى الله عنه الى انتقاله الى الرفيق الأعلى ، وفيه تسعة فصول :

الفصل الأول : وتحدثت فيه عن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموقف الصديق المشهور ٠
ب ــ قصة السقيفة واستخلاف الصديق رضى الله عنه ٠
جـ ــ سبب قبول الصديق رضى الله عنه الامامة ٠
د ــ ثانى يوم السقيفة ، والبيعة العامة ، وأثبت فيها بيعة على والزبير رضى الله عنهما ٠

الفصل الثانى وهو فى خلافة الصديق رضى الله عنه والدليل عليها وتحدثت فيه عن :

أ ـ أدلة من قال باستخلاف الصديق بنص جلي أو خفي .

ب ـ أدلة من قال أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا بالنص . وأثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على خلافة أحد نصا ، وأنما أشار اشارات واضحات الى أن أحق من يلي هذا الأمر من بعده الصديق رضي الله عنه .

الفصل الثالث: وتحدثت فيه عن الشيعة وموقفهم من الصديق رضي الله عنه في الخلافة والردّ عليهم .

الفصل الرابع : وتحدثت فيه عن الشيعة والامامة ، وذكرت أقوال السلف في الشيعة وتبين أنهم أكذب الناس ، ولا يوثق بأقوالهم ولا أحاديثهم . ثم تحدثت عن استدلالات الشيعة بالوصية للامام علي رضي الله عنه ، والرد على شبههم والتي قسمتها الى ثلاثة أقسام :

أ ـ الأحاديث الصحيحة وأتيت بها من كتب السنة ، ورددت على شبههم التي تمسكوا بها ، وبينت أن لا دليل على تمسكهم فيها .

ب ـ الأحاديث التي يشك فيها بعض أهل السنة وبينت وجه الحق فيها كما بينت أن لا دليل للشيعة أيضا فيها .

جـ ـ الأحاديث الموضوعة والتي لا يحتج بها ، وأتيت بنماذج ما أخرجه بعض أهل السنة في كتبهم ، واحتج بها بعض الروافض . وأضربت صفحا عن ذكر أحاديثهم الموضوعة ، حتى لا تطول الرسالة .

الفصل الخامس : وتحدثت فيه عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على علم الصديق .

الفصل السادس : وتحدثت فيه عن أعمال الصديق رضي الله عنه في خلافته ، وفيه :

أولا : انفاذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفاذ جيش أسامة رضي الله عنه ، وبينت فيه اصرار الصديق رضي الله عنه على انفاذ الجيش ، وما دار من حوار في ذلك ، وبينت فيه كذلك كيف عالج الصديق ما خالج صدور بعض الصحابة في تأمير أسامة عليهم .

ثانيا : موقف الصديق رضي الله عنه في حرب الردة ، وتحدثت فيه عن تصميم الصديق على مقاتلة من منع الزكاة ، وما دار بينهم من حوار حتى اقتنعهم رضوان الله عليهم أجمعين .

ثالثا : تحدثت عن الأحاديث التي وردت في منع فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ارث رسول الله بنص منه صلى الله عليه وسلم . واقناع فاطمة بذلك ، واسترضاء الصديق رضي الله عنه لها قبل ممتها .

رابعا : جمع الصديق رضي الله عنه للقرآن ، وتحدثت فيه عن سبب الجمع في عهد الصديق رضي الله عنه ، كما تحدثت عن طعن الشيعة في

جمع الصديق للقرآن .

الفصل السابع : وهو فى تفضيل الصحابة على غيرهم ممن جاء بعدهم ، وتفضيل الصديق رضى الله عنهم .

وتحدثت فيه عن تفضيل الصحابة السابقين على غيرهم ، وبينت أن العلماء انقسموا فى التفضيل بين الصحابة الى فريقين :

الفريق الأول : يقول بعدم الخوض فى المفاضلة بينهم وتفويض ذلك العلم الى الله .

والفريق الثانى : يذهب الى عدم التوقف ويرى جواز التفضيل ، وبيان من هو الأفضل على الاطلاق . وبينت أن هذا الفريق انقسم أصحابه الى سبعة مذاهب .

المذهب الأول يذهب الى تفضيل أبى بكر رضى الله عنه . والثانى يذهب الى تفضيل على بن أبى طالب رضى الله عنه . والثالث يذهب الى تفضيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والرابع يذهب الى تفضيل جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، والخامس يذهب الى تفضيل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، والسادس يذهب الى تفضيل أبا سلمة رضى الله عنه ، والسابع يذهب الى تفضيل عبد الله بن مسعود . وبينت أقوال القائلين من كل مذهب من المذهب الستة الأخيرة ، ورددت عليها ثم تحدثت عن تفضيل أبى بكر رضى الله عنه . وقد بينت أقوال العلماء من سلف الأمة فى ذلك وأتيت بما استند عليه العلماء من آيات وأحاديث :

فذكرت ما صح من أسباب نزول بعض الآيات الواردة فى شأن الصديق وتفسير بعضها . وذكرت الأحاديث الى تشير الى تفضيل الصديق على غيره من الصحابة . كما ذكرت مدح الصحابة وثناء آل البيت والعلماء رضى الله عنهم على الصديق رضى الله عنه .

الفصل الثامن : وذكرت فيه الأحاديث التى وردت فى الصديق زمن خلافته .

الفصل التاسع : وذكرت فيه الأحاديث التى وردت فى مرض الصديق رضى الله عنه ووفاته وحققت القول فى سبب الوفاة .

منهج البحث

لما كانت دراستي للصديق رضي الله عنه من خلال الآيات والاحاديث الواردة في شأنه لذا كان منهجي في البحث كما يأتي :-

١ ـ سرت في بحثي على نهج السيرة النبوية حيث بدأت باسلام الصديق الى وفاته رضي الله عنه وقد آثرت هذه الطريقة الموضوعية مع أني سرت عليها في بعض الأحيان حتى يسهل للقارئ الرجوع الى أي حدث كان للصديق رضي الله عنه فيه مشاركة .

٢ ـ عنيت بذكر الأيات القرأنية المتعلقة بحوادث سيرته رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذكر أقوال العلماء فيها ، والرد على من طعن في نزولها في الصديق رضي الله عنه ، وتحقيق القول في ذلك على ضوء ما ورد من أحاديث شريفة

٣ ـ عنيت بذكر الأحاديث النبوية الواردة في شأنه رضي الله عنه ، ولم أذكر الا ما صلح منها للاحتجاج . فما كان منها في الصحيحين اكتفيت بذكر الصحابي وسقت الحديث وأما ما كان في غيرهما فسقت الحديث بسنده .

٤ ـ ترجمت لرجال الأسانيد وغيرهم في الرسالة من كتب التراجم المعتمدة ، وتركت المشهورين منهم .

٥ ـ خرجت الأحاديث وحكمت على ما ليس في الصحيحين منها .

٦ ـ في تخريجي للحديث ذكرت المرجع الذي استقيت منه واسم الكتاب والباب أولا ثم ذكرت تخريجه من الكتب الأخرى بدون ذكر الابواب.

٧ـ شرحت ما غمض من الأحاديث الشريفة من كتب غريب الحديث واللغة .

٨ ـ حرصت على كتابة النقول بنصها ونوهت الى بعض الاختلاف .

٩ ـ ذكرت بعض الروايات والأحداث من كتب السير والتاريخ بعد التمحيص والتدقيق حيث لم أجد فيها ما يصادم عقلا أو يخالف نقلا ، وتركت ما خالف الاحاديث الصحيحة وذكرتها لتمام الفائدة .

١٠ـ حاولت جهدي أن أرفع التعارض الذي يظهر بادئ الرأي في المرويات المتعددة اما بالجمع والتوفيق بينها واما بالترجيح .

١١ـ أذكر الحديث أو الأثر ثم استنبط منه ما يتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة مع الرد على الروافض فيما زعموه من الطعن والتأويل في بعض الأحاديث .

١٢ ـ اكتفيت أحيانا بذكر بعض الآثار التي ذكرها بعض العلماء المحققين وأشار الى صحتها .

١٣ـ اكثرت من الاستشهاد على ما أريد بيانه لابين سلامة ما ذهبت اليه

١٤ ـ ذكرت ما وافق أقوال الشيعة من كتب أهل السنة ثم ذكرت رواية الروافض مع بيان تحريفها ، وردت على مزاعمهم فيما ساقوا الرواية لأجله ،

تمهيـــــــــــد

قبيلة بنى تيـــم :

والحديث عن البيئة العامة التى نهد " الصديق " بين أحضانها يقتضى استعراض أحوال الامة العربية ، وأخلاقها وعاداتها فى سلمها وحربها ، وأحوال منازلها من جزيرتها التى عاشت فيها أحداثا متطاولة ، والتى ألقت على أبنائها ظلا من طبيعتها الغامضة فى جوها ومناظرها ، وخصبها وجدبها ، ويسرها وعسرها ، وهذا أمـــر أشبعته بحثا كتب السيرة والتاريخ العامة ، ومباحث الأدب المستحدثة ، فهو علـى طرف الثمام (١) من كل مثقف أراد علم شئ منـه .

وليس فيما انحدر إلينا من الروايات عن حياة الصديق الأولى - نشأته ودور طفولته حتى صباه - مايساعد على تعرف شخصيته فى هذا الطور من حياته . فما يروى عـــن طفولته وعن صباه لا غناء فيه ، وما يروى عن أبيه وعن أمه ، لا يعدو ذكر اسميهما ونسبهما ، وذكر ماكان منهما بعد أن أصبح رجلا من كبار المسلمين له فى حياتهما أثر ولا أثـر لهما فى حياته ، وهذا ماسيظهر بعضه فى ثنايا البحث .

يروى الباحثون أن معرفة نسبة رجل إلى قبيلة من القبائل يمكنهم من تفسير بعض طباع هذا الرجل وأخلاقه ، لان الوراثة لها يد فى صنع بعض الصفات والمزايا الـتى تنتقـل الرجل من أجداده .

" فبنـو " تيم " قوم اشتهر رجالهم بالدماثة والأدب ، واشتهر نساؤهم بالـدل والحظوة ، وقيل إن بنات " تيم " أجمل النساء وأحظاهـن .

وربما يرجع ذلك الى طول عهد القبيلة بحياة المدينة وأشغالها ، وأن اشتغالها بالتجارة كان يقوم على المودة وحسن المعاملة " (٢)

---

(١) الثمام - بضم الثاء المثلثة : نبت معروف فى البادية . قال ابن منظور فـــى اللسان : والعرب تقول للشئ لا يحسن تناوله هو على طرف الثمام ، وذلـــك أن الثمام نبت لا يطول فيشق تناوله

(٢) عبقرية الصديق للعقاد ص ١١ بتصرف .

وقد رويت في الإشادة بذكر تيم ومكانتها من قبائل العرب روايات تقصها كتب المتأخرين ، ذكروا أن المنذر بن ماء السماء ، طلب امرأ القيس بن حجر الكندي ، فأجاره المعلى التيمي ، فقال امرؤ القيس في ذلك :

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بتو تيم مصابيح الظلام (١)

هذا بالنسبة لقبيلة " بني تيم " . أما بالنسبة لأسرة الصديق رضي الله عنه فقول : مهما يكن من أثر المعاملة الودية وآداب الاسرة والمدنية في بني تيم ، فهذه الآداب واضحة في أسرة الصديق رضي الله عنه أجمل وضوح ، لم تذكر لنا قط أسرة كانت في عصره على مودة أجمل من المودة التي اتصلت بينه وبين أبيه وأمه وأبنائه ، مدى الحياة . " (٢)

كما تحلت أسرة الصديق بفرط الذكاء ، وحلم العقلاء ، وفصاحة البلغاء ، وقد ورث الصديق رضي الله عنه هذه الصفات . قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : أفصح خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب . " (٣)

نسبه :

هو عبد الله " عتيق " بن ابي قحافة (٤) " وهو عثمان " (٥) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وأمه أم الخير سلمى ابنة صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهي ابنة عم أبيه (٦) .

---

(١) ابو بكر الصديق / محمد حسين هيكل ص ٣٢
(٢) عبقريه الصديق للعقاد ص ١١- ١٢
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٣
(٤) القحافة : كل شيء قحفته من الإناء أو غيره فأخذته بأجمعه . الاشتقاق لابن زريد ص ٥٠ بتصرف يسير .
(٥) وعثمان على وزن فعلان من العثم وهو أن ينكسر العظم ثم يجبر فلا يستوى . قاله ابن زريد في الاشتقاق ص ٥٠ بتصرف يسير .
(٦) هي ابنة عم عامر ابي عثمان . قال المحب الطبري في الرياض النضره ١/ ٦١ =

ويلتقى نسبه بنسب النبى صلى الله عليه وسلم عند مرة بن كعب ، وبين كل واحد منهما وبين مرة ستة آباء . (١)

ولادتـــــه :

لم أجد بين كتب التاريخ التى اطلعت عليها نصا يبين تاريخ ولادة الصديـــق باليوم والشهر والسنة ، لكن قيل انه ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر (٢) فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ونصف ، أى أن ميلاده فى النصـــف الاول من شهر رمضان سنة ثلاث قبل ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم . كمـا ورد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : " تذاكر رسول الله صلى الله عليه وسلـم وأبى بكر ميلاد هما عندى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من أبى بكر . (٣)

اسمـــــه :

جمهور أهل النسب على أن اسمه عبدالله ، وسماه به النبى صلى الله عليه وسلم لما أسلم ، وكان اسمه من قبل عبدالكعبـه (٤)

قال الحافظ ابن حجر : " هكذا جزم البخارى بأن اسم أبى بكر عبدالله وهـــو المشهور ، ويقال : كان اسمه قبل الاسلام عبدالكعبه ، وكان يسمى ايضا " عتيقا " (٥) وممن جزم بذلك أيضا الترمذى فى سننه (٦) وابن هشام فى سيرته (٧) وابن بـــطه العكبرى فى الشرح والإبانـة (٨) والعجلى فى الثقات (٩)

---

(١) الرياض النضرة ١/٦١ ، أسد الغابة ٣/٣٠٩ ، الاصابة ٢/٣٣٣

(٢) الإصابة ٢/٣٣٣

(٣) جمع الزوائد قال : رواه الطبرانى واسناده حسن ٩/٦٠ وابن حجر فى الإصابة ٣/٣٣٣ مختصرا .

(٤) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى ١/٦٥ ، المستخرج من الاحاديث المختاره مما لم يخرجه البخارى ومسلم / الضياء المقدس (١/ل٢) ، خصائـص العشرة الكرام البرره / للزمخشرى ص ٢٩ ، مجمع الزوائد ٩/٤٠ .

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى / لابن حجر العسقلانى ٧/٩

(٦) سنن الترمذى تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ٥/٢٦٧ ، تحفة الاحوذى ١٠/١٣٧

(٧) سيره ابن هشام ١/٢٤٩

(٨) الشرح والابانه لابن بطه العكبرى تحقيق رضا نعسان ص ١٥٦

(٩) ترتيب ثقات العجلى (ل ٦٣أ)

وقد ورد فى ذلك حديث لعبد الله بن الزبير [1] عن أبيه [2] رضى الله عنهما قال : كان اسم أبى بكر عبد الله بن عثمان ، قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنت عتيق الله من النار فسمى عتيقا " [3]

وقال الحافظ ابن عساكر : كادت الروايات تجمع على أن اسمه عبد الله ، ولقبه عتيق ، وأخرج عن عائشة رضى الله عنها ، أن اسم أبى بكر الذى سماه به أهله عبد الله ، ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وفى لفظ " ولكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه عتيقا " [4]

وقال بعض أهل اللغة : اسمه عبد الله . وإنما سمى عتيقا لجماله [5] ، وقال الثورى فى تهذيبه : وماذكرناه من ان اسم أبى بكر الصديق " عبد الله " هو الصحيح المشهور

---

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أبو بكر ، أول مولود فى الاسلام بالمدينة من المهاجرين ، ولى الخلافة تسع سنين قتل فى ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين التقريب ١/ ٤١٥

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، هاجر الهجرتين ، قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين . ابن سعد ٣/ ٧١ ، التهذيب ٣/ ٣١٨ ، التقريب ١/ ٢٥٩ .

(٣) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان / للهيثمى ص ٥٣٢ ، مجمع الزوائد ٩/ ٤٠ ونحوه فى مسند البزار والطبرانى بسند جيد قاله السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٢٩ والذى عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد للطبرانى وقال : ورجالهما ثقات .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩ عن ابن عساكر ، والمستدرك ٣/ ٦٢ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وضعفه ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٣٤٢ لضعف صالح بن موسى . قلت : لكنه يقوى بالحديث الذى قبله ، فيصبح حسنا لغيره .

(٥) الاشتقاق لابى بكر محمد بن الحسن بن دريد ط السنة المحمدية ص ٤٩

(٦) تهذيب الاسماء واللغات / للنووى ٢/ ١٨١

لقبـــــــــه :

وكثير من المحدثين على أن اسمه عتيق [1] يؤيدهم قول بعض الأنصار يوم السقيفة :

فقلتم حرام نصب سعد ونصبكم عتيق بن عثمان حلالٌ أبا بكر [2]

واختلفوا فيمن سماه بعتيق ، ومتى سمي به ، فقال قوم : سمي به في الاسلام . سماه به النبي صلى الله عليه وسلم . روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكـــر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "انت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا ". [3]

وقال قوم آخرون : بل سمـــته به أمه حين استوهبته فعاش ، فهو من المعتق ، "وذلك ان امه لم يكن يعيش لها ولد ، فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت : اللهم ان هذا عتيقك من النار فهبه لي . فعاش . فسمته عتيقا ". [4]

وقال آخرون : بل سماه به أبوه ، روى الدولابي عن عائشة أنه ولد لابي قحافـــة ثلاثة أولاد فسمى واحدا عتيقا ، وآخر معتقا ، وسمى ابا بكر عتيقا باسم أحدهما [5] ، وروى السيوطي في تاريخ الخلفاء ان عائشة قالت ان ابا قحافه كان له ثلاثة اولاد سماهم عتيقا ، ومعتقا ومعيتقا [6]

وقال المحب الطبري : لا تضاد بين هذه الاقوال كلها ، اذ يجوز أن يكون أحـــد الابوين لقبه بذلك لمعنى ، ثم تابعه الآخر عليه ، له أو لمعنى آخر ، ثم استمرت عملتـــه

---

(١) المحب الطبري : الرياض النضرة ١/ ٦٥ ، منهم عبد الرزاق صاحب المصنـــف انظر الاصابه ٢/ ٣٣٤

(٢) الاشتقاق لابن دريـــد ص ٤٩ .

(٣) اخرجه الترمذي في جامعه ٥/ ٦١٦ وقال : هذا حديث غريب ، تحفة الأحوذي ١٠/ ١٦٤ ، لكن للحديث شواهد بمعناه يرقى بها درجة الحسن لغيره ، ذكر بعضها الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٠ ، ٤١ وقال رجالهما ثقات .

(٤) الرياض النضرة ١/ ٦٥ ، ٦٦ ، تاريخ الخلفاء ص ٢٩ عن ابن حجر في الاصابـــة ٢/ ٣٣٤ وابن سعد ٣/ ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٢٣٤ ، الإصابة ٢/ ٣٣٤ وقال في الأخير "عُتيقا" بالتصغـــير .

(٦) تاريخ الخفاء ص ٢٨-٢٩ وعزاه الطبراني ، والزمخشري في الفائق ٢/ ١١٣ ، مجمع الزوائد ٩/ ٤١ .

قريش وأقرته عليه ثم أقره عليه بعد الاسلام . (١) وهذا يدل على ان المحب الطبرى يميل الى ان اسم الصديق عتيق .

وأما الذى استنتجه هو : ان اسم الصديق عبدالله وان عتيقا لقب له وليس اسما .

قال ابن كثير رحمه الله : اتفقوا على أن اسمه عبدالله بن عثمان ، إلا ما روى ابن سعد عن ابن سيرين ان اسمه عتيق ، والصحيح أنه لقبه . (٢)

قال النووى رحمه الله : وما ذكرناه - من أن اسم أبى بكر الصديق عبدالله هو الصحيح المشهور . وقيل : اسمه عتيق ، والصواب الذى عليه كافة العلماء أن عتيقا لقب له لا اسم . (٣)

ولقب عتيقا لعتقه من النار كما ورد فى الحديث الأسبق ، وقيل لعتاقة وجهه وجماله (٤) ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لقبه به لجمال وجهه (٥) ، وقيل : لانه لم يكن فى نسبه شيئ يعاب به (٦) ، وقال ابو نعيم : هو من العتق اى القدم ، فهو عتيق أى قديم فى الخير . (٧)

---

(١) الرياض النضرة ١/٦٦

(٢) الباعث الحثيث / لابن كثير ١٨٣ ، وذكره السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص٢٨ ، انظر ترتيب ثقات العجلى (ل ٦٣ أ)

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٨١

(٤) قاله الليث بن سعد ، وأحمد بن حنبل ، وابن معين ، انظر الاستيعاب ٢/ ٢٣٤ ، السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٢٨ ، وغيرهم كابن دريد فى الاشتقاق ص ٥٠ ، مجمع الزوائد عن الليث وقال : رواه الطبرانى ورواته ثقات ٩/٤١ ، وذكره اليعقوبى فى تاريخه ٢/١٠٦ ، والمحب الطبرى فى الرياض ١/٦٥ ، وابن الجوزى فى صفة الصفوة ١/٨٨ وابن حجر فى الإصابة ٢/٣٣٤ .

(٥) الرياض النضرة ١/٦٥ ، صفة الصفوة ١/٨٨ .

(٦) الاستيعاب لابن عبدالبر ٢/٢٢٤ ، الاصابة لابن حجر ٢/٣٣٤ ، المحب الطبرى ١/٦٥ .

(٧) الرياض النضرة ١/٦٦ ، الاصابة ٢/٣٣٤ ، السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٢٨ .

كنيتـــــــه :

كنيته أبو بكر : وهى من البكر : وهو الفتى من الابل ، والجمع بكاره وأبكـــــر ، وقد سمت العرب بكرا ، وهو أبو قبيله عظيمه (١) . وقال الزمخشرى : " ولعله كـــنى " بأبى بكر " لا بتكاره فى هذه الخصال وانه كان أولا فيها . (٢) وقيل لانه بكر بالاسلام قبل غيره (٣) .

وليس للصديق ابن يسمى بكرا ، ولكن كنى بأبى بكر لعله تفاؤلا بأن يكون له شأن عظيم ، وان يكون عظيما . والله أعلم .

الصديـــــــق

اشتهر أبو بكر رضى الله عنه منذ الجاهلية بلقب الصديق ، لما عرف منه مـــــن الصدق ، وذلك أنه كان رئيسا من رؤساء قريش ، وكانت إليه الأشنـاق (وهى الديات) فاذا تحمل شنقا أمضت قريش حمالته ، وقامت معه ، وإذا تحملها غيره خذلوه ولـــــم يصدقـــوه " (٤)

وقيل لمبادرته إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به (٥) . قال المحب الطبرى : ويشهد لراجحية هذا القول ، أن الصديق فى اللغة - فعيل - معناها المبالغة فى التصديق أى يصدق بكل شئ أول وهلة . ويؤيده حديث أبـــى الدرداء رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركوا لى صاحبى ؟ قلت : يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ، فقلتم كذبت ، وقال الصديق صدقت . " (٦)

---

(١) الاشتقاق لابن دريد ص ٤٩ - ٥٠ بتصرف

(٢) خصائص العشره الكرام البررة / الخوارزمى ص ٢٩ و ذكر خصالا كثيرة .

(٣) ابو بكر الصديق / محمد حسين هيكل ط ٤ ص ٣٣

(٤) المحب الطبرى فى الرياض النضرة ١ / ٦٦ ، والاستيعاب ٢ / ٢٤٦ .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩ عن ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢ / ٢٣٥ .

(٦) الحديث اخرجه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا فتح ٧ / ١٨

وهذا الحديث لا يفيد أنه سمي صديقا ، لكنه يفيد أن الصديق كان من أول الناس اسلاما ، حيث كذبته قريش بينما صدقه الصديق وآمن به .

وقيل سمي الصديق لتصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة الاسراء والمعراج وهذا السبب هو الذي أميل إليه لان كلمة الصديق معناها كما مر المبالغة في التصديق ، وهذا يعني أنه صدق بشئ لم يصدق به كثير من الناس ، بل استبعده الكثير منهم أن يقع مثله في نفس الظرف ، وهذا ما وقع في حادثة الاسراء والمعراج ، حيث ارتد كثير من الناس الذين سبق لهم أن آمنوا ، لمجرد أنهم لم تصدق قلوبهم ولم يستسغ عقولهم هذا الحادث العظيم بينما وقف الصديق رضي الله عنه وقفته المشهورة وقال قولته المأثورة " لئن قال ذلك لقد صدق " ودلّل على ذلك بما وقر في قلبه من إيمان راسخ لا تزعزعه هواجس النفس ، ولا مداخل الشيطان : " إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة "

روى الإمام الحاكم بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : " لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الاقصى ، أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه . وفتنوا به ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : أو تصدق أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمي أبو بكر الصديق "(١)

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٦٢ في معرفة الصحابة ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه الذهبي في التلخيص ٣/٦٢ وقال صحيح اى وافقه .
قلت : وفي اسناده محمد بن كثير الصنعاني وهو صدوق كثير الخطأ التقريب ٢/٢٠٣ . قال الألباني : " فمثله لا يحتج به اذا انفرد لكنه قد توبع كما يأتي فحديثه لذلك صحيح . سلسلة الاحاديث الصحيحة ج ١/٤/٧-٨ .
وقال الألباني : وقد عزاه ابن كثير في التفسير للبيهقي يعني في الدلائل من طريق الحاكم وسكت عليه . وانما ذكرت الحديث من أجل ما فيه من تسمية =

وذكر ابن هشام فى سيرته أن سبب تسمية الصديق صديقا حادثه الاسراء وتصديقه بها . (١) وذكر الهيثمى أن على بن ابى طالب رضى الله عنه كان يحلف : لله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق (٢)

وقد جزم الامام ابو جعفر الطحاوى فى " مشكل الاثار" بأن سبب تسمية أبى بكر رضى الله عنه بـ " الصديق " انما هو سبقه الناس الى تصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتيانه بيت المقدس من مكة ، ورجوعه منه الى منزله بمكه فى تلك الليلة" (٣)

قال ابو محجن الثقفى : (٤)

وسميت صديقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر

سميت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليسا فى العريش المشهر .

هذا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقب أبا بكر بالصديق وأثبت له الصديقية مرتين ، مرة فى مكة المكرمة ، ومرة فى المدينة المنورة ، والصديقيه درجة تأتى بعد النبوة .

= أبى بكر ب (الصديق) ، والا فسائره متواتر صح من طرق جماعة من الصحابة ، استقصى ابن كثير كثيرا منها فى أول سورة الاسراء وساق شواهد لهذه الزيادة :

أ ـ عن شداد بن أوس مرفوعا وقال : هذا إسناد صحيح .

ب ـ عن ابن شهاب عن ابى سلمة بن عبد الرحمن وقال : هذا سند صحيح مرسل وشاهد قوى لموصول عائشة .

جـ ـ عن ابى معشر قال : نا أبو وهب مولى أبى هريرة . وقال : هذا سند ضعيف .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٩٩ .

(٢) مجمع الزوائد للهيثمى ٩/ ٤١ وقال : رواه الطبرانى ورجاله ثقات ، الرياض النضرة ١/ ٦٨ ، وأخرج الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦٢ حديثا عن على رضى الله عنه " لا نزل الله تعالى اسم أبى بكر رضى الله عنه من السماء صديقا " وقال : " لولا مكان محمد بن سليمان العبدى من الجهاله لحكمت لهذا الاسناد بالصحة ووافقه الذهبى . ذكر الحاكم محمد بن سليمان " السعيدى " ومرة " السعدى " وهو خطأ انظر الجرح والتعديل ٧/ ٢٦٩ .

(٣) مشكل الاثار / ابو جعفر الطحاوى ٢/ ١٤٥

(٤) ابو محجن : هو عمرو بن حبيب الثقفى أحد الابطال الشعراء الكرماء =

ففي مكة المكرمة : روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده إلى أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحه والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهدأ ، فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد ."(١)

وفي رواية أخرى عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بحراء ، فقال : اسكن حراء ، فانه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، قال : قيل ومن هم ؟ قال : أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وابن عوف قال : فقيل : من العاشر ؟ قال : أنا يعني نفسه ."(٢)

= في الجاهلية والاسلام ، كان له في القادسية أحسن البلاء توفي بأذربيجان سنه ثلاثين هجريه . الاستيعاب ٤/ ١٨١ ، اسد الغابه ٦/ ٢٧٦ الاصابه ٤/ ١٧٣

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير ٤/ ١٨٨٠ ، النسائي ٦/ ٢٣٦ ، ابو داود ٤/ ٢١١ الترمذي ٥/ ٦٢٤ التحفه للمباركفوري ١٠/ ١٨٦ وقال الترمذي : هذا حديث صحيح ، وايضا الترمذي ٥/ ٦٢٨ وقال حديث حسن . مسند احمد ٢/ ٤١٩ نحوه ، ١/ ٥٩ عن عثمان رضي الله عنه وابن حبان كما في الموارد (ص ٥٤٠) وفضائل الصحابه لاحمد رقم ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ابن ابي عاصم في السنه ٢/ ٦٢١-٦٢٢ ، وعزاه الالباني في صحيح الجامع لاحمد والضياء المقدس وصححه رقم ٣٩٠٥ .

(٢) الحديث اسناده صحيح لغيره ، وذكره الامام احمد في الفضائل الصحابه رقم ٨٢ ، والترمذي كما في التحفه ١٠/ ٢٥٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ٥/ ٦٢٥ ، تحفة الاحوذي ١٠/ ١٩٠ ، مسند احمد ١/ ٥٩ والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز ص ٢٨ ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح رواه البغوي في معجم الصحابه ص ٣٥٧ ، وبريده الاسلمي اخرجه احمد ٥/ ٣٤٦ واسناده صحيح انظر تحقيق رساله أحاديث بريدة من المسند ص ٢٥٣ محمد عبيد المحمدي ، وأنس في تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٥ وفيه حراء أو أحد وتمامه بن حزن القشيري في الترمذي ٥/ ٦٢٧ ، والنسائي ٦/ ٢٣٥ بلفظ ثبير مكه ، والمحب الطبري في الرياض النضره ١/ ٥٦ ، مجمع الزوائد ٩/ ٥٥ .

وفى المدينة المنورة ، روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحة أن أنس بن مالك رضى الله عنه حدثهم قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم أحدا ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فقال أثبت أحد ، فان عليك نبى وصديق وشهيدان ". (١)

وفى بعض الروايات جاءت بلفظ التشكيك " تحرك الجبل أحد أو حراء " وأيضا " اسكن بدلا من اثبت أو اهدأ " .

وهذه الأحاديث تثبت أن تحرك الجبل تكرر عدة مرات مرة وهو بمكه كما تشير اليه الاحاديث الواردة فى جبل حراء ، الكائن فى مكة ، والذى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحى . ومرة اخرى فى المدينة المنورة على جبل احد وهو الذى ارتبط بغزوة أحد .

وليست هى قصة واحدة ، بل هى قصتان ، وتعرض ابن حجر رحمه الله فى الفتح (٢) للمسالة وقوى احتمال التعدد ، ولكن لم يجزم به ، وجزم بالتعدد ابن حجر الهيتمى ايضا فى الصواعق المحرقه . (٣)

قال المحب الطبرى : واختلاف الروايات نحمله على أنها قضايا تكررت فيهن والله أعلم (٤) وقال : " ألا ترى إلى اختلاف عدد الكائنين على الجبل فى كل رواية ، واثبات الصديقيه لأبى بكر ظاهرة وبها اشتهر ، واثبات الشهادة للخمسة الذين تضمنهم الحديث الاول ظاهرة ، فإنهم قتلوا شهداء ، والثلاثة الاخر الذين تضمنتهم

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابه باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لاتخذت خليلا فتح ٧/٢٢ ، ٧/٤٢ ، فتح ٧/٥٣ ، وأبو داود فى السنه ٤/٢١١ ومابعدها ، والترمذى ٥/٣١٥ ، تحفة الاحوذى ١٠/١٨٥ ، مسند احمد ٥/٣٣١ ، ٣٤٦ ، وابن ماجه المقدمه ١/٤٨ ، السنن ٣/١١٢ ، مصنف عبد الرزاق ١١/٢٢٩ ، والبخارى فى التاريخ الكبير ٤/٧٨ ، واخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/٥٥ الرياض النضرة ١/٥٦ .

(٢) فتح البارى ٧/٣٨

(٣) الصواعق المحرقه ص ٨٠

(٤) الرياض النضرة ١/٥٦ ، ٣٣ نحوه

باقى الاحاديث ،لم يقتلوا ، فلعلهم داخلون فى الصديقيه ،أو شهداء بمعنى آخر غير القتل والله أعلم (١) .

وأما الصديق الذى ورد فى حديث ارتجاف أحد أو حراء فهو بلا شك ابو بكر رضى الله عنه لان حديث البخارى يروى ان الذين كانوا على الجبل ثلاثة خلاف النبى صلى الله عليه وسلم منهم اثنان شهيدان وهم الفاروق وذو النورين رضى الله عنهما فيكون الثالث هو الصديق أبو بكر رضى الله عنه .

هذا وقد اخرج الهيثمى فى مجمع الزوائد عن قيس بن ابى حازم (٢) قال : خطب عمر بن الخطاب الناس ذات يوم على منبر المدينة فقال فى خطبته : "أن فى جنات عدن قصرا له خمسمائه باب ،على كل باب خمسة آلاف من الحور العين ، لا يدخله إلا نبى ، ثم التفت الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هنيئا لك ياصاحب هذا القبر . ثم قال : أو صديق ، ثم التفت الى قبر ابى بكر ،فقال : هنيئا لك يا أبا بكر ،ثم قال : أو شهيد ،ثم أقبل على نفسه فقال : وأنّى لك الشهادة ياعمر . ثم قال : ان الذى أخرجنى من مكة الى هجرة المدينة قادر أن يسوق إلى الشهادة .

قال ابن مسعود : فساقها الله إليه على يد شر خلقه عبد مملوك للمغيرة (٣) (٤)

---

(١) الرياض النضرة ١/ ٣٣

(٢) قيس بن أبى حازم البجلى الكوفى من أعيان التابعين ، ثقه من الطبقة الثانية مخضرم ،مات بعد التسعين ابن سعد ٦/ ٦٧ ،التاريخ الكبير ٧/ ١٤٥ ، الجرح والتعديل ٧/ ١٠٢ ،التذكره ١/ ٦١ ،التهذيب ٨/ ٣٨٧ .

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ٥٤ وقال : رواه الطبرانى فى الاوسط ورجاله رجال الصحيح غير شريك النخعى وهو ثقه وفيه خلاف . قلت : قال الحافظ : هو صدوق يخطئ التقريب ١/ ٣٥١ ،وذكره ابن حجر فى المطالب العاليه عن الحارث ٤/ ٨٤ نحوه ،بدون قول ابن مسعود ،وقال الاعظمى فى الحاشيه : قال البوصيرى : رواه الحارث موقوفا ورواته ثقات .

(٤) قتله ابو لؤلؤه المجوسى ـ لعنه الله ـ بخنجر مسموم وهو فى الصلاة الفجر رضى الله عنه .

صفتـــــــــه :

وصفته ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " كان أبو بكر نحيفا أبيض ، خفيف العارضين ، أجنا (١) ، لا يستمسك أزرته تسترخي عن حقويه (٢) ، معروق الوجه (٣) ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة عارى الاشاجع (٤) (٥)

كما ورد أنه رضى الله عنه كان أفرع (٦) كما أنه كان يخضب بالحناء والكتم - كما سيأتى فى البحث - وكان اسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر ووصف بأنه شيخ أى قد شاب حتى ظهر الشيب فى عارضيه ورأسه .

كما كانت فيه حدة ، كما وصفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حيث قال : فى حديث السقيفة : " وكنت اداري منه بعض الحد " .

وقد تزوج الصديق صدر شبابه من قتيله بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله ، وأسماء . وتزوج بعد قتيله أم رومان بنت عامر بن عويمر ، فاستولدها عبد الرحمن وعائشة .

أولاده :

كان لابى بكر رضى الله عنه من الولد ستة ، ثلاثه بنين ، وثلاث بنات .

أما البنون فهم :

١- عبد الله : وهو أكبر أولاده الذكور ، وأمه قتيله من بنى عامر بن لوى وهو غلام

---

(١) أجنا : بالجيم والهمز اى منحنيا ، والجنا الميل فى الظهر وقيل فى العنق . النهاية ١/ ٣٠٢ .

(٢) الحقو : الكشح والجمع أحق ، وقد يسمى الازار حقوا للمجاورة . النهاية ١/ ٤١٧

(٣) معروق الوجه : اى قليل اللحم . لسان العرب لابن منظور ١٢/ ١١٦ .

(٤) عارى الاشاجع : جمع أشجع وزن أصبح ، وهى مفاصل الاصابع ان كان اللحم عليها قليلا . النهاية ٢/ ٤٤٧ الرياض النضرة ١/ ٧٠ .

(٥) الاستيعاب ٢/ ٢٤٣ ، الرياض النضرة ١/ ٦٩ ، مجمع الزوائد ٩/ ٤٢ عن طريق الواقدى وهو ضعيف .

(٦) أفرع - بهمزه وفاء ساكنه بعدها راء وعين مهملتان . الافرع الوافى الشعر ، وقيل الذى له جمة . النهاية ٣/ ٤٣٧ .

شاب فطن ، اسلم قديما ، ولما هاجر أبوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيهما بأخبار قريش ثم خرج إليه بحياله . شهد فتح مكه وحنين والطائف وفيها جرح ، ثم انتقض عليه فمات فى خلافة أبيه رضى الله عنهما سنه إحدى عشر ولا عقب له (١) .

٢- عبد الرحمن : ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا محمد ، أمه أم رومان بنت الحارث من بنى فراش بن غنم بن كنانة ، شهد بدرا وأحدا مع المشركين وكان راميا حسن الرمى شجاعا ، أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر إلى المدينة وكتب للنبى صلى الله عليه وسلم . له مواقف فى الجاهليه والاسلام مشهورة ، شهد اليمامه مع خالد ابن الوليد وقيل انه قتل محكم اليمامة ابن الطفيل رماه بسهم فى نحره وشهد الجمل مع عائشة وكان اخوه محمد مع على رضى الله عنهم . وكان رجلا صالحا لم تجرب عليه كذبه ، وفيه دعابه . خرج الى مكة قبل أن تتم البيعة ليزيد فمات فجأه سنة ثلاث وخمسين . له من الأولاد محمد وعبد الله وحفصه ، ولم يوجد بيت فيه أربعه بعضهم ولد بعض ، أسلموا ورأوا النبى إلا فى بيت أبى بكر وهم : أبو قحافه وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد . وثبت ذلك لاسماء بنت الصديق كذلك . (٢)

٣- محمد ويكنى أبا القاسم ، وأمه أسماء بنت عميس الخثعميه ، ولدته بذى الحليفه لخمس ليال بقين من ذى القعده سنة عشر وهى فى طريقها الى الحج فى حجة الوداع ، وتزوجت أمه من على بن ابى طالب بعد الصديق فنشأ محمد فى حجره ، وكان على رجالته يوم الجمل وشهد معه صفين ، وقتله عمرو بن العاص فى مصر ، وكان على رضى الله عنه يثنى عليه ويفضله ، وكانت له عباده واجتهاد . ولد محمد بن ابى بكر القاسم بن محمد والذى تربى فى حجر عائشة أم المؤمنين فكان من أفضل أهل زمانه وأفقههم (٣)

---

(١) الاستيعاب ٢/٢٤٩ ، اسد الغابة ٣/٢٨٨ ، الرياض النضرة ١/٢٤٢ ، الاصابة ٢/٢٧٤

(٢) الاستيعاب ٢/٣٩١ ، اسد الغابة ٣/٤٦٦ ، الرياض النضرة ١/٢٤٣ ، الاصابة ٢/٣٩٩

(٣) الاستيعاب ٣/٣٢٨ ، اسد الغابة ٥/١٠٢ ، الاصابة ٣/٤٥١

اما البنات فهـــن :

١ـ أسماء بنت أبى بكر : شقيقة عبد الله وهى أكبر بناته ، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنه . وهى ذات النطاقين تزوجها الزبير بن العوام وهاجرت وهى حامل بولده عبد الله فولدته بقباء وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، وولدت الزبير عدة أولاد ثم طلقها فكانت مع ولدها عبد الله بمكه حتى قتل وعاشت بعده قليلا ثم ماتت وكانت من المعمرين وعميت . وقد ثبت ان أربعة من آل الصديق رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا وهم أبو قحافه وابنه أبو بكر ، وابنته أسماء وابنهـــا عبد الله وأولادها هم : عبد الله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة وبلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ، ولم ينكر لها عقل . (١)

٢ـ عائشة أم المؤمنين : وتكنى أم عبد الله وأمها أم رومان وهى شقيقة عبد الرحمن ، ولدت بعـــث رسول الله بأربع سنين أو خمس ، وقصة زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستأتى فى الباب الثانى وبذلك ثبت لابى بكر أشرف الشرف فكانـــت إحدى أمهات المؤمنين ، وحظوتها عنده بشرف منزلتها وعظيم مزيتها على سائـــر نسائه مشهور ، حتى بلغ ذلك منه صلى الله عليه وسلم أن سئل : من أحب الناس اليك يارسول الله ؟ قال عائشة . فقيل : من الرجال ؟ قال ابوها . فكانت أحب احب الناس إليه مطلقا بنت أحب الرجال إليه . واختار الإقامة عندها أيـــام مرضه صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكح بكرا غيرها ، ولا امرأة أبواها مهاجران غيرها ، وأنزل الله براءتها من السماء ومات عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها ثمان عشرة سنة ، ومدة مقامه معها تسع سنين . روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من أحاديثه . توفيت رضى الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون مـــن رمضان سنة ثمان وخمسين ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة . (٢)

---

(١) الاصابة ٤/٢٢٤ الاستيعاب ٤/٢٢٨ ، اسد الغابة ٧/٩ الرياض النضرة ١/٢٤٤ .

(٢) الاصابة ٤/٣٤٨ ، الاستيعاب ٤/٣٤٥ ، أسد الغابه ٧/١٨٨ الرياض النضرة ١/٢٤٤

٣- أم كلثوم : هى تابعيه مات الصديق وهى فى بطن أمها وهى التى قال فيها الصديق : " ذو بطن بنت خارجة " وهذا يدل على فراسته رضى الله عنه . وهى أصغر بناته وأمها ام حبيبه بنت خارجه بن زيد ، كان الصديق قد نزل عليه وتزوج ابنته وتوفى عنها وتركها حبلى ، فولدت له أم كلثوم ، ولما كبرت خطبها عمر بن الخطاب إلى عائشة فانعمت وكرهت ام كلثوم ، فاحتالت له حتى أمسك عنها وتزوجها طلحة بن عبد الله . (١)

أبو بكر قبل الاسلام :

ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى مكة بلد الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا وقد عاش فى طفولته وصباه عيش أمثاله .

ولما كانت طبيعة البلد الحرام لا تساعد على انتشار الزراعة ولا الصناعة لعدم صلاح التربة ، وتعذر الحصول على المواد الخام التى تقوم عليها الصناعة ، لذا فإنا نجد أهلها فى حاجة ماسة إلى جلب أقواتهم وحاجتهم من خارج بلدهم ، فهم مضطرون لان يكونوا فى حركة دائمة وأسفار مستمرة ، وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف . " (٢)

فلما تخطى الصديق رحلة الصبا إلى الشباب عمل بالتجارة بزازا يبيع الثياب .

قال ابن اسحق : " وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف " (٣) وقال الحافظ ابن حجر كان ابو بكر معروفا بالتجاره وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أربعون ألفا " (٤)

---

(١) الرياض النضرة ١/٢٤٤ ، الاصابة ٤/٤٦٩

(٢) سورة قريش آياتها ٤ آيات .

(٣) ابن هشام ١/٢٥٠

(٤) الاصابة ٢/٣٣٤

وكان يعيش بمكة فى الحى الذى تعيش فيه خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعيش فيه التجار مع أن الصديق من بنى تيم لكنه كان يعيش فى حى بنى جمح(١) وهو الذى كانت تقطن فيه السيدة خديجة رضوان الله عليها .

وكان الصديق رضى الله عنه رجلا مألفا لقومه ، محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بأنسابها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته ." (٢)

وكان رضى الله عنه لرزانته وحسن رأيه ورجاحة عقله لا يشارك قومه فى كثير من عقائدهم وعاداتهم .

" قال أبو بكر رضى الله عنه فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما سجدت لصنم قط وذلك أنى لما ناهزت الحلم أخذنى أبو قحافه بيدى فانطلق بى إلى مخدع فيه الأصنام فقال لى : هذه آلهتك الشم العوالى ، وخلانى وذهب ، فدنوت من الصنم ، وقلت : انى جائع فأطعمنى ، فلم يجبينى ، فقلت : انى عار فاكسنى فلم يجبينى ، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه (٣)

وقالت عائشة رضى الله عنها : " حرم أبو بكر الخمر فى الجاهلية ، فلم يشربها فى جاهليته ولا اسلام وذلك أنه مر برجل سكران يضع يده فى المذره ، ويدنيها من فيه ، فاذا وجد ريحها ، صدف عنها ، فحرمها أبو بكر على نفسه ". (٤)

كما قالت عائشة رضى الله عنها : " والله ماقال أبو بكر بيت شعر فى الجاهلية ولا الاسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية " (٥)

---

(١) انظر عتق بلال فى الرياض النضرة ص ١١٧

(٢) ابن هشام ١/ ٢٥٠ ، الاصابة ٢/ ٣٣٤

(٣) ابو بكر الصديق / على الطنطاوى ص ٤٧ ، عن أنباء نجباء الانبـاء / لابن ظفر

(٤) ابو بكر الصديق / على الطنطاوى ص ٤٦

(٥) فتح البارى ٧/ ٢٥٨ وصححه الحافظ ابن حجر حيث قال : " وزاد الفاكهى فى هذا الحديث ـ الحديث أخرجه البخارى ـ من الوجه الذى أخرجه البخارى =

وذكر أنه سئل أبو بكر فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شرب الخمر فى الجاهلية ؟ قال : أعوذ بالله ، فقيل : ولم ؟ قال : كنت أصون عرضى وأحفظ مالى ، فمن شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ومروءته ..." (١)

ولما كان الصديق بهذه الصفات الحميدة ، كان حريا أن يسود قبيلته تيم " .

ولما كان لكل قبيلة مقيمة بمكة اختصاص بأمر يتصل أو لا يتصل بمناصب الكعبة ، كان لقبيلة تيم " نصيب أيضا ، فكان لبنى عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبنى عبد الدار اللواء والحجابة والندوة ، وذلك قبل أن يولد هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم ولبنى مخزوم قيادة الجيوش ، ولبنى تيم بن مرة - قبيلة الصديق - الديات والمغارم .

وقد آل أمر الديات فى الجاهلية إلى أبى بكر رضى الله عنه حين اشتد ساعده ، فتولى الزعامة فى قبيلتـــه .

قال ابن عبد البر رحمه الله : " وكان فى الجاهلية وجيها رئيسا من رؤساء قريش وإليه الأشناق فى الجاهلية - والأشناق الديات - كان إذا حمل شيئا قالت فيه قريش : صدقوه ، وامضوا حمالته ، وحمالة من قام معه الصديق ، وإن احتملها غـــيره ، خذلوه ولم يصدقوه " . (٢)

= قال : قالت عائشة وذكره . والاستيعاب ٢/ ٢٤٨- ٢٤٩ نحوه . الرياض النضرة ١/ ١٨٠ نحـــوه .

(١) الرياض النضرة ١/ ١٧٩ وعزاه للرازى .

(٢) الاستيعاب ٢/ ٢٣٧ ، الاصابة ٢/ ٣٣٥

أبو بكر ومعرفته بمحمد صلى الله عليه وسلم :

لقد عرفنا أن الصديق يصغر محمد صلى الله عليه وسلم بسنتين ونصف ، وأكبر الظن أن التقارب بالسن والاشتراك بالعمل - لأن كليهما يشتغل بالتجارة ، فالصديق يعمل في تجارته ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في تجارة خديجة رضى الله عنها - وكذلك الاتفاق في سكينة النفس ورضى الخلق ، وفي الرغبة عما تزاول قريش من عادات وعقائد بالاضافة الى ماسيأتي من وصف ابن الدغنه له من صفات اشترك فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أكبر الظن أن هذا كله كان ذا أثر في مودتهما وصحبتهما ، حتى انه قد ورد عن ميمون بن مهران (١) قوله " أن الصديق رضى الله عنه اختلف بينه وبين خديجة حتى تزوجها وذلك قبل أن يولد على بن أبي طالب (٢) وقال ابن حجر رحمه الله : " وصحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة . (٣) حتى قال بعضهم : ان مودتهما كانت وثيقة المعرى قبل البعثة ، وأنها كانت ذا أثر في سبق أبي بكر إلى الاسلام ولذلك لما بعث الله تعالى نبيه واختاره لرسالته ذكر أول ماذكر من أصحابه ذوى الرأى الصائب والعقل الراجح أبا بكر ، فتحدث إليه ودعاه الى الواحد الأحد فلم يتردد الصديق أن أجاب داعي الله ، ولم تكن له كبوة كباقي الذين تحدث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ميمون بن مهران الجزرى أبو أيوب ، أصله كوفي ، نزل الرقة ، ثقة فقيه كان يرسل من الرابعة ، مات سنة سبع عشرة ومائة . التقريب ٢/٣٩٢ .

(٢) ابن حجر في الاصابه ٢/٣٣٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) الاصابه ٢/٣٣٣ ، كما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما " أن الصديق صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين .
انظر اسباب النزول للواحدى ص ٤٠١ ، زاد المسير لابن الجوزى ٧/٣٧٧ ، الدر المنثور ٦/٤٠ ، تفسير البغوى ٦/١٣٦ ، روح المعانى ٢٦/١٩

الباب الأول

من إسلام الصديق إلى الهجرة

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

نسخة الأصلية
تصوير / عبد الرحمن سالم سلامة

نسخة أصلية
تصوير/ عبد الرحمن سالم سلامة

المبحث الأول

اســـــلام الصديق رضى الله عنـــه

من البديهيات عند عامة المسلمين ،أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه مـــن أول الناس اسـلاما واستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،عندما صدع بالحق بين ظهرانى قريش فكذبوه .

روى الامام البخارى رحمه الله فى صحيحه عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة ، وفيه : " ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ،وقال أبو بكر : صدق ،وواسانى بنفسه وماله ،فهل أنتم تاركوا لى صاحبى؟ (مرتين) فما أوذى بعدها . "(١)

فان دل هذا على شىء ،فانما يدل على أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه صـــدق بالرســـالة مبكرا ،بل سبق غيره من الرجال الى هذا الخير العميم .

ولكن هل كان أبو بكر أول الناس دخولا فى هذا الدين على الاطلاق؟

للاجابة على هذا السؤال فلنستعرض الأحاديث التى وردت فى اسلامه أولا .

أولا : الأحاديث التى وردت وتفيد أن الصديق من أول الناس اسلاما :

١ـ روى الامام البخارى فى صحيحه قال: قال عمار بن ياسر رضى الله عنـــه :

" رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبـــو بـكـر . "(٢)

فى الحديث دلالة على قدم اسلام أبى بكر اذ لم يذكر عمار أنه رأى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار غيره .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى الفتح : " ولكن مراد عمار بذلك مـن أظهر اسـلامه ،والا فقد كان حينئذ جماعة من أسلم لكنهم كـانـوا يخفونه من أقاربهم . "(٣)

أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة ، والخـامس شقران أو عمار بن ياسر ،وأما المرأتان فخديجة وأم أيمن أو سمية .(٣)

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : "لو كنت متخذا خليلا " ١٩٢/٤ ، الفتح على البخارى ١٨/٧ ط السلفية

(٢) البخارى كتاب فضائل الصحابة ،باب لو كنت متخذا خليلا ١٩٢/٤ ،الفتح ١٨/٧ وكتاب مناقب الانصار ،باب اسلام أبى بكر ٢٤٠/٤ ، الفتح ١٧٠/٧ ، من حديث خيثمة بن سليمان فى فضائل الصحابة ، تحقيق ودراسة د . عمر عبد السلام تدمرى ط ١ بيروت ص١٢١ ،وأخرجه ابن شاذان السكرى فى حديثه (ل ٣٤ب) ، الرياض النضرة فى مناقب العشرة لمحب الدين الطبرى ط ١ ٧٣/١ـ٧٤

(٣) فتح البارى ٤٧/٧ ملخصا .

٢ـ روى البخاري أيضا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، يقول : " ما أسلم أحد الا في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وأني لثلث الاسلام . " (١)

وقول سعد رضي الله عنه يحمل على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ ، والسبب في ذلك : أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي اسلامه ، ولعله أراد بالاثنين الآخرين خديجة وأبا بكر ، أو النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وقد كانت خديجة أسلمت قطعا ، فلعله خص الرجال . (٢)

وحتى لا يظن أن هناك تعارضا بين حديث عمار وسعد رضي الله عنهما لأن ظاهرهما يفيد ذلك ، فالجمع بينهما أن يقال : كل منهما قال ما قال بحسب اطلاعه ، أو يحمل قول سعد على الأحرار البالغين ، ليخرج الأعبد المذكورون وعلي رضي الله عنهم .

وهذا الحديث يدل كذلك على أن أبا بكر رضي الله عنه من أول الناس اسلاما على أي تأويل كان لهذا الحديث .

٣ـ ويروى الامام مسلم رحمه الله في صحيحه قصة اسلام عمرو بن عبسة* ، والتي يسأل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قلت له : فمن معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ، قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به ... الحديث " (٣)

وفي رواية الطبري " فأسلمت عند ذلك ، فقال : فلقد رأيتني اذ ذاك ربع الاسلام "

وهذا دليل على أن أبا بكر وبلالا من أول الناس اسلاما . قال النووي : " وقد يحتج به ـ أي بهذا الحديث ـ من قال انهما أول من أسلم . " (٤)

قال ابن كثير في السيرة النبوية : " ويقال ان معنى قوله عليه السلام : " حر وعبد " : اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فيه نظر ، فانه قد كان جماعة أسلموا قبل عمرو بن عبسة ، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال ، فلعله أخبر أنه ربع الاسلام بحسب علمه ، فان المؤمنين كانوا اذ ذاك يستسرون باسلامهم ، لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم ، فدع الأجانب ، دع أهل

---

(١) البخاري كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص ٤/ ٢١٢ الفتح ٧/ ٨٣ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب اسلام سعد بن أبي وقاص ٤/ ٢٤٠ الفتح ٧/ ١٧٠

(٢) فتح الباري ٧/ ٨٤

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب اسلام عمرو بن عبسة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/ ٥٦٩ ، النووي على مسلم ٦/ ١١٥ والحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٥ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، تاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢/ ٣١٥ ، وأخرجه أبو يعلى وأبو نعيم في الدلائل كما ذكره ابن حجر في الاصابة ٣/ ٦ وتصفحت الدلائل فوجدت فيه الرواية ١/ ٨٦ من غير الطريق التي أشار اليها ابن حجر ، وخيثمة في فضائل الصحابة ١٣١

(٤) النووي على مسلم ٦/ ١١٥

* عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر البجلي السلمي أبو نجيح ويقال أبو شعيب ، أسلم قديما بمكة ثم رجع الى بلاده ، فأقام بها الى ان هاجر بعد خيبر وقبل الفتح فشهدها سكن الشام ومات بحمص . الاستيعاب ٢/ ٤٩١ أسد الغابة ٤/ ٢٥١ الاصابة ٣/ ٥٠

البادية من الأعراب. والله أعلم . "(١)

قلت صدق ابن كثير ،ويؤيده ما روى عن جبير بن نفير قال ، : " كان أبو ذر وابن عبسة كلاهما يقول : لقد رأيتني ربع الاسلام ،ولم يسلم قبلي الا النبي وأبو بكر وبلال كلاهما لا يدري متى أسلم الآخر . "(٢)

ومع هذا يفهم من كلامهم أن الصديق كان قد أسلم قبلهم جميعا .

٤ـ روى الامام أحمد رحمه الله في مسنده عن يحيى بن أبي بكير (٣) ، قثنا زائدة (٤) عن عاصم بن أبي النجود (٥) ،عن زر (٦) ،عن عبد الله قال : " كان أول من أظهر اسلامه سبعة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد ... الحديث" (٧)

وهذا الحديث يشير الى أول من أسلم وأظهر اسلامه ،لكنه لا يشير الى كل من أسلم وأظهر اسلامه ،لأن خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلي رضي الله عنها ، وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنهم ،أسلموا وأظهروا اسلامهم قبل من ذكر في الحديث.

يقول ابن اسحاق في سيرته : " فابتدأ أبو بكر أمره وأظهر اسلامه ،ودعى الناس. وأظهر على وزيد بن حارثة اسلامهما ،فكبر ذلك على قريش. وكان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد زوجته ،ثم كان أول ذكر آمن به علي ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ،ثم زيد بن حارثة ،ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم . "(٨)

---

(١) السيرة النبوية للامام اسماعيل بن كثير ،تحقيق مصطفى عبد الواحد ١/٤٤٣

(٢)

(٣) يحيى بن أبي بكير شيخ أحمد اسمه نسير بالنون الأسدي ،أبو زكريا القيسي ،ثقة قال أحمد : ما أكيسه ،ووثقه ابن المديني وابن معين والعجلي ،مات سنة تسع ومائتين التاريخ الكبير ٨/٢٦٤ ،الجرح والتعديل ٩/١٣٢ ،تاريخ بغداد ١٤/١٥٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/٣٨٥ ،التهذيب ١١/١٩٠ ، التقريب ٢/٣٤٤

(٤) زائدة هو ابن قدامة أبو الصلت الكوفي ،ثقة ،وثقه الثوري وابن سعد وأحمد وأبو حاتم والعجلي والنسائي ويحيى القطان ،وقال الدارقطني : من الاثبات الأئمة مات سنة احدى وستين ومائة . التاريخ الكبير ٣/٤٣٣ الجرح ٣/٦١٣ ابن سعد ٦/٣٧٨ الكاشف ١/٣١٧ التهذيب ٣/٣٠٦ التقريب ١/١٥٦

(٥) عاصم بن أبي النجود واسم أبي النجود بهدلة ،المقرئ الكوفي ،وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وابن حبان ،وقال أبو حاتم : محله عندي محل الصدق ،صالح الحديث ، وليس محله أن يقال : هو ثقه ولم يكن بالحافظ ،وقال النسائي ليس به بأس ،وقال الحاكم في المستدرك طرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته في هذا الكتاب بالاحتجاج بأخبار عاصم بن أبي النجود اذ هو امام من أئمة المسلمين ،وقال ابن سعد : كان ثقة الا أنه كثير الخطأ في حديثه ،وقال ابن طيبة ونحوه يحيى القطان كل من اسمه عاصم سيئ الحفظ ،وضعفه ابن خراش والعقيلي والدارقطني. وقال الذهبي: وهو في الحديث دون الثبت صدوق يهم حسن الحديث ،وقال ابن حجر صدوق له أوهام حجة في القراءة مات سنة ثمان وعشرين ومائة ،أرى أن حديثه حسن . التاريخ الكبير ٦/٤٨٧ ،الجرح ٦/٣٤٠ ،ابن سعد ٦/٣٢٠ ،الضعفاء للعقيلي (ل ٣٢٤) معرفة القراء الكبار ١/٧٣ ،المستدرك ٤/٥٥٧ ،الميزان ٢/٣٥٧ المغني في الضعفاء ١/٣٢٢ ،الكاشف ٢/٤٩ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٨٢ التهذيب ٥/٣٨ التقريب ١/٣٨٣

(٦) زر بكسر الزاى وتشديد الراء المهملة ابن حبيش بن حباشة بضم المهملة بعدها موحدة ثم معجمة ، الأسدى ، أبو مريم الكوفى ، تابعى ، مخضرم ، ثقة ، مات سنة ثلاث وثمانين ، على خلاف .
التاريخ الكبير ٣/ ٤٤٧ ، الجرح ٣/ ٦٢٢ الطبقات لابن سعد ٦/ ١٠٤ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٧ ، التهذيب ٣/ ٣٢١ ، التقريب ١/ ٢٥٩ .

(٧) عبد الله هو ابن مسعود الصحابى الجليل ، من السابقين الى الاسلام ، ومن كبار العلماء ، مناقبه جمة ، وأمره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين على خلاف ، الاصابة ٢/ ٣٦٨ ، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢ ، التهذيب ٦/ ٢٧ ، التقريب ١/ ٤٥٠ والحديث اسناده حسن رواه الامام أحمد فى المسند تحقيق أحمد شاكر ١/ ٤٠٤ ، وابن ماجة ١/ ٥٣ ، وفضائل الصحابة لأحمد رقم ١٩١ ، ٢٨٢ (رسالة دكتوراة أعدها الأخ الدكتور وصى الله بن محمد عباس) وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٤٩ والبيهقى فى الدلائل ١/ ٤٢٢ وابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ١٤١ من طريق يحيى ابن أبى بكير ، والبيهقى أيضا فى الدلائل ٢/ ٥٦ من طريق زائدة والحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٨٤ من طريق عاصم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وابن سعد فى الطبقات ٣/ ٢٣٣ عن مجاهد مرسلا ، وذكره ابن كثير فى السيرة النبوية ١/ ٤٣٦ ، والمحب الطبرى فى الرياض النضرة ١/ ٧٤ .

(٨) سيرة ابن اسحاق تحقيق محمد حميد الله ، طبعة المغرب ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ط٢ ، عن ابن اسحاق ١/ ٢٣٣ ، وذكره الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٥ .

ثـانيا : الأحاديث التي وردت وتشير الى أن الصديق أول الرجال الأحرار اسلاما :

بالاضافة الى ما تشير اليه الأحاديث السابقة من أن أبا بكر رضى الله عنه قد سبق الكثير من الصحابة الى الاسلام ، فان الكثير من الروايات والآثار وأقوال العلمـاء تشير الى أن الصديق رضى الله عنه هو الرجل الحر الأول ، الذى دخل فى دين الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١ـ روى البخارى فى صحيحه عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ... ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى (مرتين) فما أوذى بعدها . "(١)

قال الامام ابن كثير رحمه الله : " وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه . "(٢)

٢ـ روى الامام أحمد قال : ثنا محمد بن جعفر (٣) ، نا شعبة (٤) ، عن عمرو بن مرة (٥) عن أبى حمزة (٦) ، عن زيد بن أرقم (٧) رضى الله عنه قال : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : فذكرت ذلك للنخعى (٨) ، فأنكره ، وقال : أول من أسلم أبو بكر مع رسول الله عليه السلام . (٩)

---

(١) البخارى كتاب فضائل الصحابة ، باب لو كنت متخذا خليلا ٤/١٩٢ ، الفتح ٧/١٨

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٣٤

(٣) محمد بن جعفر غندر الهذلى أبو عبد الله البصرى ، ثقة ، وثقه ابن سعد وابن معين وابن أبى حاتم وابن حبان والعجلى وغيرهم ، توفى سنة اثنتين وتسعين ومائة على خلاف .
التاريخ الكبير ١/٥٧ الجرح ٧/٢٢١ تذكرة الحفاظ ٣/٩٦١ الميزان ٣/٥٠٢
التهذيب ٩/٩٧ .

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى مولاهم أبو بسطام الواسطى ثم البصرى ، ثقة حافظ متقن قال الثورى : هو أمير المؤمنين فى الحديث ، وأول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة مات سنة ستين ومائة التاريخ الكبير ٤/٢٤٤ ، الجرح ٣/٣٦٩ ، الثقات للعجلى (٢٦) تذكرة الحفاظ ١/١٩٣ التهذيب ٤/٣٣٨ ، التقريب ١/٣٥١ .

(٥) عمرو بن مرة بن عبد الله المرادى أبو عبد الله الكوفى ، ثقة ، وثقه شعبة وابن معين والأعمش وابن مهدى وغيرهم ، وذكر البخارى انه كان يقول انى مرجئ ، مات سنة ست عشرة ومائة على خلاف . التاريخ الكبير ٦/٣٦٨ ، الجرح ٤/٢٥٥ ، الميزان ٣/٣٨٨ التهذيب ٨/١٠٢

(٦) طلحة بن يزيد الأيلى أبو حمزة مولى الأنصار الكوفى ، ثقة وثقه النسائى وابن حبان .
الجرح ٣/٤٧٦ ، التهذيب ٥/٢٩

(٧) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الانصارى الخزرجى ، صحابى مشهور أول مشاهده الخندق ، وأنزل الله تصديقه فى سورة "المنافقون" مات سنة ست وستين على خلاف .
سير أعلام النبلاء للامام الذهبى المحقق ٣/١٦٥ ، التقريب ١/٢٧٢

(٨) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى أبو عمران الكوفى ادخل على عائشة وهـو صغير ولم يسمع منها ولم يلق أحدا من الصحابة سواها ، قال الشعبى : ما ترك بعده مثله قال العلائى : هو مكثر من الارسال وصحح بعض الأئمة ارساله وخص البيهقى ما ارسله عن ابن مسعود ، قال ابن حجر : فقيه ثقة الا أنه يرسل كثيرا . مات سنة ست وتسعين على الأصح . التاريخ الكبير ١/٣١٤ ، الجرح ٢/١٤٤ ، الطبقات ٦/٢٧٠ التذكرة ١/٧٣
التهذيب ١/١٧٧ ، التقريب ١/٤٦ .

(٩) صحيح الاسناد وأخرجه أحمد فى المسند ٤/٣١٧ ، الترمذى ٥/٦٤٢ وقال هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن سعد ٣/١٧١ عن عفان بن مسلم عن شعبة وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/١٠٣ رواه أحمد والطبرانى فى الاوسط ورجال أحمد رجال الصحيح ، الطبرى فى تاريخه ٢/٣١٠ ، والبغوى فى معجم الصحابة (ل ٤١٨) وفيه صلى بدل أسلم .

٣- روى الامام الترمذى قال حدثنا أبو سعيد الأشج (١) ، أخبرنا عقبة بن خالد (٢) ، أخبرنا شعبة عن الجريرى (٣) عن أبى نضرة (٤) ، عن أبى سعيد الخدرى (*) رضى الله عنه قال : قال أبو بكر : " ألست أحق الناس بها ، ألست أول من أسلم ، ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا . " (٥)

وهذا الحديث نص من أبى بكر الصديق رضى الله عنه على أنه أول من أسلم ، بالطبع من الرجال ، لأنه يستحيل أن يكون أسلم قبل زوج أن النبى صلى الله علية وسلم لأنها رضى الله عنها أول من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه جبريل بـ"اقرأ" .

٤- ذكر عبد الله بن الامام أحمد رحمهما الله تعالى فى فضائل الصحابة أن ابن سيرين (٦) قال : أول من أسلم من الرجال أبو بكر ، وأول من أسلم من النساء خديجة . (٧) وذكر عن محمد بن كعب (٨) أن أبا بكر أول من صلى (٩) ، وذكر عنه أنه قال : " ان أول من أسلم من هذه الأمة برسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، وأول رجلين أسلما أبو بكر الصديق وعلى وأن أبا بكر أول من أظهر اسلامه . " (١٠)

---

(١) أبو سعيد هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى ، أبو سعيد الأشج الكوفى ، ثقة من صغار العاشرة ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين . روى له الجماعة . الجرح ٧٣/٧ ، التهذيب ٢٣٦/٥ ، التقريب ٤١٩/١ .

(٢) عقبة بن خالد السكونى ، أبو مسعود الكوفى ، المجدر - بضم الميم الجيم والدال المهملة المشددة - يقال لمن به أثر الجدرى ، صدوق ، صاحب حديث من الثامنة مات سنة ثمان وثمانين ومائة التقريب ٢٦/٢

(٣) الجريرى هو سعيد بن اياس الجريرى بضم الجيم ، أبو مسعود البصرى ، ثقة من الخامسة اختلط قبل موته بثلاث سنين مات سنة أربع وأربعين ومائة . التاريخ الكبير ٤٥٦/٣ الجرح ٤/١ ، الطبقات ٢٦١/٧ ، الميزان ١٢٧/٢ التهذيب ٥/٤ التقريب ٢٩١/١ الكواكب ص ٩٨ .

(٤) أبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة بضم القاف وفتح المهملة ، العبد ى العوقى بفتح المهملة والواو ثم قاف ، البصرى أبو نضرة بنون ومعجمة ساكنة ، مشهور بكنيته ، ثقة من الثالثة مات سنة ثمان أو تسع ومائة . التاريخ الكبير ٣٥٥/٤ ، الجرح ٢٤١/٨ ، التهذيب ٣٠٢/١٠ ، التقريب ٢٧٥/٢ .

(*) أبو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصارى له ولأبيه صحبة استصغر بأحد ثم شهد ما بعدها مات سنة ثلاث وستين على خلاف . الاستيعاب ٤٤/٢ ، الاصابة ٣٢/٢

(٥) الحديث اسناده حسن لأن عقبة بن خالد صدوق ، رواه الترمذى ٦١١/٥ وفى تحفة الأحوذى ١٥١/١٠ ورواه الترمذى أيضا عن أبى نضرة عن أبى بكر نحوه ، ولم يذكر فيه أبا سعيد الخدرى وقال : وهذا أصح أى المنقطع أصح من الموصول ، ورجح المنقطع كذلك ابن أبى حاتم فى العلل ٣٨٨/٢ ، وحسنه الأرناؤوط فى تعليقه على جامع الأصول ٦٠٢/٨ ، وعزاه المحب الطبرى فى الرياض النضرة ٧٣/١ الى البغوى وأبى حاتم ، وأخرجه أحمد فى الفضائل رقم ٢٧١ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٣ .

(٧) فضائل الصحابة للامام أحمد رقم ٢٧٢ وهو حسن الاسناد

(٩) المصدر السابق رقم ٢٦٧ واسناده حسن

(٦) هو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبى عمرة الأنصارى البصرى ، ثقة ثبت عابد كبير القدر ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفى سنة عشر ومائة . التاريخ الكبير ٩٠/١ ، الجرح ٢٨/٧ ، تاريخ بغداد ٣٣١/٥ التهذيب ٢١٤/٩ ، التقريب ١٦٩/٢ .

(٨) محمد بن كعب بن سليم بن أسد بن حمزة القرظى ، تابعى ثقة حجة ، وقال ابن حبان كان من أفاضل أهل المدينة علما وفقها توفى سنة ثمان ومائة . التاريخ الكبير ٢١٦/١ ، الجرح ٦٧/٦ التهذيب ٤٢٠/٩ ، التقريب ٢٠٣/٢ .

(١٠) فضائل الصحابة للامام أحمد رقم ٢٦٨ . واسناده حسن

وقد ذكر الامام الترمذى اختلاف العلماء فى أول من أسلم على الاطلاق فقال : "وقد اختلف أهل العلم فى هذا فقال بعضهم : أول من أسلم أبو بكر الصديق ،وقال بعضهم : أول من أسلم على .

وقال بعض أهل العلم : أول من أسلم من الرجال أبو بكر ،وأسلم على وهو غلام ابن ثمان سنين ،وأول من أسلم من النساء خديجة ." (١)

وقد مر بنا آنفا أن ابن اسحاق قال : " وكان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد زوجته ،ثم كان أول ذكر آمن به على وهو يومئذ ابن عشر سنين ثم زيد بن حارثة ،ثم أبو بكر رضى الله عنهم ." (٢) وقد ذكر ابن الصلاح فى مقدمته اختلاف السلف فيمن أسلم أولهم (٣) ،ويرى ابن عبد البر أن عليا أول من أسلم وأبو بكر أول من أظهر اسلامه (٤).

وازاء هذا الاختلاف نجد علماءنا السابقين رحمهم الله تعالى قد جمعوا بين هذه الأقوال كلها .

قال المحب الطبرى : " والاولى هو التوفيق بين هذه الروايات كلها وتصديقها كلها فيقال : أول من أسلم مطلقا خديجة بنت خويلد ،وأول ذكر أسلم على بن أبى طالب ، وهو صبى ،لم يبلغ لما تقدم فى سنه ،وكان مستخفيا باسلامه ،وأول رجل عربى بالغ أسلم وأظهر اسلامه ،أبو بكر بن أبى قحافة ،وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وهذا متفق عليه لا خلاف فيه ،وعليه يحمل قول على ـ رضى الله عنه ـ وغيره أول من أسلم من الرجال أبو بكر ، أى من الرجال البالغين ." (٥)

وذكر ابن كثير مثل هذا الجمع ،وقال فى سياقه "... وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ،واسلامه كان أنفع من اسلام من تقدم ذكرهم ، اذ كان صدرا معظما ، ورئيسا فى قريش مكرما ،وصاحب مال ،وداعية الى الاسلام ،وكان محببا متألفا ، يبذل المال فى طاعة الله ورسوله ." (٦) وقال فى البداية والنهاية ان هذا الجمع صحيح . (٧)

كما ذهب الى هذا الجمع ابن الصلاح وقال : "هو الأورع" (٨) وقال ابن كثير : "وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال كما سبق ." (٩) وصرح السيوطى فى تاريخ الخلفاء قائلا : " أول من ذكر هذا الجمع الامام أبو حنيفة ." (١٠)

.....

(١) جامع الترمذى ٥/٦٤٢ ، تحفة الاحوذى ١٠/٢٣٨

(٢) سيرة ابن اسحاق ص ١٢٠ـ١٢١ ،ابن هشام فى السيرة ١/٢٣٣

(٣) التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين العراقى ،تحقيق عبد الحسن محمد عثمان ط ١ ص ٣٠٨

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/٢٨ـ٢٩

(٥) الرياض النضرة للمحب الطبرى ١/٧٥

(٦) السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٣٢

(٧) البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٢٣

(٨) التقييد والايضاح ص ٣٠٨ بتصرف .

(٩) السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٣٧

(١٠) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٤

وهكذا نخرج بنتيجة تقول : ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار البالغين .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وقد اتفق الجمهور على أن أبابكر أول من أسلم من الرجال . "(١) قلت أى البالغين الأحرار ، ونحوه قال المحب الطبرى فى الرياض النضرة . (٢)

وهذه فضيلة عظيمة ،ومنقبة جليلة ، أن يكون أبو بكر الصديق أول الرجال الأحرار اسلاما ، ولا غرو أن تسبقه خديجة رضى الله عنها ،فهى زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأقرب الناس اليه ،وكذلك على رضى الله عنه ، حيث كان فى حجره حينئذ ،فقد ضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ليخفف عن عمه أبى طالب مؤنة المعيش ، اذ كان عائلا ، وكذلك بالنسبة لزيد بن حارثة رضى الله عنه ،فهو مولاه وخادمه ومن أقرب الناس اليه .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة وعلى وزيد وغيرهم من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كانوا يعيشون فى دار واحدة ،فلا غرو أن يسبقوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه الى الدخول فى الدين الاسلامى ولكن المنقبة العظيمة فى دخول الصديق رضى الله عنه فى هذا الدين قبل غيره ـ خلاف الثلاثة المذكورين آنفا ـ قبل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربائه ، وقبل أصهاره وجيرانه . فما هو السبق الى الخير دائما ، وما استبق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خير قط ، الا حاز الصديق قصب السبق ، " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . " (٣)

وهذا ما سنراه باذن الله فى الكثير من مواقفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٧/ ١٧٠

(٢) الرياض النضرة للمحب الطبرى ١/ ٧٥

(٣) سورة الجمعة آية ٤ .

المبحث الثانى

أبو بكر الداعى الى الاسلام ، وانفاقة فى سبيل الله ، وما تحمل من أذى المشركين

سارع الصديق رضى الله عنه الى الاسلام عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ، وما تردد وما تلعثم حين ذكره له ، ولم لا يسارع الى رحاب الدين ، وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق ، فكيف يكذب على الخالق . ولهذا بمجرد ما ذكره له أن الله أرسله بادر الى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عكس . (١)

وسبق الصديق رضى الله عنه غيره الى الاسلام يعود الى سببين :

الأول : أن الله شرح صدره للاسلام ، وأنار بصيرته ، وهدى عقله وتفكيره الى الصواب .

الثانى : تلك الصلة التى جمعت بين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبينه ، والصداقة التى وطدت عراها بين الاثنين ، وما علمه الصديق رضى الله عنه من صاحبه صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الصلة قبل البعثة من الكمال فى كل شىء ، فى الصدق الذى لا يعرف الكذب ، والوفاء الذى لا يعرف الغدر ، والأمانة التى لا تعرف الخيانة .

ولو أردنا أن نتعرف على كنه الصلة والصداقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الصديق ، لعرفنا أن كليهما اشتركا فى صفات لم تتوفر كثيرا فى غيرهما .

روى البخارى رحمه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : " فقالت - أى خديجة - له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ... الحديث " (٢)

هذا وصف خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول نزول الوحى .

وروى البخارى أيضا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : "... قال ابن الدغنة (٣) : فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار . ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع ، وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم : ان أبا بكر لا يخرج مثله ، ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ... الحديث " (٤)

---

(١) ذكر ابن الأثير فى جامع الأصول ٨/ ٥٨٥ نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة وتردد ونظر الا أبا بكر ، ما عكم عنه حين ذكرته ولا تردد فيه . " عن سيرة ابن اسحاق ص ١٢٠ ، وعزاه الارناؤوط فى تعليقه على الجامع الى الديلمى فى مسند الفردوس عن عبد الله بن مسعود . وذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة ١/ ٧١-٧٢ ، وسيرة ابن كثير ١/ ٤٣٣ عن ابن اسحق .

(٢) البخارى كتاب التعبير ، باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ٨/ ٦٧ الفتح ١٢/ ٣٥١ .

(٣) هو الحارث بن يزيد - الملقب ابن الدغنة - سيد قبائل القارة ، وهو الذى رجع الصديق فى جواره بعد أن هاجر الى الحبشة أنساب الأشراف للبلاذرى ١/ ٥٠٥

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الكفالة ، باب جوار أبى بكر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعقده ٣/ ٥٨ ، الفتح ٤/ ٤٧٥ ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/ ٢٥٢ ، الفتح ٧/ ٢٣٠ .

وهذا وصف ابن الدغنة للصديق أيضا أول عهد النبوة ، ولقد صدقته قريش ووافقته على ما وصف أبا بكر به وقبلت جواره .

لو نظرنا الى الحديثين لوجدنا أن كليهما ـ الرسول والصديق ـ تحلى بنفس الصفات الكريمة المذكورة ، فكل هذه الصفات وغيرها من فضائل الأمور حببت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه ، وقربته الى نفسه ، فما أن دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آمن به ، زميل طفولته ، ورفيق صباه ، وكيف لا يؤمن وهو صاحب الفطرة السليمة وكيف لا يؤمن وهو الذى لم يعهد فى صاحبه صلى الله عليه وسلم الا الصدق والمروءة والطهر والعفاف ، وقديما قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

وما دام القرين للصديق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذا وجدنا أن الصديق رضى الله عنه اقتدى به فى كل ما يقوم به النبى صلى الله عليه وسلم من دعوة الى الاسلام وتحمل لأذى المناوئين ، الى غير ذلك من صفات الدعاة .

ولما كان من طبيعة هذا الدين أن يصبح كل من دخل فيه داعيا اليه ، يضيء الطريق للسادرين فى ظلمات الشرك والجهالة ، المنغمسين فى مستنقع المادة الآسن ، وليخرجهم من عبودية غير الله ، الى عبودية الله واهب الحياة .

فاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذ الصديق يتصل بمن حوله من أهله وأصحابه الذين يألفونه ويغشونه ويجلسون اليه ، حتى أسلم على يديه نخبة من كبار الصحابة .

قال ابن اسحاق رحمه الله : " فلما أسلم أبو بكر ، وأظهر اسلامه ، ودعا الى الله ورسوله وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه ، محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، بما كان فيها من خير أو شر ، وكان رجلا تاجرا ، ذا خلق وممروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لخير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه . فأسلم على يديه فيما بلغنى الزبير بن العوام وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف .

وصحبهم أبو بكر فانطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهم الاسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الاسلام ، وبما وعدهم الله من الكرامة فآمنوا وأصبحوا مقرين بحق الاسلام ، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى . "(١)

وقول ابن اسحاق : " فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام ... الخ " يعنى من الذكور لأن أم المؤمنين خديجة صناتها وعلى وزيد رضى الله عنهم كانوا مؤمنين آنذاك .

---

(١) سيرة ابن اسحاق ١٢٠ـ١٢١ ، وسيرة ابن هشام عنه ١/ ٢٣٣ .
وذكر ابن كثير رحمة الله فى السيرة النبوية ٣/ ١٧٣ أن اسلام أبى سلمة عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى ، وأبى عبيدة ، وعثمان بن عفان ، والأرقم بن أبى الأرقم كان قديما فى يوم واحد ، وأبو سلمة هذا هو ابن برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة حيث ارضعتهم ثويبة مولاة أبى لهب لعنه الله .

هذا ولم يقتصر أبو بكر رضى الله عنه على دعوته رؤوس قريش وأشرافهم الى الدخول فى الاسلام ، بل امتدت يده الكريمة لتنال بالخير الضعفاء والموالى الذين يلاقون أشد العذاب ، لدخولهم فى دين الله ، فكان ينفق ماله لتحريرهم من الرق ، ولانقاذهم من العذاب والمهانة .

روى ابن اسحاق رحمه الله قال : وحدثنى محمد بن عبدالله بن أبى عتيق (١) ، عن عامر ابن عبدالله بن الزبير (٢) ، عن بعض أهله قال : قال أبو قحافة لأبى بكر : يا بنى انى أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك اذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا ، يمنعونك ويقومون دونك ، قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت انى انما أريد ما أريد لله عز وجل ، قال فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات الا فيه ، وفيما قال له أبوه : " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ... الى قوله : " وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى . "(٣)

وكان هذا من أبى قحافة بعد أن اشترى أبو بكر سبعة من العبيد ، بلال بن رباح (٤) ، وعامر بن فهيرة (٥) ، وزنيرة (٦) ، وأم عبيس (٧) وجارية

---

(١) محمد بن عبدالله بن أبى عتيق هو محمد بن عبدالرحمن بن أبى بكر المدنى صدوق روى له البخارى ، قرونا ، قال الذهلى : هو حسن الحديث فقه الزهرى ، كثير الرواية مقارب الحديث ، لولا أن سليمان بن بلال يحدث عنه لذهب حديثه . ذكره ابن حبان فى الثقات . الكاشف ٢/٦٤ ، التهذيب ٩/٢٧٧ ، التقريب ٢/١٨٠ .

(٢) عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدى أبو الحارث المدنى ، ثقة وثقه ابن سعد وابن معين والنسائى وأبو حاتم ، مات سنة احدى وعشرين ومائة . التاريخ الكبير ٦/٤٤٨ الجرح ٦/٣٢٥ ، التهذيب ٥/٧٤ ، التقريب ١/٣٨٨ .

(٣) الحديث بهذا السند ضعيف لابهام شيخ عامر ، لكن وصله الحاكم فى المستدرك ٥/٥٢٥ عن عامر عن أبيه وهو عبدالله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أبو بكر وأبو خبيب بالمعجمة مصغرا ، وكان أول مولود فى الاسلام بالمدينة من المهاجرين وولى الخلافة تسع سنين قتل فى ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين . الاستيعاب ٢/٢٩١ ، أسد الغابة ٣/٢٤٢ ، الاصابة ٢/٣٠١ ، التقريب ١/٤١٥ . فيصبح الحديث حسنا لغيره . وهو فى سيرة ابن هشام ١/٣١٩ عن ابن اسحاق ، والأخير فى سيرته ١٧١ عن عامر مرسلا ، وكذا الطبرى فى التفسير ٣٠/٢٢١ ، وابن كثير ٤/٥٢٠ ، والدر المنثور ٦/٣٥٨ ، والواحدى فى أسباب النزول ٤٨٧ تحقيق الاستاذ سيد صقر ، المستدرك ٢/٥٢٥ ، وابن الجوزى فى زاد المسير ٩/١٤٨ الهامش ، الفخر الرازى فى التفسير ٣١/٢٠٦ ، وابن عساكر كما فى الشوكانى (فتح القدير) ٥/٤٥٤ روح البيان ١٠/٤٥٢

(٤) بلال بن رباح الحبشى المؤذن وهو بلال بن حمامة وهى أمه ، اشتراه الصديق من أمية ابن خلف وأعتقه ، شهد جميع المشاهد مات بالشام سنة عشرين . الاستيعاب ١/١٤٥ اسد الغابة ١/٢٤٣ الاصابة ١/١٦٩

(٥) عامر بن فهيرة التميمى مولى أبى بكر أحد السابقين وكان ممن يعذب فى الله ، وكان للطفيل ابن عبدالله بن سخبرة فاشتراه أبو بكر منه وأعتقه ، استشهد فى بئر معونة وقيل انه رفع بين السماء والأرض . الاستيعاب أسد الغابة الاصابة ٢/٢٤٧

(٦) زنيرة بكسر أولها وتشديد النون المكسورة بعدها تحتانية مثناة ساكنة ، الرومية ، وذكرها ابن عبدالبر باسم زنبرة وزن عنبرة ، كانت من السابقات الى الاسلام وممن يعذب فى الله وهى التى رد الله بصرها كرامة لها . الاستيعاب أسد الغابة الاصابة

(٧) أم عبيس بضم المهملة مصغرا من السابقات الى الاسلام وأحد من كان يعذبه المشركون وهى زوج كريز بن ربعة بن حبيب بن عبد شمس اشتراها وأعتقها الصديق . الاستيعاب أسد الغابة الاصابة

بني مؤمل (١) ، والنهدية وابنتها (٢) فخشي أبو قحافة ضياع مال ولده دونما فائدة ، فقال له ما قال ، فكان جواب الصديق رضى الله عنه : " يا أبت انى انما أريد ما أريد لله عز وجل " فأنزل الله سبحانه وتعالى الآيات التى نص عليها الحديث وهى من سورة الليل من آية ٥ ـ ٢١ . لتكون هذه الحادثة حافزا لجميع المسلمين ، ليخلصوا فى أعمالهم وأن لا يتوجهوا بها الا الى الله . وتعتبر هذه الآيات من أعظم مناقب الصديق .

وتذكر كتب التفاسير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه اشترى بلالا بنبرد وعشر أواق من أمية بن خلف وأبى بن خلف ، قيل وكان مدفونا تحت الحجارة ، فقالوا : لو أبيت الا أوقية لبعناك ، فقال : ولو أنتم أبيتم الا بمائة أوقية لاشتريته بها . " (٣)

وكأنى بالصديق رضى الله عنه قد فطن لما فى كلمات المشركين من مرارة اليأس وخيبة الأمل ، وكان حريا ألا يجيبه .. ولكنه رأى أن فيها مساسا لكرامة أخيه المسلم ، فأجابهم بما أفحمهم وأدهشهم : " ولو أنتم أبيتم الا بمائة أوقية لاشتريته بها " فبلال العبد المسلم أغلى من كل الأموال ، وأغلى من المشركين جميعا .

لكن روى عن ابن المسيب (٤) قوله : " بل ابتاعه من أمية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون ، صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواشى وهو مشرك ، بعدما حمه أبو بكر على الاسلام على أن يكون له ـ ماله ـ فرضى . " (٥)

---

(١) جارية بنى مؤمل ـ حى من بنى عدى بن كعب ـ كانت مسلمة وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعذبها لتترك الاسلام وهو يومئذ مشرك ، وهو يضربها حتى اذا ملّ قال : انى أعتذر اليك انى لم اتركك الا ملالة فعل الله بك ، فتقول كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر وأعتقها . ابن اسحاق ١/١٩٠ ، فضائل الصحابة لأحمد ٨٩ .

(٢) النهدية وابنتها كانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها وهى تقول : والله لا أعتقكما أبدا ، فقاوضها أبو بكر فاشتراهما منها وأعتقهما . ابن اسحاق ١/١٩٠ ، فضائل الصحابة لأحمد رقم ٨٩ .

(٣) روح البيان ١٠/٤٥١ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٥٢٠ ، الخازن والبغوى ٧/٢١٢ الدر المنثور للسيوطى ٦/٣٥٨

(٤) سعيد بن المسيب بن حزن القرشى المدنى ، تابعى ثقة ، أحد الفقهاء الكبار اتفقوا على ان مرسلاته أصح المراسيل توفى بعد سنة أربع وتسعين على خلاف التاريخ الكبير ٣/٥١٠ ، الجرح ٤/٥٩ ، ابن سعد ٥/١١٩ ، وفيات الاعيان ٢/٣٧٥ ، التذكرة ١/٥٤ ، التهذيب ٤/٨٤ .

(٥) روح البيان / اسماعيل حقى ١٠/٤٥٢ ، رحمة للعالمين ١/٥٧ ، تلقيح الفهوم ص ٦١ عن ابن هشام فى السيرة ١/٣١٧ـ٣١٨ .

ولا تعارض بين الروايتين ، ويمكن الجمع بينهما ، وذلك : بأن الصديق رضى الله عنه كان قد عرض غلامه نسطاس للبيع فبلغ نفس الثمن الذى اشترى بلالا به ، وهو برد وعشر أواق ، فكأن الصديق باع نسطاسا لأمية بهذا الثمن ، واشترى بلالا بثمن نسطاس فى حينه ، ويؤيد ما ذهبت اليه أن صفوان بن أمية بحث بزيد بن الدثنة (١) مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم (٢) ، خارج الحرم ، ليقتله بأمية بن خلف الذى شفى الله صدر بلال بقتله على يديه (٣).

قال صاحب روح البيان عند قوله تعالى : "ولسوف يرضى" : وهذا وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها ، اذ به يتحقق الرضا ، قال بعضهم : أى يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله فى الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى ، جزاء على ما فعل . ولم ينزل هذا الوعد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : "ولسوف يعطيك ربك فترضى" ولأبى بكر رضى الله عنه ههنا . " (٤)

فهل هناك فضيلة أعظم من أن يمنح الله عبده صحبة نبيه ويضفى عليه صفات هى من صفات أصفيائه الأخيار ، وأكثر من ذلك أن يمده بما وعد به امام المرسلين صلى الله عليه وسلم من رضى عنه ، وارضاء له .

قال الامام ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل : " ولسوف يرضى " أى ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات . قال : وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك (٥) ، ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فان لفظ العموم وهو قوله

(١) زيد بن الدّثنة - بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون - ابن معاوية بن عبيد بن عامر الأنصارى البياضى ، شهد بدرا وأحدا ، وكان فى غزوة بئر معونة فأسره المشركون واشتراه صفوان بن أمية ، وقتله بأبيه . الاستيعاب الاصابة

(٢) التنعيم : موضع بمكة فى الحل وهو بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة . معجم البلدان ٤٩/٢

(٣) انظر قصة قتل زيد بن الدثنة فى سيرة ابن هشام ١٧٢/٢

(٤) روح البيان / اسماعيل حقى ٤٥٢/١٠

(٥) نقل القرطبى قول ابن مسعود فى أنها نزلت فى أبى بكر وقال : قاله عامة المفسرين ٨٢/٢٠ ، وقال ابن الجوزى فى زاد المسير عند قوله تعالى : " فأما من أعطى واتقى" أنها نزلت فى أبى بكر : هذا قول الجمهور ، كما جاء فى شرح المواقف للعلامة عضد الدين الايجى / السيد الشريف على بن محمد الجرجانى ٢٧٥/٣ : أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، التفسير الكبير للرازى ٢٠٥/٣١-٢٠٦ .

تعالى : " وسيجنبها الأتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى " ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف الحميدة ، فانه كان صدّيقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله فى طاعة مولاه ، ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم . فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتاج الى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله واحسانه على السادات والروءساء من سائر القبائل ، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية : " أما والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك "(١) ، وكان الصديق رضى الله عنه قد أغلظ له فى المقالة ، فاذا كان هذا حاله مع سادات العرب وروءساء القبائل فكيف بمن عداهم (٢)

ذكر الامام الفخر الرازى فى تفسيره ما قاله القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتاب الامامة من أن الآية الواردة فى حق على عليه السلام " انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا "(٣) ، والآية الواردة فى حق أبى بكر : "الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى "(٤) ، فدلت الآياتان على أن كل واحد منهما انما فعل ما فعل لوجه الله ، الا أن آية على أنه فعل ما فعل لوجه الله ، وللخوف من يوم القيامة ، على ما قال : " انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا " . وأما آية أبى بكر فانها دلت على أنه فعل ما فعل لمحض وجه الله من غير أن يشوبه طمع فيما يرجع الى رغبة فى ثواب ، أو رهبة فى عقاب ، فكان مقام أبى بكر أعلى وأجل . "(٥)

وقول الامام القاضى الباقلانى فيه نظر ، لأن قوله تعالى : " الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى " كان ردا على المشركين الذين علقوا على تحرير أبى بكر بلالا ، بقولهم : " ما فعل أبو بكر ذلك الا ليد كانت لبلال عنده ، فأنزل الله تعالى الآية "(٦)

ثم ان قوله تعالى : " الا ابتغاء وجه ربه الأعلى " يتضمن الخوف من الله تعالى ، مثاله قوله تعالى : " ان أنت الا نذير "(٧) فينقدح فى الذهن الوصف المقابل وهو

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الشروط ، باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط ٣/ ١٧٨ ، الفتح ٥/ ٣٢٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢١
(٣) سورة الدهر آية ٩ ، ١٠
(٤) سورة الليل آية ٢٠ ، ٢١
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازى ٣١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧
(٦) أسباب النزول للواحدى ٤٨٨ ، تفسير الطبرى ٣٠/ ١٤٦ ، القرطبى ٢٠/ ٨٨ روح المعانى للألوسى ١٠/ ١٩٤ ، روح البيان ١٠/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ، الفخر الرازى ٣١/ ٢٠٦ ، الخازن و البغوى ٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
(٧) سورة فاطر بعض آية ٢٣ .

"بشير" ، ولأن مقام إحداهما يغني عن الآخر ، فاكتفى بذكر احداهما ، والمقصود بوجه الله سبحانه وتعالى هنا : ارادة الجزاء من الله وحده لا من غيره ، وهذا الجـــزاء متضمن لاعطاء الخير وصرف الشـــر . والله أعلم .

واذا كان هناك وجه مفاضلة بين الصديق وبين علي رضى الله عنهما ، فهو أن كليهما اشتركا في بذل الخير لوجه الله سبحانه ، وازداد الصديق فضيلة بوعد الله له خـــاصـــة بالرضـا يوم القـيامة . والله أعلم .

قال الامام الفخر الرازى رحمه الله تعالى في قوله عز وجل : "وسيجنبها الأتقى ... الآيات" : أجمع المفسرون منا على أن المراد منه أبو بكر رضى الله عنه ، قال : واعلم أن الشـيعة بأسرهم ينكرون نزول هذه الآية في أبي بكر ، ويقولون انها نزلت في حق علي بن أبي طالب ، والدليل عليه قوله تعالى : "ويؤتون الزكاة وهم راكعون" (١) ، فقوله "الأتـــقى الذى يؤتى ماله يتزكى" اشارة الى ما في الآية من قوله : "يؤتون الزكاة وهم راكعون" (١)

ورد الامام الفخر الرازى هذا القول قائلا : "ان المراد من هذا الأتقى هو أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان كذلك وجب أن يكون المراد هو أبو بكر وذلك لقوله تعالى : ان أكرمكم عند الله أتقاكم" (٢) ، والأكرم هو الأفضل ، فدل على أن كل من كان أتقى وجب أن يكون أفضل ، ولهذا ثبت أن الأتقى المذكور ههنا لا بـد وأن يكون أفضل الخلق بعد الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقول: لا بد أن يكون المراد به أبا بكر ، لأن الأمة مجمعة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أو علي ، ولا يمكن حمل هذه الآية على علـي فتعين حملها على أبي بكر ، وذلك لأن الله قال : "وما لأحد عنده من نعمة تجزى" وهذا الوصف لا يصدق على علـي لأنه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث أخذه من أبيه ، وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب جزاؤها . أما أبو بكر فقد كان له عند الناس أيادى ، كما صرح بذلك عروة بن مسعود في صلح الحديبية ، أضف الى ذلك أن عليا كان صغيرا وقت نزول هذه السورة ، وكان الصديق رجلا غنيا ، يبذل المال والنفس في سبيل الدعوة ، وأن الآية التي نحن بصددها مكية أما الآية التي يدعون أنها دليل أو تفسير للأتقى فهي مدنيـــة . (٣)

---

(١) سورة المـــائـدة بعض آية ٥٥

(٢) سورة الحجـرات بعض آية ١٣

(٣) التفســير الكبير للفخر الرازى ٣١/٢٠٥ بتصـرف كبـير

وقال الامام الألوسى رحمة الله عليه : " واستدل بذلك الامام على رضى الله عنه على أنه - أى الصديق رضى الله عنه - أفضل الأمة ، وذكر انه فى الآيات ما يأبى قول الشيعة أنها فى على كرم الله تعالى وجهه . "(١)

هذا ومع أن السورة الكريمة نزلت فى صديق الأمة رضى الله عنه الا أنها عامة للناس جميعا ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال القفال رحمه الله تعالى : " نزلت هذه السورة فى أبى بكر وانفاقه على المسلمين ، وفى أمية بن خلف وبخله ، وكفره بالله ، الا أنها وان كانت كذلك ، لكن معانيها عامة للناس ، ألا ترى ان الله تعالى قال : " ان سعيكم لشتى "(٢) وقال : " فأنذرتكم نارا تلظى . "(٣)(٤)

---

(١) تفسير روح المعانى للألوسى ٢١/٢٠٥

(٢) سورة الليل آية ٤

(٣) سورة الليل آية ١٤

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ٣١/١٩٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ لأبى بكر رضى الله عنه حسن صنيعه ويسنوه بما بذل الصديق فى سبيل الله ورسوله

لقد بذل الصديق رضى الله عنه ماله وكل ما يملك فى سبيل الدعوة ،ولم يأل جهدا لاعلاء كلمة الله ، فجاد بماله كله ،طيبة به نفسه ، وما كان لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ،لذلك أثنى الله عليه فيما أنزل من قرآن ، وحفظ له الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجميل ، وردد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فى عدة مناسبات ، كما تشير الى ذلك الأحاديث الشريفة الآتية :

١- روى الامام البخارى رحمه الله فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " ... قال يا أبا بكر لا تبك ،ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ... الحديث . "(١)

٢- كما أخرج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ،عاصبا رأسه بخرقة فقعد على المنبر ،فحمد الله وأثنى عليه ،ثم قال : انه ليس من الناس أحد أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة ... الحديث . "(٢)

ويظهر من نص الحديث فضيلة الصديق رضى الله عنه ،فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن على الملأ ، وأكابر الصحابة ملتفون حوله أن أمنّ الناس عليه فى صحبته وماله أبو بكر ،فهو أكثرهم جودا بالنفس والمال لأن أمنّ أفعل تفضيل من المن

---

(١) صحيح البخارى كتاب الصلاة باب الخوخة والممر فى المسجد ١/١١٩ ، الفتح ١/٥٥٨ كتاب فضائل أصحاب النبى باب قول النبى سدوا الأبواب الا باب أبى بكر ٤/١٩١ فتح ٧/١٢٠ ، ٢٢٧ ، مسلم ٤/١٨٥٤ ،الترمذى ٥/٦٠٨ ،الدارمى ١/٣٩ ، الطبقات ٢/٢٢٨ ، ٢٣٠ كلهم عن أبى سعيد نحوه ، والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف ٥/١٨٠ ،ابن سعد ٢/٢٢٧ من طريق جرير بن حازم ،ورواه أحمد فى المسند ٥/٣٣٥ ، ٣٣٩ ،وأبو عبيد فى غريب الحديث ١/٦ عن سهل بن سعد ،والدارمى ١/٣٨ عن عائشة ،وأحمد فى المسند ٣/٤٧٨ ، ٤/٢١١ والترمذى ٥/٦٠٧ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ١٥٤ ، ١٦٧ من طريق ابن المعلى مرفوعا ، وأحمد فى فضائل الصحابة ٢١ عن جابر بن عبدالله .

(٢) صحيح البخارى كتاب الصلاة ،باب الخوخة والممر فى المسجد ١/١١٩ ،الفتح ١/٥٥٨ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٣-٢٥٤ الفتح ٧/٢٢٧ عن أبى سعيد الخدرى . وانظر تخريج الحديث السابق .

بمعنى العطاء والبذل ، وهذه فضيلة لم تسجل لأحد الا لأبى بكر رضى الله عنه .

قال الامام النووى : " قال العلماء : معناه أكثرهم جودا وسماحة لنا بنفسه وماله وليس هو من المنّ الذى هو الاعتداد بالصنيعة ،لأنه أذى ، مبطل للثواب ،ولأن المنة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فى قبول ذلك وغيره . " (١)

ولكن بعض الروايات فيها : ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر . " (٢)

ويمكن الجواب بما يلى :

اما أن تكون من فى الرواية الأخيرة زائدة ،

واما أن يكون المراد أن لغير الصديق رضى الله عنه مشاركة ما فى الأفضلية الا أنه مقدم فى ذلك ،ويؤيده ما رواه الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لأحد عندنا يد الا وقد كافيناه بها ، ما خلا أبا بكر ،فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ،وما نفعنى مال أحد قط ،ما نفعنى مال أبى بكر " (٣) فان ذلك يثبت يدا لغيره ، الا أن لأبى بكر رضى الله عنه رجحانا .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " فالحاصل أنه حيث أطلق أراد أنه أرجحهم فى ذلك وحيث لم يطلق أراد الاشارة الى من شاركه فى شىء من ذلك . " (٤)

ونقل الحافظ ابن حجر قول القرطبى فى هذا الحديث حيث قال : " هو من الامتنان ، والمراد أن أبا بكر له من الحقوق ما لو كان لغيره نظيرها لامتن بها ، يؤيده قوله فى رواية ابن عباس رضى الله عنهما : " ليس أحد أمنّ علىّ . " (٥)

قلت والحديث يحتمل كل هذه المعانى التى قيلت فيه .

٣ـ وأخرج الامام أحمد رحمه الله فى المسند قال : حدثنا معاوية يعنى ابن عمرو (٦) ،

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٥/١٥٠

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار ،باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٣ـ٢٥٤ ، الفتح ٧/٢٢٧ .

(٣) الترمذى ٥/٦٠٩ ، تحفة الأحوذى ١٠/١٤٦ـ١٤٧ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . قلت: حديث الترمذى هذا ضعيف فيه محبوب بن محرز التميمى لين الحديث ، وداود بن يزيد الأودى ضعيف ، وأبوه يزيد بن عبد الرحمن مقبول الا أنه حسن لغيره بمتابعاته وشواهده . وأخرجه أحمد فى المسند ٢/٢٥٣ ، ٣٦٦ وابن ماجة مختصرا فى المقدمة ١/١١ .

(٤) فتح البارى ٧/١٣

(٥) المصدر السابق ١/٥٥٩ ولفظ الحديث ليس كما ذكر ،والصحيح " انه ليس من الناس أحد أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة " والله أعلم .

(٦) معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدى أبو عمر البغدادى ،ثقة ،وثقه أحمد وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم ، مات سنة أربع عشرة ومائتين على خلاف . التاريخ الكبير ٧/٣٣٠ ،الجرح والتعديل ٨/٣٨٦ ، الطبقات لابن سعد ٧/٣٤١ ، تاريخ بغداد ١٣/١٩٧ ، التهذيب ١٠/٢١٥ .

قتنا أبو اسحاق يعنى الفزارى (١) ، عن الأعمش (٢) ، عن أبى صالح (٣) ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أنفق زوجا أو قال زوجين من ماله أراه قال فى سبيل الله ، دعته خزنة الجنة : يا مسلم هذا خير ، هلم اليه . فقال أبو بكر : هذا رجل لا توى(٤) عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نفعنى مال قط الا مال أبى بكر . قال : فبكى أبو بكر وقال : وهل نفعنى الله الا بك ، وهل نفعنى الله الا بك . " (٥)

٤ـ وفى رواية أخرى قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية (٦) ، قتنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر ، فبكى أبو بكر وقال : وهل أنا ومالى الا لك يا رسول الله ؟ " (٧)

---

(١) أبو اسحاق الفزارى هو ابراهيم بن محمد بن الحارث الكوفى ثقة مجمع على ثقته وامامته مات سنة خمس وثمانين ومائة على خلاف. التاريخ الكبير ١/ ٣٢١ ، الجرح ٢/ ١٢٨ الطبقات لابن سعد ٧/ ٤٨٨ ، التذكرة ١/ ٢٧٣ التهذيب ١/ ١٥١

(٢) الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى أبو محمد ، تابعى ثقة حافظ أخذ عليه تدليسه لكنه من مدلسى الطبقة الثانية توفى سنة ثمان وأربعين ومائة على خلاف . التاريخ الكبير ٤/ ٣٨ ، الجرح ٤/ ١٤٦ ، ابن سعد ٦/ ٣٤٢ تاريخ بغداد ٩/ ٣ وفيات الأعيان ٣/ ٤٠ طبقات المدلسين ص ١١ ، التهذيب ٤/ ٢٢٢

(٣) أبو صالح هو ذكوان السمان ، الزيات تابعى ثقة ، اتفق الأئمة على توثيقه مات سنة احدى ومائة . التاريخ الكبير ٢/ ٢٦٠ ، الجرح ٣/ ٤٥٠ ، ابن سعد ٥/ ٣٠١ ، الثقات للعجلى (ل ٤٦) ، التذكرة ١/ ٨٩ ، التهذيب ٣/ ٢١٩ .

(٤) لا توى : أى لا ضياع له ولا خسارة . النهاية فى غريب الحديث ط ٢ تحقيق الطناحى والزاوى ١/ ٢٠١

(٥) الحديث صحيح الاسناد ، أخرجه أحمد فى المسند ٢/ ٣٦٦ ، ٢/ ٢٦٨ ، ٤٤٩ نحوه ، وفى الفضائل له رقم ٣٢ مثله ، والجزء الأول من الحديث أخرجه البخارى كتاب الصوم باب الريان ٢/ ٢٢٦ ، الفتح ٤/ ١١١ ، وكتاب الجهاد باب فضل النفقة فى سبيل الله ٣/ ٢١٣ الفتح ٦/ ٤٨ ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٤/ ٨٠ ، الفتح ٦/ ٤٠٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باب لو كنت متخذا خليلا ٤/ ١٩٣ ، الفتح ٧/ ١٩ ، مسلم ٢/ ٧١٢ الترمذى ٥/ ٦١٤ ،

(٦) أبو معاوية : هو محمد بن خازم التميمى الضرير الكوفى ، ثقة ، أحفظ الناس لحديث الأعمش كان مرجئا ، واحتج به الشيخان . التاريخ الكبير ١/ ٧٤ ، الجرح ٧/ ٢٤٦ ، ابن سعد ٦/ ٣٩٢ ، الميزان ٣/ ٥٢٣ ، طبقات المدلسين ص ٢ ، التهذيب ٩/ ١٣٧ .

(٧) الحديث صحيح الاسناد وتدليس أبى معاوية والأعمش لا يضر ، فهما من المرتبة الثانية المقبولة تدليسها ، ثم ان أبا معاوية من أثبت أصحاب الأعمش وقد صرح بالتحديث ، أخرجه أحمد فى المسند ٢/ ٥٣٢ ، ٣٦٦ ، وابن ماجه ١/ ٣٦ من طريق أبى معاوية مثله . والجزء الأول من الحديث أخرجه أحمد فى الفضائل رقم ٢٠١ باسناد صحيح ، والحميدى فى مسنده ١/ ١٢١ ، والفسوى فى تاريخه ٢/ ٧٢١ ، وأبو يعلى كما فى المطالب العالية ٣/ ٢٤٩ كلهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة ، وأخرجه ابن ماجه ١/ ٣٦ عن أبى هريرة .

وهذا تصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الفضيلة العظيمة . وقوله : "ما نفعنى مال قط الا مال أبى" ليس معناه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتفع بما بذله الصحابة الآخرون ، كأموال عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، بل معناه أن ما بذله الصديق رضى الله عنه كان أنفع وثوابه أعظم وذلك للحاجة اليه فى بداية الدعوة الاسلامية ، ولاعتاق المستضعفين من أكابر الصحابة كبلال وعامر وغيرهم .

وبكاء الصديق رضى الله عنه لدى سماعه هذه الفضيلة كان الشكر لله ، والثناء عليه حيث قبل منه ما قد جادت به نفسه وبذله فى سبيل اعلاء كلمة الله ولأن هذا المال ما كان ليصل به صاحبه الى ما وصل اليه لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كانت الهداية على يديه ولهذا قال الصديق : " وهل نفعنى الله الا بك ، وهل رفعنى الله الا بك . "

كما دلت الأحاديث على أن لغير الصديق رضى الله عنه مشاركة ما فى هذه الفضيلة الا أن الصديق رضى الله عنه دائما يحوز قصب السبق فهو الأرجح ، وهو الأعظم والأكثر ثوابا عند الله تعالى ، لذلك نرى الصديق رضى الله عنه يرد الفضل لأهله فرسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم واذا كان الولد وما يملك لأبيه فالصديق وما يملك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، " وهل أنا ومالى الا لك يا رسول الله " .

وبناء على هذا الفهم عند الصديق رضى الله عنه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى الرجل فى مال نفسه .

٥ـ روى الامام عبدالله بن الامام أحمد (١) رحمهما الله تعالى قال : حدثنى جعفر بن محمد بن فضيل (٢) ، ثنا حسين بن محمد (٣) ، ثنا موسى يعنى ابن أعين (٤) ،

---

(١) الامام عبدالله بن الامام أحمد بن محمد بن حنبل الحافظ الحجة الثقة ، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وتوفى سنة تسعين ومائتين ، وهو راوى كتب والده . تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥ المنتظم لابن الجوزى ٦/ ٣٩ ، الكامل لابن الأثير ٧/ ١٨٨ ، التذكرة ٢/ ٦٦٥ ، البداية والنهاية ١١/ ٩٦ ، طرح التثريب ١/ ٦٣ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٠٣ ، المصعد الأحمد ص ٣٨ التهذيب ٥/ ١٤١ .

(٢) جعفر بن محمد بن فضيل الرسعنى ـ بفتح الراء وسكون السين المهملة وفتح العين بعدها نون ـ نسبة الى مدينة رأس عين ، وهى معروفة بديار بكر ، صدوق حافظ . اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الاثير ٢/ ٢٥ ، الميزان ١/ ٤١٥ ، التهذيب ٢/ ١٠٥ ، التقريب ١/ ١٣٢ .

(٣) حسين بن محمد بن أعين الحرانى أبو على ، صدوق روى له البخارى ومسلم ، وذكره ابن حبان فى الثقات . الجرح ٣/ ٣٥ ، التهذيب ٥/ ٣١٧ ، التقريب ١/ ١٧٠ .

(٤) موسى بن أعين ، أبو سعيد الجزرى ، ثقة ، مات سنة خمس وسبعين ومائة على خلاف . التاريخ الكبير ٧/ ٢٨٠ ، الجرح ٨/ ١٣٧ ، التهذيب ١٠/ ٣٣٥ ، التقريب ٢/ ٢٨١ .

ثنا اسحاق يعني ابن راشد (١) ، عن الزهري (٢) ،عن ابن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر ، ومنه أعتق بلالا ، وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي الرجل في مال نفسه . " (٣)

وهكذا نجد الصديق رضي الله عنه قد استنفر كل ما لديه من مال ونفس لاعلاء كلمة الله في الأرض ، ولرفع الظلم الطواغيت عن عباد الله ، ووضع الصديق رضي الله عنه نفسه رهن اشارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ملازمه وخادمه وحارسه .

٦ـ روى الامام مسلم رحمه الله في صحيحه قصة اسلام أبي ذر رضي الله عنه قال فيه :

"ـــ ... وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استلم الحجر و طاف بالبيت هو وصاحبه ،ثم صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذر : فكنت أنا أول من حيّاه بتحية الاسلام قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ،فقال : وعليك ورحمة الله ،ثم قال : من أنت ؟ قلت : من غفار . قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته ،فقلت في نفسي : كره أن انتميت الى غفار ،فذهبت آخذه بيده ،فقدعني (٤) صاحبه ،وكان أعلم به مني ،ثم رفع رأسه ،ثم قال : متى كنت هلهنا ؟ قال : قلت : قد كنت هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قال : قلت : ما كان لي طعام الا ماء زمزم ،فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة جوع . قال : انها مباركة ،انها

---

(١) اسحاق بن راشد الجزري أبو سليمان الحراني ،ثقة يهم في حديث الزهري ،وقال الذهبي صدوق ، وقال النسائي : ليس به بأس . الجرح ٢١٩/١ ،الميزان ١٩/١ ،التهذيب ٢٣٠/١ ،التقريب ٥٧/١ .

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ،أبو بكر الزهري ثقة فقيه متفق على جلالته و يدلس نادرا ،من الطبقة الثانية للمدلسين ذكره العلائي ،توفي سنة خمس وعشرين ومائة التاريخ الكبير ٢٢٠/١ ،الجرح ٧١/٤ ،التذكرة ١٠٨/١ ،الميزان ٤٠/٤ ،التهذيب ٤٤٥/٩

(٣) رجال الاسناد رجال الحسن ،لكنه مرسل ،الا أن مرسلات سعيد بن المسيب جعلوها من أصح المراسيل ، أخرجه أحمد في الفضائل رقم ٣٦ ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢٢٨/١١ الروض النضرة ١٥٤/١ ،وله متابع عن ابن المسيب بلفظ : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أبي بكر كأنه يدخل بيته ،ويصنع بمال أبي بكر كما يصنع بماله " المصنف لعبد الرزاق ٢٢٨/١١ ، وقريب منه ما روى عن ابن عباس مرفوعا " ما من أحد أعظم عندي يدا من أبي بكر ، واساني بنفسه وماله . " مجمع الزوائد ٤٦/٩ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وزاد وأنكحني ابنته . وذكره المقري في الأحاديث المختارة (ل ٣٢أ) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بدون ذكر المال ،قال ابن حجر في الفتح ١٣/٧ : وفي حديث مالك بن دينار عن أنس رفعه " ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر ، زوجني ابنته ،وواساني بنفسه ،وان خير المسلمين مالا أبو بكر ،أعتق منه بلالا ،وحملني الى دار الهجرة " قال : وأخرجه ابن عساكر ،وأخرج من رواية ابن حبان التيمي عن أبيه عن علي نحوه .

(٤) فقدعني : أي كفني ،يقال : قدعه وأقدعه اذا كفه ومنعه وهو بدال مهملة . النهاية ٢٤/٤ ، النووي على مسلم ٣٠/١٦

طعام طعم (١) ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وانطلقت معهما ، ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، وكان ذلك أول طعام أكلته بها ، ثم غبرت ما غبرت (٢) ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انه قد وجّهت لى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب ، فهل أنت مبلغ عنى قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ، ... الحديث" (٣)

نرى فى هذا الحديث أن الصديق رضى الله عنه ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملازما له أكثر يومه ، فها هو صاحبه معه حتى فى الليل ، حين طوافه صلى الله عليه وسلم ، يلازمه حارسا له وخادما ، وذلك يظهر جليا عندما ذهب أبو ذر ليأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدمه الصديق ، وكفه عنه ، لأنه خشى أن ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذى.

كما يدل الحديث على أن الصديق رضى الله عنه يستضيف أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكرمهم لأنه يرى أن ذلك اتحاف له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تبينه رواية مسلم عن عبد الله بن الصامت وفيها " فقال أبو بكر : أتحفنى بضيافته الليلة ".

وقد تكرر اكرام الصديق لضيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى كل المشهدين المكى والمدنى .

٧- روى الامام البخارى رحمه الله عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما ، أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال مرة ، من كان عنده طعام اثنين ، فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس ، أو كما قال ، وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبى صلى الله عليه وسلم بعشرة ، وأبو بكر ثلاثة قال : فهو أنا وأبى وأمى ، ولا أدرى هل قال امرأتى ، وخادمى ، بين بيتنا وبيت أبى بكر ، وأن أبا بكر تعشى عند النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بعدما مضى من الليل

---

(١) طعام طعم : بضم الطاء واسكان العين أى تشبع شاربها كما يشبعه الطعام . النهاية ٢٤/٤ ، النووى على مسلم ٣٠/١٦

(٢) غبرت ما غبرت : بفتح الغين المعجمة والباء الموحدة وسكون الراء المهملة أى بقيت ما بقيت . النووى على مسلم ٣٠/١٦

(٣) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبى ذر ١٩١٩/٤ ، النووى على مسلم ٢٧/١٦ ، ورواية عبد الله بن الصامت فى ١٩٢٣/٤ ، النووى على مسلم ٣٢/١٦ وفيه ألحقنى بدلا من أتحفنى . وقصة اسلام أبى ذر فى البخارى كتاب مناقب الأنصار باب اسلام أبى ذر ٢٤١/٤ الفتح ١٧٣/٧ بغير سياق مسلم .

ما شاء الله قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك ؟ قال : أو عشيتهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء ، قد عرضوا عليهم فغلبوهم (١) ، فذهبت فاختبأت ، فقال : يا غنثر * فجدع (٢) وسب ، وقال : كلوا . وقال : لا أطعمه أبدا ، قال : وأيم الله ما كنا نأخذ من اللقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل .

فنظر أبو بكر ، فاذا شيء أو أكثر ، فقال لامرأته : يا أخت بني فراس !! قالت : لا ، وقرة عيني (٣) ، لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر ، وقال : انما كان الشيطان ، يعني يمينه ، ثم أكل منها لقمة ، ثم حملها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عهد ، فمضى الأجل ، فعرفنا اثنا عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، غير أنه بعث معهم ، قال : أكلوا منها أجمعون ، أو كما قال ، وغيرهم يقول فتفرقنا (٤)

ومن هذا الحديث نعلم أن الصديق رضي الله عنه كان يكرم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما رأينا مع أبي ذر في الحديث السابق ، وأهل الصفة في هذا الحديث ويعهد الى من يكرمهم في غيابه ، ويظهر من الحديث ان الصديق رضي الله عنه أخذ ثلاثة ، وأهل بيته أربعة فأصبح عددهم سبعة ، أي أنه أخذ واحدا زائدا عما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأن الحكمة في ذلك أنه أراد أن يؤثر السابع بنصيبه اذ ظهر له أنه سيتناول طعام العشاء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا زيادة اكرام لضيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ويبدو لي والله أعلم أن الذي حملهم على أن ينتظروا الصديق رضي الله عنه ولم يكتفوا بولده مع اذنه لهم في ذلك ، هو الأدب والرفق بأبي بكر ، لأنهم ظنوا أنه لا يحصل له عشاء من عشائهم ، وكذلك رغبتهم في مؤاكلته ومجالسته ، لأنهم يعلمون حب النبي صلى الله عليه وسلم له ، فهم يحبونه رضي الله عنه لأجل ذلك ، ولأجل مكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ويدل الحديث على ما كان عليه الصديق من الحب والانقطاع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايثاره في ليله ونهاره على الأهل والولد والضيفان وغيرهم .

---

(١) عرضوا عليهم فغلبوهم : أي عرضوا عليهم الطعام فأبوا ، فعالجوهم فامتنعوا حتى غلبوهم . فتح الباري ٦/ ٥٩٧ .

* غنثر : بضم المعجمة وسكون النون وفتح المثلثة : وهو الثقيل الوخيم ، وقيل الجاهل وقيل الذباب شبهه به تحقيرا له وصغيرا لقدره . غريب الحديث للخطابي ٢/ ٦ النهاية ٣/ ٣٨٩

(٢) فجدع : دعا بالجدع وهو قطع الأنف أو الأذن وغيره من الأعضاء ، وقيل : خاصمه وذمه النهاية ١/ ٢٤٧ ، فتح الباري ٦/ ٥٩٧

(٣) لا وقرة عيني : يعبر بها عن المسرة و رؤية ما يحبه ، وقيل مأخوذ من القر وهو البرد فتح الباري ٦/ ٥٩٩

(٤) البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ٤/ ١٧٢ الفتح ٦/ ٥٨٧ =

كما ويظهر سمة علم الصديق رضي الله عنه ، وفقهه حيث قد حلف يمينا ، ورأى غيرها خيرا منها ، فعدل عن يمينه الى ما هو خير (١) ، وكذلك عندما تعارض حنثه وحنث ضيوفه ، حنث نفسه لأن حقهم عليه آكد ، ولكونه أكثر قدرة منهم على الكفارة . هذا وقد ورد في حديث مسلم أنه قال : " ولم تبلغني كفارة " (٢)

كما ويظهر من الحديث كرامة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه وآل بيته ، وذلك بازدياد طعام الجفنة التي قدمها لضيفانه ، وتظهر الكرامة جلية عندما أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكل منها جميع الجيش ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم تقتصر مرافقة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم داخل مكة المكرمة ، بل كان يخرج معه خارج مكة ، لتبليغ دعوة الله والقيام بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحراسته .

٨ — روى الامام أحمد في مسنده ، قال : حدثنا عفان (٣) ، حدثنا حماد بن سلمة (٤) ، عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " كنت غلاما يافعا ، أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط بمكة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرا من المشركين ، فقالا : يا غلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ قلت : اني مؤتمن ، ولست بساقيكما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل؟ قلت : نعم . فأتيته بها ، فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسح الضرع ودعا ، فحفل الضرع ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة ، فاحتلب فيها فشرب وشرب أبو بكر ثم شربت ، ثم قال للضرع : اقلص ، فقلص .

---

(١) روى الامام البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها : "أن أباها كان لا يحنث في يمين ، حتى أنزل الله كفارة اليمين ، فقال أبو بكر : لا أرى يمينا أرى خيرا منها الا قبلت رخصة الله وفعلت الذي هو خير . " كتاب التفسير باب لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . فتح الباري ٨/ ٢٧٥ ، كتاب الايمان والنذور ، باب قول الله تعالى : لا يؤاخذكم الله في أيمانكم . الفتح ١١/ ٥١٦ .

(٢) قال النووي : يعني لم يبلغني أنه كفر قبل الحنث ، فأما وجوب الكفارة فلا خلاف فيه لقوله صلى الله عليه وسلم : " وليكفر عن يمينه " النووي على مسلم ١٤/ ٢٢

(٣) عفان بن مسلم الباهلي أبو عثمان الصفار البصري ثقة ثبت من كبار العاشرة مات بعد صفر سنة تسع عشرة ومائتين . الكاشف ٢/ ٢٧٠ الميزان ٣/ ٨٢ ، التهذيب ٧/ ٢٣٠

(٤) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ، ثقة عابد تغير حفظه في آخر عمره من كبار الثامنة مات سنة سبع وستين ومائة ، التهذيب ٣/ ١١ ، التقريب ١/ ١٩٧ ، هدى الساري ص ٣٩٩ ، الكواكب النيرات ص ٣٢٤

فأتيته بعد ذلك فقلت : طمنى من هذا القول . قال : انك غلام معلم . فأخذت من فيه بضعين سورة لا ينازعنى فيها أحد . "(١)

وهذه الرواية دلت على سبب اسلام ابن مسعود رضى الله عنه ،وهو ما أظهره الله على يد نبيه صلى الله عليه وسلم من معجزة در الضرع اليابسة ،وكانت هذه الحادثة فى بداية الدعوة ، قبل الهجرة ، لأن ابن مسعود أسلم بعد اثنتين وعشرين نفسا ، كما ذكر ابن اسحـــاق . (٢)

وأورد الهيثمى فى مجمع الزوائد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى سـادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا ،وقال الهيثمى : رواه الطبرانى والبزار ورجالهما رجال الصحيح . (٣) قلت : وهذا محمول على ما اطلع عليه هو .

وهكذا يظهر لنا أن الصديق رضى الله عنه أعطى وقته وماله ونفسه لله وللرسول ،ولم يبخل بشيء مهما كان فى سبيل الاسلام ، وقد دلت الأحاديث الكثيرة على أن الصديق رضى الله عنه كان يخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أمر الله له بأن يصدع بالدعوة ويعرض نفسه على القبائل .

٩- روى البيهقى فى دلائل النبوة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه من فيه قال : " لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضى الله عنه ،فدفعنا الى مجلى من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه وكان مقدما فى كل خير ،وكان رجلا نسابة ، فسلم ،وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأى ربيعة أنتم - فذكروا حديثا طويلا فى مراجعتهم وتوقفهم أخيرا عن الاجابة - وفيه فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وقام أبو بكر رضى الله عنـــه يظله بثوبه ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ،وأن محمدا عبده ورسوله ،والى أن تؤوونى وتنصرونى ... وفيه أيضا فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سرّ بما كان من أبى بكر ومعرفته بأنسابهم . "(٤)

---

(١) الحديث اسناده حسن ،وأخرجه أحمد فى المسند ١٩٠/٦ ،وكذلك فى ٢١٠/٥ ،٢١١ بتحقيق أحمد شاكر وصححه ،والطيالسى فى منحة المعبود ١٢٤/٢-١٢٥ ، البداية والنهاية ١٠٢/٦ ، ابن سعد ١٥٠/٣ ، دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١١٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢٥٤/١ ، سير أعلام النبلاء للذهبى ٣٣٤/١

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى ٢٨٧/٩

(٤) الحديث اسناده حسن ،أخرجه البيهقى فى الدلائل ١٦٤/٢ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، وذكره ابن حجر فى الفتح ٢٢٠/٧ وقال : وقد أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل باسناد حسن عن ابن عباس .

١٠- روى الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله قصة العوراء أم جميل زوجة أبي لهب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول سورة اللهب ، وذلك عن أبي بكر البزار الحافظ .

قال : حدثنا ابراهيم بن سعيد (١) ، وأحمد بن اسحاق (٢) ، قالا : حدثنا أبو أحمد (٣) ، حدثنا عبدالسلام بن حرب (٤) ، عن عطاء بن السائب (٥) ، عن سعيد ابن جبير (٦) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت "تبت يدا أبي لهب" جاءت امرأة أبي لهب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحيت لا تؤذيك بشيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه سيحال بيني وبينها . فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك . فقال أبو بكر : لا ورب الكعبة ، هذه البنية ، ما ينطق بالشعر ، ولا يتفوه به . فقالت : انك لمصدق . فلما ولت قال أبو بكر : ما رأتك ؟ قال : لا ، ما زال ملك يسترني حتى ولت . " (٧)

قال ابن كثير : ثم قال البزار : لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الاسناد عن أبي بكر رضي الله عنه .

وهذا الحديث يدل على كثرة ملازمة الصديق لرسول الله ، كما يدل على سرعة بديهيته ، وفقهه وحسن استنتاجه ، فقول الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بالشعر بل هو وحي ، قال تعالى : " وما علمناه الشعر وما ينبغي له " (٨) .

---

(١) ابراهيم بن سعيد الجوهري أبو اسحاق الطبري ، نزيل بغداد ، ثقة حافظ ، من العاشرة مات في حدود الخمسين ومائتين . التقريب ١/ ٣٥

(٢) أحمد بن اسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي ، أبو اسحاق البصري ، ثقة من التاسعة مات سنة احدى عشرة ومائتين . التقريب ١/ ١٠

(٣) أبو أحمد هو محمد بن عبدالله بن الزبير بن عمرو بن درهم الأسدي الزبيري الكوفي ثقة ثبت الا أنه قد يخطيء في حديث الثوري من التاسعة ، مات سنة ثلاث ومائتين . التاريخ الكبير ١: ١٣٣ ، الجرح ٧/ ٢٩٧ ، ثقات العجلي (ل ٤٩ ب) ، التهذيب ٩/ ٢٥٤ التقريب ٢/ ١٧٦ .

(٤) عبدالسلام بن حرب النهدي الملائي أبو بكر الكوفي ثقة ، وثقه ابن معين والدارقطني وفي رواية عن ابن معين : ثقة ، مات سنة ست وثمانين ومائة على خلاف . التاريخ الكبير ٦/ ٦٦ ، الجرح ٦/ ٤٧ ، ابن سعد ٦/ ٣٨٦ ، التهذيب ٦/ ٣١٧ ، التقريب ١/ ٥٠٥

(٥) عطاء بن السائب أبو محمد ، يقال أبو السائب الثقفي الكوفي ، صدوق اختلط ، من الخامسة مات سنة ست وثلاثين ومائة . التاريخ الكبير ٦/ ٤٦٥ ، الجرح ٦/ ٣٣٣ ، ابن سعد ٦/ ٣٣٨ ، الضعفاء للعقيلي (ل ١٧٢) ، التقييد والايضاح ص ٤٤٢ ، الميزان ٣/ ٧٠ هدى الساري ص ٤٢٥ ، التهذيب ٧/ ٢٠٣ ، تلخيص الحبير ٣/ ١٩٥ ، التقريب ٢/ ٢٢ سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤/ ٣٢

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي أبو محمد ثقة ثبت فقيه ، روايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة ، قتل بين سديدي الحجاج سنة خمس وتسعين . التاريخ الكبير ٣/ ٤٦١ الجرح ٤/ ٩ ، ابن سعد ٦/ ٢٥٦ ، ثقات العجلي (ل ٢٠ ب) التهذيب ٤/ ١١

(٧) الحديث اسناده حسن ، ابن كثير في التفسير ٤/ ٥٦٥ ، ابن هشام ١/ ٣٥٥ ، السيرة الحلبية ١/ ٣٢٥ ، تاريخ الخميس ١/ ٢٨٨ وفي بعضها زيادة .

(٨) سورة يس بعض آية ٦٩ .

الأحاديث التى تشير الى دفاع الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحمله الأذى فى سبيل الدعوة

ان أصحاب الدعوات فى كل زمان ومكان يمتحنون ، لاظهار مدى تمسكهم بها ومدى تغلغل هذه الدعوات فى قلوبهم . وأشد الناس بلاء الأنبياء ، لأنهم أصحاب دعوات سماوية ، ثم أتباع الأنبياء ، لأنهم آمنوا بهم وتمسوا بعقيدتهم ، ويطرد الابتلاء مع قوة الايمان فى النسبة . ولما كان الصحابة أقوى الناس ايمانا بعد الأنبياء كان ابتلاؤهم على قدر ايمانهم .

والصديق رضى الله عنه لم يكن بدعا من الصحابة ، فقد أوذى فى الله أشد الايذاء حتى أغمى عليه ، وكاد أن يقضى نحبه ، وهاهى بعض الأحاديث التى تبين لنا ما أصابه من الأذى ، وما تحمل فى سبيل الدعوة الى الله ورسوله .

روى الامام أحمد فى مسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : كان أول من أظهر اسلامه سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمار وأمه سمية ، وصهيب وبلال والمقداد ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم فى الشمس ، فما منهم انسان الا وقد واتاهم على ما أرادوا ، الا بلال فانه هانت عليه نفسه فى سبيل الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان ، فأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد . " (١)

وروى الامام البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه عن عروة بن الزبير قال : سألت عبدالله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رأيت عقبة بن أبى معيط جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى ، فوضع رداءه فى عنقه ، فخنقه به خنقا شديدا ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه حتى دفعه ، فقال : " أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم . " (٢)

---

(١) الحديث اسناده حسن ، رواه الامام أحمد فى المسند ١/٤٠٤ ، انظر ص

(٢) سورة غافر بعض آية رقم ٢٨ . والحديث أخرجه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : " لو كنت متخذا خليلا " ٤/١٩٧ ، فتح ٧/٢٢ كتاب مناقب الانصار باب ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة الفتح ٧/١٦٥ ، وفى تفسير سورة غافر فتح ٨/٢٥٣ ، وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده كما فى المطالب العالية المسندة ٤/٣٨ ، وأبو نعيم فى الدلائل ١/٦٧ عن عمرو بن العاص .

قال المحب الطبرى : عمرو بن العاص كان شاهدا للقصة ، وابنه عبدالله ارسله ضده ، ولم يكن شاهدا .

وهذا الحديث مع أنه صحيح لكنه يخالف ما جاء عن عائشة أنه صلى الله عليه =

وقد تابعه ابن اسحاق* قال : حدثني يحيى بن عروة بن الزبير(١) عن أبيه(٢) عروة ابن الزبير ،عن عبدالله بن عمرو بن العاص(٣) ،قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ،فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ،سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا وعاب ديننا ،وفرّق جماعتنا ،وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فوقف هم قال : أتسمعون يا معشر قريش ،أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على راسه طائر واقع ، حتى ان أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك لمرفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،حتى اذا كان الغد اجتمعوا في

=وسلم قال لها : " وكان أشد ما لقيت من قومك ـــ " فذكر قصته بالطائف مع ثقيف انظر البخاري كتاب بدء الخلق باب اذا قال أحدكم آمين ٨٣/٤ فتح ٣١٢/٦ ومسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ١٤١٠/٣ ، والجمع بينهما أن عبدالله بن عمرو استند الى ما رواه ، ولم يكن حاضرا للقصة التي وقعت بالطائف، كما يبينه حديث ابن اسحاق .

وقد وصله البخاري فقال عقب هذا الحديث ،وقال عبدة عن هشام عن أبيه قيل لعمرو ابن العاص ، وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص . فيحتمل أن يكون عروة سأله مرة وسأل أباه مرة أخرى .

* ذكر ابن حجر نحو الجزء الأخير من قصة ابن اسحاق ولفظه : " ما رأيت قريشا أرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يوما أغروا به ،وهم في ظل الكعبة جلوسا ، وهو يصلي عند المقام ،فقام اليه عقبة فجعل رداءه في عنقه ،ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ، وتصايح الناس وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ،فلما قضى صلاته مر بهم ، فقال : والذي نفسي بيده ، ما أرسلت اليكم الا بالذبح ،فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولا ، فقال "أنت منهم " . قال (وأخرجه أبو يعلى وابن حبان . فتح الباري ١٦٩/٧

(١) يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عروة المدني ثقة ، كان أعلم من أخيه هشام بن عروة . الجرح ١٧٥/٩ ، التهذيب ٢٥٧/١١ ، التقريب ٣٥٤/٢ .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبدالله المدني ،تابعي ثقة فقيه مشهور ،قال الذهبي : عروة بحر لا ينزف ،توفي سنة أربع وتسعين . ابن سعد ١٧٨/٥ ، التاريخ الكبير ٣١/٧ ، تذكرة الحفاظ ٦٢/١ ، وفيات الاعيان ٢٥٥/٣ ، التهذيب ١٨٨/٧ ، التقريب ١٩/٢ .

(٣) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد (بالتصغير) السهمي ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة ،وأحد العبادلة الفقهاء ،مات بالطائف . الاستيعاب أسد الغابة الإصابة التقريب ٤٣٦/١ .

الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إنا باداكم بما تكرهون تركتموه .

فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا الذى أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، قال ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط . " (١)

"وقد أخرج أبو يعلى والبزار باسناد صحيح عن أنس قال : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة حتى غشى عليه ، فقام أبو بكر فجعل ينادى : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ فتركوه ، وأقبلوا على أبى بكر . قال : هذا من مراسيل الصحابة .

" وقد أخرج أبو يعلى باسناد حسن مطولا من حديث أسماء بنت أبى بكر أنهم قالوا لها : ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فذكر نحو سياق ابن اسحاق المتقدم قريبا وفيه : " فأتى الصريخ الى أبى بكر فقال : أدرك صاحبك ، قالت : فخرج من عندنا وله غدائر أربع ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ فلهوا عنه ، وأقبلوا الى ابى بكر ، فرجع الينا أبو بكر ، فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا رجع معه . " (٢)

---

(١) الحديث اسناده صحيح ، وأخرجه ابن هشام عن ابن اسحاق فى السيرة ١/ ٢٨٩ـ٢٩٠ .

(٢) فتح البارى ٧/ ١٦٩ ، وأخرجه المحب الطبرى فى الرياض النضرة ١/ ٧٩ ، وعزاه الى أبى عمر ـ أى الاستيعاب ـ ، والمطالب العالية مختصرا ٤/ ٣٨ ، ٤/ ١٩٢ ـ ١٩٣ ، وعزاه الى الحميدى ١/ ١٥٥ ، وأبى يعلى . قال الأعظمى فى الحاشية وقال البوصيرى : رواه الحميدى وأبو يعلى باسناد رواته ثقات ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣١ ـ ٣٢ وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٢٣٩ ، الاستيعاب ٢/ ٢٣٨ .

وذكر ابن حجر رواية عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وأسندها الى الزبير بن بكار ، والدارقطنى فى "الأفراد" فيها : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده فى يد أبى بكر ، وفى الحجر عقبة بن أبى معيط ، وأبو جهل وأمية ابن خلف ، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسمعوه بعض ما يكره ثلاث مرات ، فلما كان فى الشوط الرابع ناهضوه ، وأراد أبو جهل أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعته ، ودفع أبو بكر أمية بن خلف ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة ... " وقال هذا السياق مغاير لحديث عبدالله بن عمرو ، وقال أيضا سنده ضعيف . فتح البارى ٧/ ١٦٨ بتصرف . وانظر القصة كاملة فى السيرة الحلبية ١/ ٣٢٩ـ٣٣٠ .

وقد ذكر ابن حجر رحمة الله عليه في الفتح أن لقصة أبي بكر هذه شاهدا من حديث علي رضي الله عنه أخرجه البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال : " من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت . قال : أما اني ما بارزني أحد الا أنصفت منه ، ولكنه أبو بكر ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش ، فهذا يجوءه (١) وهذا يتلقاه ، ويقولون له : أنت تجعل الآلهة الها واحدا ، فوالله ما دنا منا أحد الا أبا بكر ، يضرب هذا ويدفع هذا ويقول : ويلكم ، أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟

ثم بكى علي ، ثم قال : أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال علي : والله لساعة من أبي بكر خير منه ، ذاك رجل يكتم ايمانه ، وهذا رجل يعلن بايمانه . "(٢)

نعم ، لقد دافع الصديق رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف لا يدافع عنه وهو الذي أرسله الله سبحانه وتعالى بشيرا ونذيرا ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، والصديق يريد أن يشرق النور - نور الهداية - على كل الناس . وكيف لا يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذى ، ويفتديه بماله ونفسه ، وهذا أعلى مراتب الجهاد ، وكيف لا يفعل ذلك وهو الذي يجد لذة ما بعدها لذة ، وهو يتحمل الأذى عن حبيبه ورسوله .

فإذا كان الصحابي الجليل زيد بن الدثنة رضي الله عنه ، يقول حين سأله أبو سفيان رضي الله عنه : " أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ ، قال : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلي . " (٣)

فانا كانت الشوكة لا يرضاها الصحابي ، فكيف يرضى الصديق وهو رأس الصحابة أن ينال الرسول صلى الله عليه وسلم أذى ، وهو يستطيع أن يقدم روحه فداء له .

فنعم الصديق كان الصديق ، ونعم الصاحب كان "صاحبه" .

---

(١) يجوءه : يدفعه النهاية

(٢) فتح الباري ٧/١٦٩ . ومحمد بن علي هو محمد بن الحنفية أبو القاسم ثقة عالم من الثانية مات بعد الثمانين على خلاف ، التقريب ٢/١٩٢ ، التهذيب ٩/٣٥٤ وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٢٦٩ ، والمحب الطبري ١/١٢١ هذه الرواية عن محمد بن عقيل عن علي ، ومحمد بن عقيل بن أبي طالب روى عن أبيه وعنه ابنه عبدالله ، قال ابن حجر : مقبول من الثامنة التهذيب ٩/٣٤٨ ، التقريب ٢/١٩٢ ، ولم يصرح في التهذيب أنه روى عن علي رضي الله عنه ، فالحديث من رواية محمد بن علي عن أبيه صحيح ، أما من رواية محمد بن عقيل فحسن ان شاء الله ، وعلى كل فالحديث له شواهد كثيرة صحيحة . ابن هشام ١/١٨٣ ، تاريخ الطبري ٢/٣٣٢ ، ومجمع الزوائد ٩/٤٧ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٧٢ .

ان ما لاقاه الصديق رضى الله عنه فى سبيل الدعوة ورسولها ، ما كان ليفت من عزيمته ، بل كان الشحنة التى أوقدت الايمان فى قلبه وزكته ، حتى انه ليرى أن الألم الذى ناله بسبب الدعوة ليس بشىء ، بل عاد بردا وسلاما عليه ، اذا ما اخترق شعاع نور رسول الله صلى الله عليه وسلم حدقة عين الصديق ، ليستقر على الشبكية مطمئنا قلب أبى بكر بسلامة رسوله وحبيبه .

روى الامام خيثمة بن سليمان رحمه الله عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها قالت : " لما اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا ثمانية رجلا . ألح أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله عليه وسلم فى الظهور ، فقال : يا أبا بكر ، انا قليل . فلم يزل أبو بكر يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد ، كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فكان أول خطيب دعا الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين ، فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديدا ، ووطىء أبو بكر ، وضرب ضربا شديدا ، فدنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه ، ويثنى على بطن أبى بكر ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاءت بنو تيم يتعادون ، وأجلت المشركين عن أبى بكر . وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته . ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا الى أبى بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار ، فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبوا منه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير بنت صخر : أنظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه اياه .

فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله ما لى علم بصاحبك . فقال اذهبى الى أم جميل بنت الخطاب فسليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : ان أبا بكر يسألك عن محمد ابن عبدالله ، فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله . فان تحبين أن أمضى معك الى ابنك ؟ قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وانى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شىء عليك فيها . قالت : سالم صالح . قال : فأين هو ؟ قالت : فى دار أبى الأرقم . قال : فان لله على أن لا

أذوق طعاما أو شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فأمهلتا حتى اذا هدأت الرجل ، وسكن الناس ،خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأكب عليه رسول الله فقبله ، وأكب عليه المسلمون . ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة ،فقال أبو بكر : بأبى وأمى يا رسول الله ليس من بأس الا ما نال الفاسق من وجهى ،وهذه أمى برة بوالديها ، وأنت مبارك فادعها الى الله عز وجل ، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ثم دعاها الى الله عز وجل ،وأسلمت ... "(١)

تلك هى شجاعة الصديق رضى الله عنه ،وقوة ايمانه ،لقد وقف أمام المشركين ، ولم يبال بكثرتهم ، ليصدع بالحق ،ويدعوهم اليه ،ونبذ الشرك وخلع الوثنية ، فأصيب بأذى كاد يقضى عليه ، لكنه عرف الدواء فسأل عنه : " ماذا فعل برسول الله صلى الله عليه وسلم " فالدواء اذن ليس الطعام والشراب ،لكنه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم سالما معافى ،فلم ترتح نفسه حتى تراه . " والله لا أذوق طعاما أو شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم " فهو البلسم لكل داء ، والشفاء مما يكدر النفوس ويمقت القلوب .

وهكذا رسم الصديق رضى الله عنه الطريق وسار عليه حتى أصبح هذا وكأنه سنة عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد روى ابن هشام فى السيرة عن ابن اسحاق رحمه الله ،قال : وحدثنى عبدالواحد بن ابى العون (٢) ، عن اسماعيل بن محمد (٣) ، عن سعد بن أبى وقاص (٤) رضى الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ،وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله

---

(١) من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسى ص ١٢٦ ، والبداية والنهاية ٣/٣٠ وحيث أن الحافظ ابن كثير قال فى مقدمة البداية والنهاية ١/٦ : "وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ما صح نقله أو حسن وما كان فيه ضعف نبينه " فلما سكت ولم يبين - ان كان فيها ضعف - فأقل ما يقال انه حسن . والسيرة النبوية لابن كثير ١/٤٣٩ ، الرياض النضرة ١/٦٤ السيرة الحلبية ١/٣٣١ ،تاريخ الخميس ١/١٩٤ ، سبل الهدى والرشاد ٢/٤٢٨ .

(٢) عبد الواحد بن أبى العون ،المدنى ،صدوق يخطئ من السابعة مات سنة أربع وأربعين ومائة ، أخرج له البخارى معلقا وابن ماجه . التقريب ١/٥٢٦

(٣) اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص الزهرى المدنى أبو محمد ثقة حجة من الرابعة مات سنة أربع وثلاثين ومائة . ترتيب ثقات العجلى (ل ١٧) التقريب ١/٧٣

(٤) سعد بن أبى وقاص مالك بن وهيب بن عبدمناف الزهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، مات سنة خمس وخمسين . أسد الغابة ٢/٢٦٦

صلى الله عليه وسلم بأحد ، فسلما نعوا لها ، قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت أرونيه حتى أنظر اليه . قال : فأشير لها اليه ، حتى اذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، تريد صغيرة . "(١)

فها هى المرأة الدينارية تريد أن تكتحل عينها برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم سالما معافى ، ليذهب ما بها من حزن كما فعل الصديق رضى الله عنه ، فكل مصيبة بعده جلل .

هذا وعندما اطمأن قلب أبى بكر ، وارتاحت نفسه لرؤية صاحبه سالما معافى ، ورأى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذا القلب الرؤوف الرحيم قد رق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله ، وأكب عليه المسلمون كذلك ، فذهب كل ما به من ألم ، واستمد شحنة قوية من الايمان حتى عاد فى حينه الى ما كان عليه قبل أن يصاب ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأمه ، ويدعوها للاسلام عسى الله أن يستنقذها به من النار .

وهذه الحادثة تدل على قوة ايمان أبى بكر ، وسمو نفسه ، كما تدل على أن هذا الدين ما وصل الينا الا على أيدى رجال قد اصطفاهم الله لصحبة رسوله وليضربوا لنا المثل الأعلى فى الحفاظ على ديننا الحنيف ، مهما أصاب المسلم من أذى فان كل ما أصابه فى جنب الله وشرعه ، ورؤيته محققا فى قلب الانسان ، فانه يتلاشى هذا الألم ، وينقلب الى حلاوة الايمان التى لا يذوقها الا من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار .

كما نستخلص من هذه الحادثة ما يلى :

١ ـ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان أول من ألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظهور ، وذلك قبل اسلام عمر رضى الله عنه ، وان كان الناس يظنون أن عمر أول من ألح بالظهور فى مكة . وأول من ضرب المشركين ضربوه ، لما اشتهر من سيرة عمر وما اختفى من سيرة أبى بكر رضى الله عنهما ، غير أنه لا يوزن عمر بواحد من الصحابة الا رجح به غير أبى بكر . وقد اعترف عمر وعلى رضى الله عنهما ـ كما سيأتى فى فضائل الصديق ـ أن أبا بكر لم يزل السابق الى كل خير .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٩٩ .

(٢) لم يذكر الصديق رضى الله عنه ألمه المرض ، ولم يذكر ما ناله من بلاء ، ولم يأسف على ما فاته من احترام قريش اياه ، واجلالهم لقدره ، ولم يكن يعنيه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو يسأل ملحفا : ما فعل رسول الله ؟ وهو يخشى أن تكون قد أصابته أذية ، أو حاق به مكروه .

وهذا لعمرى هو الاخلاص فى الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وهذا الايمان هو الذى دفع الصديق وهو سيد من سادة قريش ، وصاحب أربعين ألف درهم الى أن يقوم مقامه ذاك ، وأن يخاطر بنفسه مع علمه بضعف المسلمين وقلتهم . فهذا سمو بالنفس عن الرهبة والرغبة والعواطف والميول ، وهو أعلى مراتب العظمة . (١)

(٣) كما نلاحظ أن الصديق رضى الله عنه لم ينس وهو فى هذا البلاء أن يدعو لهذا الدين الذى اعتنقه ونال من أجله ما نال ، فهو رغم ذلك يدعو له ليقويه ، و يشد من أزره ويزيد عدد معتنقيه ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأمه ليخلصها من ظلمة الكفر .

وقيام الصديق رضى الله عنه بالدعوة الى الاسلام أدعى الى العجب مما لاقاه على أيدى المشركين من أذى ، لأنه لو نظرنا الى المجتمع القرشى فى ذلك الحين لوجدنا أن عمود اقتصاده التجارة ، وكان الصديق أحد أربابها .

فمن البدهى عند أصحاب التجارة أن يتردد وأن يلتمس الأناة والروية ، اذا ما ووجه بموقف تقتضيه تجارته الحساب لصلاته بالناس وعدم مواجهتهم بما يخالف مألوف آرائهم وعقائدهم ، خشية ما يجره ذلك على معاملاته من سوء الأثر .

يقول الاستاذ محمد حسين هيكل : " وقيام أبى بكر بالدعوة الى الاسلام أدعى للعجب ، فلعل تاجرا مثله يقتنع بصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يقنع بتصديقه سرا ، ولا يظهر الناس على شيء من أمره ، حتى تظل تجارته متصلة ، ولعل محمدا صلى الله عليه وسلم ، كان يقنع منه بذلك ويحمده له ، فأما أن يظهر أبو بكر اسلامه ، وأن يدعو الى الله ورسوله ، وأن يصل من دعوته الى اقناع المسلمين الأولين بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، ومتابعته على دينه ، فذلك مالا عهد للناس به إلا فيمن سمت أنفسهم الى حيث تقدر الحق لذاته ، وترتفع به فوق منافع الحياة ، وترى فى تأييده والدعوة إليه ، ما يصغر من شأن الدنيا وعرضها وإن عظم ، ولقد كان ذلك شأن فى صحبته محمدا صلى الله عليه وسلم ، منذ أسلم الى أن اختار الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جواره وإلى أن توفى أبو بكر من بعده . " (٢)

---

(١) عن كتاب أبو بكر الصديق للشيخ على الطنطاوى ص بتصرف كبير .
(٢) أبو بكر الصديق / الاستاذ محمد حسين هيكل ص ٢٨ بتصرف يسير .

هجرة الصديق رضي الله عنه الى الحبشة

اشتد البلاء على المسلمين وتفاقم شره ، ثم لم يزل يشتد ويتفاقم ، حتى نبا بالمسلمين المقام في مكة ، وأوعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم .

وفي هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف ، والتي اشتملت على ثلاث قصص فيها اشارات بليغة من الله تعالى الى عباده المؤمنين ، فقصة أصحاب الكهف ، ترشد الى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين متوكلا على الله ، قال تعالى : " وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله ، فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيئ لكم من أمركم مرفقا . " (١)

وقصة الخضر وموسى عليهما السلام تفيد أن الظروف لا تجرى ولا تنتج حسب الظاهر دائما ، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة الى الظاهر ، ففيها اشارة لطيفة الى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس تماما ، وسيصدر هؤلاء الطغاة المشركون ـ ان لم يؤمنوا ـ أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين .

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء . وأن الفلاح انما هو في سبيل الايمان دون الكفر ، وان الله لا يزال يبعث من عباده ـ بين آونة وأخرى ـ من يقوم بانجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه ، وأن الأحق بارث الأرض هو عباد الله الصالحون .

ثم نزلت سورة الزمر تشير الى الهجرة ، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة " للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . " (٢)

قال ابن اسحاق : " فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفرارا الى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الاسلام . " (٣)

---

(١) سورة الكهف آية ١٦ .
(٢) سورة الزمر آية ١٠ . وانظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ١٠٥
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢

قال ابن اسحاق : "وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثنى محمد بن مسلم (ابن شهاب) الزهرى عن عائشة رضى الله عنها ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها من الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجرا ، حتى اذا سار من مكة يوما أو يومين ، لقيه ابن الدغنة (١) ، أ و بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش (٢) "

وأترك الحديث الآن للامام البخارى رحمه الله ليروى لنا قصة هجرة الصديق الى الحبشة . قال فى صحيحه :

" أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : لم أعقل أبوى قط الا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبل الحبشة ، حتى اذا بلغ برك الغماد (٣) ، لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى ، فأنا أريد أن أسيح فى الأرض ، فأعبد ربى . قال ابن الدغنة : ان مثلك لا يَخرج ، ولا يُخرج . فإنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكَلّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلادك ، فارتحل ابن الدغنة ، فرجع مع أبى بكر ، فطاف فى أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ، ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق .

فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة ، وآمنوا أبا بكر ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، فليصل وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا . قال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة فى غير داره .

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، وبرز فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، يعجبون وينظرون اليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء ، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ،

---

(١) بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة ، وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون . فتح البارى ٧/ ٢٢٣

(٢) الحديث صحيح سيرة ابن اسحاق ص ٢١٨ ، ابن هشام ١/ ٣٧٢

(٣) برك الغماد : بفتح الموحدة وسكون الراء و حكى كسر أوله ، أما الغماد : فبكسر المعجمة وقد تضم وبتخفيف الميم وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن .

فأرسلوا الى ابن الدغنة ،فقدم عليهم ، فقالوا له : انا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه فى داره ،وانه جاوز ذلك ،فابتنى مسجدا بفناء داره ،وأعلن الصلاة والقراءة ، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا . فأته فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره ،فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك ، فسله أن يردّ إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال : قد علمت الذى عقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ،وإما أن ترد إلى ذمتى ،فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى قد أخفرت فى رجل عقدت له ، قال أبو بكر : إنى أردّ إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله ..."(١)

وهذا الحديث يدل على أعظم مناقب الصديق الذى يحمل الصفات نفسها التى وصفت بها خديجة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتقى وصف ابن الدغنة وهو سيد القارة بنظيره وهو وصف زوج النبى صلى الله عليه وسلم له لما بحث ،فتواردا فيهما على نعت واحد من غير أن يتواطآ على ذلك ـ ، وهذا غاية فى مدحه رضى الله عنه وفضله ،لأن صفات النبى صلى الله عليه وسلم ، منذ نشأ كانت أكمل الصفات فكفى الصديق فخرا وفضلا أن يوصف بما وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعاد البلاء كما كان وزيادة على الصديق رضى الله عنه بعد أن ردّ ابن الدغنة جواره . وهذا الحديث يظهر بجلاء أن سبب الهجرة هو البلاء الشديد الذى أصاب المسلمين على أيدى المشركين ،وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد هاجر الى الحبشة ، وأنه ما رجع إلا فى جوار ابن الدغنة .

وأغرب ما طالعت فى حادث الهجرة ، أن مستشرقا أعماه الحقد على الإسلام ورجاله ، يُدعى مونتغمرى وات ، فهذا المستشرق يزعم أسبابا للهجرة الأولى لا يرضاها عقل ولا نقل.

يقول صالح أحمد العلى : "يستنتج مونتغمرى وات حدوث خلاف فى الرأى بين المسلمين ، وخاصة مع أبى بكر الصديق ، الذى كانت له مكانة قوية عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوعز لمخالفى أبى بكر بالهجرة

---

(١) صحيح البخارى ،كتاب الكفالة ، باب جوار أبى بكر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعقده ٣/٥٨ فتح ٤/٤٧٥ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٤ فتح ٧/٢٣٠ ، كتاب الصلاة باب المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر بالناس ١/١٢٢ ، سيرة ابن هشام ١/٣٧٣ ، سيرة ابن اسحاق ص ٢١٨ .

الى الحبشة ، تفاديا للأخطار التى قد تنجم عن هذا الخلاف.
ثم يقول العلى : غير أن الأدلة التى يسوقها وات ليست قوية . " (١)

فهذا الاستنتاج من وات يدل على عمى البصر والبصيرة ، أما عمى البصر فدلالته أنه لو تصفح أى كتاب من كتب السير والمغازى أو التاريخ ناهيك عن كتب الحديث لرأى ما يدحض حجته الواهية ، وذلك ببيان عدة أشياء :

١ — كل كتب السيرة تحدثت عن الهجرة وعزت أسبابها إلى الاضطهاد والأذى الذى أصاب المسلمين على أيدى المشركين .

(٢) كل كتب السيرة التى ذكرت هجرة أبى بكر الى الحبشة أجمعت على أنه لم يرجع الصديق إلاّ فى جوار ابن الدغنة ، فكيف أوعز رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخالفيه بالهجرة إلى الحبشة ثم يأذن لأبى بكر بالهجرة أيضا الى الحبشة ، لو كان هناك أدنى خلاف — كما زعم مونتغمرى — لكان الأولى أن يحبسه عنده أو أن يوجهه الى وجهة أخرى .

(٣) إن فريته فى اختلاق خلاف بين الصحابة لم يُذكر فى أى كتاب من الكتب .

وأما عمى البصيرة فدلالته حقده الشديد على الاسلام ورجاله الأوائل الذين لم يشهد التاريخ لهم مثيلا ، والذين استطاعوا — بفضل الله ودينه — أن يقوضوا أركان أكبر امبراطوريتين فى العالم خلال ربع قرن من الزمان . فكان بالأحرى أن يفكر وات فى الذى رفع أمثال هؤلاء الرجال إلى أن يكونوا أساتذة وسادة العالم فى السياسة والحرب والاقتصاد وفى غير ذلك ، وأن يجعله حافزا له ولغيره للنظر فيه بعين التفحص والتدبر .

وفى ذلك الحين ، أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس — عجل الله تحريره — وعرج به إلى السماء ، وبسبب هذه الحادثة والتى ارتدّ فيها ناس ممن كانوا أمنوا ، سمى أبو بكر صدّيقا — كما سوف نعرف — فصدق أبو بكر حين تردد الناس ، وأقدم حين أحجموا ، فصدق بقلبه ولسانه ، حيث علل سبب تصديقه بقوله : إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة .

وكيف لا يصدقه بما هو أقل من ذلك ، وكيف يكذبه وهو لم يشهد عليه كذبة فما دونها ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) محاضرات فى تاريخ العرب لصالح أحمد العلى ط ٣ ١/ ٣٦٨ باختصار ، عن كتاب محمد فى مكة لمونتغمرى وات ص ١٨٢— ١٨٩ ، ودراسة فى السيرة / د. عماد الدين خليل ص ٧٩— ٨٠ .

هجرة الصدّيق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

لقد اشتدّ الأذى وتفاقم على تلك السفئة التى ارتضت الله ربا ، ومحمد رسولا والاسلام دينا ، وأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرض مكة لا تصلح لقيام الدولة ، وأن واديها الذى تحاصره الجبال ،وكعبتها التى تعج بالأوثان ، لا يمكن أن تكون الوطن . ومن ثم راح الرسول صلى الله عليه وسلم يجاهد من أجل الهجرة التى تمنح المسلمين وطنا ودولة . وأراه الله سبحانه دار هجرته .

وكان أن بعث الله سبحانه نفرا من يثرب ساقتهم إرادته سبحانه ، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالتقوا به وبايعوه وقالوا : "إنا قد تركنا قومنا ، لا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى الله أن يجمعهم بك ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك " . ثم بايع من العام الثانى اثنى عشر نقيبا منهم .

وبعد هذه البيعة المباركة الميمونة ، أصبح للإسلام وطنا يعزأ إليه ، وعندها أصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوامره إلى الصحابة بأن يبدأوا هجرتهم مستغرقين قدر الإمكان ..

روى الإمام البخارى رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :"... والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى أريت دار هجرتكم ،ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان ،فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة الى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسلك ،فإنى أرجو أن يؤذن لى . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ليصحبه ،وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السّمر (١) وهو الخبط (٢) أربعة أشهر ." (٣)

وقال ابن هشام : "وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ،ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصدّيق

---

(١) السمر : بفتح السين وضم الميم : شجرة تسمى أم غيلان ، وقيل ورق الطلح . النهاية ٢/٣٩٩ ، فتح البارى ٧/٢٣٠

(٢) الخبط : بفتح الخاء والباء : ما يخبط بالعصى فيسقط من ورق الشجر وهو ورق السمر . مشارق الانوار ١/٢٢٩ ، النهاية ٢/٧ .

(٣) صحيح البخارى كتاب مناقب الانصار ،باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٤ فتح البارى ٧/٢٣٠ .

رضى الله عنهما ،وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه . " (١)

وبناء على إرشادات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوامره ، هاجر أصحابه الكرام رضى الله عنهم ، مختفين ومتفرقين ، وبدأت طرقات مكة وبيوتها ونواديها تشهد بوما بعد يوم غيابا مستمرا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أما هو صلى الله عليه وسلم ، فكان ينتظر إشارة الوحى بالتحرك ،صوب المدينة ، وتأمين هجرة أصحابه ، وبدأ صلى الله عليه وسلم بالإعداد لرحلة الهجرة ، فانتقى من بين أصحابه أول اثنين أسلما من الأحرار فى تاريخ الدعوة : أبا بكر وعليا رضى الله عنهما ، واستبقاهما لكى يؤديا الأدوار التى رسمت لهما فى حركة الهجرة ، وكل ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى .

وفتح القرشيون أعينهم يوما على مكة وقد أقفرت من المسلمين ، لقد غادروها صوب المدينة ، للمهمة التى تنتظرهم مخلفين وراءهم كل ما يملكون لأن الهدف الذى تحركوا لأجله أغلى من أرواحهم أنفسهم ، فكيف لا يتخلون عما يملكون ؟

قال ابن اسحاق : " ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ،ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ،وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم ،فاجتمعوا له فى دار الندوة ،- وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه . " (٢)

والله سبحانه وتعالى غالب على أمره ، وهو القائل : "ويمكرون ويمكر الله ،والله خير الماكرين ."(٣) فى ذلك الوقت تأتى إشارة السماء بالإذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، فيتجه الى بيت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ليخبره بذلك ويرسم وإياه ما سيتخذونه من اجراآت الهجرة .

روى الإمام البخارى رحمه الله بسنده إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: " . . . فبينما نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة ، قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها

---

(١) ابن هشام فى السيرة ٤٨٠/١ ،الطبرى فى التاريخ ٣٦٩/٢ ، سيرة ابن كثير ٣٣٢/٢
(٢) ابن هشام فى السيرة ٤٨٠/١ ، الطبرى فى التاريخ ٣٦٩/٢.
(٣) سورة الانفال بعض آية ٣٠ .

فقال أبو بكر : فداؤه له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر. قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك(١) بأبى أنت يا رسول الله ، قال : فإنى قد أذن لى فى الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ."

وفى رواية أخرى : "قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ." (٢)

قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن . قالت عائشة : فجهزناها أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبدالله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب ، ثقف(٣) لقن(٤) ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة — مولى أبى بكر — منحة(٥) من غنم فيريحها عليهم حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل — وهو لبن منحتهما ، ورضيفهما (٦) حتى ينعق(٧) بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

---

(١) وذلك أن عائشة كان أبوها أنكحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٥

(٣) ثقف: بكسر القاف أى فطن مدرك لحاجته ، ذو فطنة وذكاء . مشارق الأنوار ١/ ١٣٤ النهاية ١/ ٢١٦ .

(٤) لقن : بكسر القاف : حافظ حسن التلقن لما يسمعه . المشارق ١/ ١٣٤ ، النهاية ٤/ ٢٦٦ .

(٥) منحة : قطعة من الغنم : وهى ذوات الألبان . المشارق ١/ ٣٨٤ النهاية ٤/ ٣٦٤

(٦) رضيف : الرسل اللبن ، والرضيف منه ما طرحت فيه الحجارة المحماة وهو الرضفة بفتح الراء وسكون الضاد ، قال الخطابى : الرضيف والمرضوف : اللبن يحقن فى السقاء حتى يضير حازرا ثم يصب فى القدح وقد سخنت له الرضاف فيكسر به برده ، ورخامته ، وقيل الرضيف المطبوخ منه على الرضف . والرضف : الحجارة المحماة على النار ، وواحدتها رضفة مشارق الأنوار ١/ ٢٩٣ ، النهاية ٢/ ٢٣١ .

(٧) ينعق : يصيح بها . المشارق ٢/ ١٨ ، النهاية ٥/ ٨٢

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الدّيل ، وهو من بنى عبد بن عدىّ هاديا خريتا - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفا فى آل العاص ابن وائل السهمى ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث - وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم طريق السواحل . (١) (٢)

وأول تدبير اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإذن له بالهجرة ، هو ذهابه إلى بيت الصديق رضى الله عنه ، فى نحر الظهيرة على غير عادته فى التردد على دار أبى بكر صباحا أو مساء ، وهذه خطوة من خطوات الإيهام بأولئك الذين يريدون أن يمكروا به ... ودهش أهل الدار لمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فى وقت لم يعتادوه ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى دهشتهم بل يتجه الى رفيقه ويطلب منه إخراج من بالمكان ، فيطمئنه الصديق رضى الله عنه ، بأنه ليس ثمة مما يخشى وكل ذلك من الاحتياطات التى أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتم أمر الهجرة عن الوصول لأعداء الله .

وها هو الصديق رضى الله عنه يناشد الرسول صلى الله عليه وسلم الصحبة ، فيجيبه إلى ذلك ، فيبكى الصديق من شدة الفرح ، وكيف لا يفرح الصديق أن يكون الوحيد من بين أقرانه ، صاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، وفى ذلك من الفضل والمكانة ما لم تستطع أن تتحدث به الألسنة أو تخطه الأقلام .

ومعاً استكملا الخطة ، وأخذا بالأسباب ، ورغم شوق الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى الهجرة ، ورغم يقين الرسول الكامل بأن الله معه يرعاه ، ويسدد خطاه .. فإنه لم يتعجل الحركة ولم يرتجل الخطوات ، لكنه خطط مع صاحبه للهجرة مستخدما كل ما أمكنه من الفكر والبصيرة والإرادة ، لأنه بهذا وحده يستحق نصر الله ووعده .. وإلا فلأى شيء منحنا الله بصائر وعقولا وحرية وقدرة على التحرك .

---

(١) السواحل المذكور فى الحديث هو موضع بعينه ، ولم يرد به ساحل البحر وهو ما بين المدينة ومكة . معجم البلدان ٣/ ١٧٠ ، وانظر تفسير القرطبى ٧/ ١٤٥ .

(٢) صحيح البخارى كتاب مناقب الانصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/ ٢٥٥ فتح ٧/ ٢٣١ ، كتاب المغازى باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان فتح ٧/ ٣٨٨ مختصرا ، سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤ ، صحيح البخارى كتاب اللباس باب التقنع ٧/ ٣٩ فتح ١٠/ ٢٧٣ ، كتاب الاجارة باب استئجار المشركين عند الضرورة ... ٣/ ٤٨ مختصرا ، كتاب الاجارة باب اذا استأجر أجيرا ليعمل له بعد ثلاثة أيام ... ٣/ ٤٨ ، طبقات ابن سعد ٣/ ١٢٢ ، تاريخ الطبرى ٢/ ٣٧٥

وما أبرح البرنامج الذى رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن يصل إلى الهدف بأكبر قدر من الضمانات ، ثم بعد ذلك أخذا بالأسباب ، ثم سلما أمرهما ومصير الدعوة إلى الله صانع المصائر ومقدر الأقدار .

وكانت الخطة كالتالى :

١ ـ التسلل من شباك خلفى ليلا فى غفلة من قريش .

٢ ـ التوجه جنوبا على طريق الثمن امعانا فى التمويه .

٣ ـ اللجوء إلى إحدى مغارات جبل ثور .

٤ ـ التوقف عن السير ثلاثة أيام ، ريثما تخف محاولات القرشيين المستميتة فى البحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه .

٥ ـ الانطلاق بعد ذلك صوب يثرب عبر طريق غير مطروق .

٦ ـ استئجار دليل ماهر ، اختير اعتمادا على كفاءته العالية كدليل ، وعلى أمانته ـ وكان ذلك الدليل عبدالله بن أريقط ـ مشركا ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وافق عليه إلا وقد سبر أغوار أمانته . لأن كل حركة من حركات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عن طريق الوحى .

٧ ـ أما أنباء تحركات قريش ومطارداتهم فسيأتيهما بها عبدالله بن أبى بكر ليلا .

٨ ـ وأما توفير الطعام فسيقوم به راعى أبى بكر ، عامر بن فهيرة ، الذى كلفبا راحة الأغنام عند الغار مساء كل يوم كى يحتلبها المهاجران ويشربا من لبنها .

كان هذا فى مرحلة ما قبل خروجهما من الغار ، وأما طعام المرحلة الثانية ، وهى مرحلة الخروج من الغار إلى المدينة ، فكلفت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بتوفير الطعام فى المرحلة التالية من الهجرة .

٩ ـ أما آثار الأقدام التى سيخلفها عبدالله بن أبى بكر لدى ذهابه وإيابه ، والتى تقود إلى الغار مباشرة ، فإن عامر بن فهيرة عندما يأتيهم فى المساء تكون الأغنام قد طمست آثار عبدالله بن أبى بكر ، وكذلك عند إيابه صباحا .

فهذه خطة تحركهم ، وما أظن أن هناك من يستطيع أن يأتى بأحكم منها أبدا .

وقد رأينا فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط أخذ إحدى الراحلتين بالثمن ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتصرف فى مال أبى بكر رضى الله عنه كما يشاء ، وإنما امتنع من أخذها بغير الثمن لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه فى استكمال فضل الهجرة .

قال المحب الطبرى : " وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر لما عرض عليه الراحلة : " بالثمن " لم يكن ذلك - والله أعلم - إلا لأن يخلص ثواب الهجرة له ، لا يشركه أحد فى ثوابها ، وإلا فقد كان صلى الله عليه وسلم يحكم فى مال أبى بكر كما يحكم فى مال نفسه ...

وقد ذكر ابن اسحاق أن أبا بكر لما قدم الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم أفضلهما له ، وقال : اركب فداك أبى وأمى ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيرا ليس لى ، قال : فهى لك يا رسول الله ، قال : لا ، ولكن بالثمن الذى ابتعتها به . قال : كذا وكذا . قال : قد أخذتها بذلك .

فقد بين فى هذا سبب الامتناع من قبولها مجانا وهو أنه لا يركب بعيرا ليس له وما ذاك - والله أعلم - الا للمعنى الذى ذكرناه آنفا ، لأنه لا يركب بعيرا الا فى طاعة وعبادة .

ولا تضاد بين هذا وحديث عائشة المتقدم ، وأن هذا القول كان منه فى بيت أبى بكر لجواز أن الحديث فى ذلك تكرر ، ويشهد لهذا أن الأول لم يكن فيه تبايع ، وإنما وعد به .. والثانى تضمن العقد والتمليك بالثمن والله أعلم . " (١)

وتقديم الصديق الأفضل الراحلتين يدل على شدة محبة الصديق رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأدبه معه وايثاره له على نفسه .

وبعد أن استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل احتياطات الخطة ، عاد إلى بيته ، حتى لا يشعر الكفار بما أطلعه الله عليه من مؤامرتهم . " فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه ... وأمر على بن أبى طالب أن ينام على فراشه ، وأن يتسجى ببرده . " (٢)

واتجه إلى بيت الصديق ، الذى كان يترقب وصوله صلى الله عليه وسلم لحظة بلحظة .

وفى الفترة ما بين اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه ظهرا بالاذن له بالهجرة ، وخروجه من بيته ليلا ، كان آل الصديق مشغولين باعداد الطعام للمهاجرين وما أن وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت الصديق وأرادا الخروج الا وقد تم اعداد الطعام ، ولم تجد أسماء بنت أبى بكر ما تربط به السفرة التى أعدت ، فأمرها أبوها رضى الله عنهما أن تشق نطاقها وتربطه .

---

(١) الرياض النضرة ١/ ٨٥ ، وقول ابن اسحاق تجده فى سيرة ابن هشام عنه ١/ ٤٨٦

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٣ .

روى البخارى رحمه الله عن أسماء رضى الله عنها أنها قالت : " صنعت سفرة للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين أرادا المدينة ،فقلت لأبى : ما أجد شيئا أربطه إلا نطاقى . قال : فشقيه ، ففعلت ، فسميت ذات النطاقين . " (١)

ثم خرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ،ثم عمدا إلى غار ثور .

فى الطريق الى الغار :

روى الإمام أحمد رحمه الله قال : ثنا وكيع (٢) ،عن نافع بن عمر (٣) ،عن ابن أبى مليكة (٤) ، قال : لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم خرج ومعه أبو بكر ، فأخذ طريق ثور ،قال : فجعل أبو بكر يمشى خلفة ويمشى أمامه ،فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ فقال : يارسول الله ،أخاف أن توتى من خلفك فأتأخر ،وأخاف أن توتى من أمامك فأتقدم ،قال ، : فلما انتهينا إلى الغار ،قال أبو بكر : يا رسول الله كما أنت حتى أتمه (٥) ، قال نافع : فحدثنى رجل عن ابن أبى مليكة أن أبا بكر رأى جحرا فى الغار ،فألقمها قدمه ،وقال : يارسول الله إن كانت لسعة أو لدغة كانت بى . " (٦)

وأخرج الإمام البيهقى فى دلائل النبوة حديثا فى ذلك عن محمد بن سيرين قال : ذكر رجال على عهد عمر ، فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر رضى الله عنهما ،فلما بلغ ذلك عمر رضى الله عنه قال : والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر ،وليوم من أبى بكر خير من آل عمر ،لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق الى الغار ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه ،فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه ،حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر مالك تمشى ساعة بين يدى ،وساعة خلفى ، فقال يا رسول الله ،أذكر الطلب (٧) ، فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد (٨) ، فأمشى

---

(١) صحيح البخارى كتاب مناقب الانصار باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٨ فتح ٧/٢٤٠ .

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح الروءاسى أبو سفيان الكوفى أحد الأئمة الاعلام ثقة مات سنة سبع وتسعين ومائة .ابن سعد ٦/٣٩٤ ،التاريخ الكبير ٨/١٧٩ ،الجرح ٩/٣٧٠ تهذيب ١١/١٢٣

(٣) نافع بن عمر بن عبدالله بن جميل الجمحى المكى ثقة ثبت مات سنة تسع وستين ومائة . ابن سعد ٥/٥٩٤ ،التاريخ الكبير ٨/٨٦ ، الجرح ٨/٤٥٦ ، تهذيب ١٠/٤٠٩

(٤) عبدالله بن عبيدالله بن أبى مليكة بن جدعان المدنى تابعى ثقة فقيه مات سنة سبع عشرة ومائة على خلاف .الجرح ٥/٩٩ ،التذكرة ١/١٠١ ، تهذيب ٥/٣٠٦ ، تقريب ١/٤٣١ .

(٥) أتمه : قم البيت : كنسه القاموس ٤/١٦٩ ، النهاية ٤/١١٠ .

(٦) الحديث مرسل و لكن له شواهد ترفعه الى درجة الحسن لغيره . أخرجه أحمد فى الفضائل رقم ٢٢ ، ١٨٢ ، وذكر نحوه ابن كثير فى البداية ٣/١٧٩ ، وفى السيرة ٢/٢٣٧ وقال : هذا مرسل وقد ذكرنا له شواهد أخر فى سيرة الصديق . انظر الروايات الآتية .

(٧) الطلب : المطالب للانسان انما يأتى من الخلف ، وهو جمع طالب أو مصدر أقيم مقامه ، أو على حذف مضاف أى أهل الطلب . النهاية ٣/١٣١ .

(٨) الرصد : المترصد فى الطريق يقال رصدت : اذا قعدت له على طريقه تترقبه النهاية ٢/٢٢٦ .

بين يديك . فقال : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون لك دوني؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكن من ملمة إلا أحببت أن تكون لي دونك . فلما انتهيا من الغار قال أبو بكر رضي الله عنه : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه حتى اذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبر الجحرة ،فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة . فدخل فاستبرأ ،ثم قال : انزل يا رسول الله فنزل ، فقال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . "(١)

كما ذكر ابن الأثير رحمه الله نحو هذه القصة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعض الاختلاف وقال في آخره : " ... فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ،ولم يتحرك مخافة أن ينتبه النبي صلى الله عليه وسلم ،فسقطت دموعه على وجه النبي صلى الله عليه وسلم ،فقال : مالك يا أبا بكر؟ قال : لدغت ،فداك أبي وأمي ، فتفل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب ما يجده ، ثم انتقض عليه ،وكان سبب موته ...الحديث"(٢)

الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار :

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ، وتوسد قهدم أبي بكر رضي الله عنه حيث أخذته سنة من النوم ، ولما لدغ الصديق تفل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئت باذن الله . وكانت هذه الحادثة تعتبر ضمن الآيات التي رآها الصديق بأم عينيه ، وكانت من بشارات السلامة والنصر .

روى الامام أحمد قال : حدثنا عبدالرزاق (٣) ، ثنا معمر (٤) ، قال : وأخبرني

---

(١) الحديث مرسل أيضا لأن ابن سيرين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ،ولم يحضر القصة ،لكن يعتبر شاهدا لحديث عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢٠٩/٢ ، كما ذكر أيضا في ٢٠٩/٢ـ ١١٠ قصة أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،وذكر ابن كثير في البداية ١٨٠/٣ عن عمر أيضا ، وقال : في هذا السياق غرابة ونكارة ، وذكره الامام أحمد في فضائل الصحابة باختصار شديد ٢٨٥/١ .

(٢) أخرجه ابن الأثير في جامع الاصول ٦٠٥/٨ ، ولم يبين من خرجه وهو في الرياض النضرة في مناقب العشرة ٨٩/١ وقال : خرجه النسائي ،ولعله في الكبرى ،فلم أجده في المجتبى ، ونحوه في ٩٠/١ ، وذكر نحوه صاحب شرح المواهب اللدنية ٤٠٤/١ وقال : روى هذه القصة ابن زين العبدي صاحب تجريد الصحاح ، والرياض النضرة نحوه ٨٧/١ ، حلية الأولياء لأبي نعيم نحوه ٣٣/١ ، والصفة ٢٤٠/١

(٣) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني ، ثقة حافظ صاحب المصنفات سنة احدى عشرة ومائتين الجرح ٣٨/٦ ، ترتيب ثقات العجلي (ل ٣٧ أ) ، طبقات الحنابلة ٢٠٩/١ ، التذكرة ٣٩٤/١ ، الميزان ٦٩/٢ ، شذرات الذهب ٢٨/٢ وفيات الأعيان ٢١٦/٣ ، التهذيب ٣١٠/٦ ، الاغتباط ص ١٧ .

(٤) معمر بن راشد أبو عروة الازدي يقة ثبت ، توفي سنة أربع وخمسين ومائة . التاريخ الكبير ٣٧٨/٧ ، الجرح ٢٥٥/٨ ،تذكرة ١٩٠/١ ، الميزان ١٥٤/٤ ،تهذيب ٢٤٣/١٠ ، التقريب ٢٦٦/٢ .

عثمان الجزرى(١) ، أن مقسما مولى ابن عباس(٢) ، أخبره عن ابن عباس فى قوله تعالى: "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك" قال: تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبى صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم بل اقتلوه ، وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات على على فراش النبى صلى الله عليه وسلم.

وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليّاً يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم. فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا عليا ، رد الله مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدرى. فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم ، فصعدوا فى الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا: لو دخل همهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال." (٣)

روى الإمام البخارى رحمه الله عن ابن أنس عن أبى بكر رضى الله عنه قال: "قلت للنبى صلى الله عليه وسلم وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما."

وفى رواية: "كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فرفعت رأسى ، فاذا أنا بأقدام القوم ـ فقلت: يا نبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا. قال: اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما."

وفى رواية: "كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فرأيت آثار المشركين ، قلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا ، قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما." (٤)

---

(١) عثمان الجزرى هو عثمان بن عمرو بن ساج القرشى ، أبو ساج الجزرى ، وكان قاضيا ، ضعيفا الجرح ٦/١٦٢ ، الميزان ٣/٣٤ ، تهذيب ٧/١٤٤. لكن هذا لم يرو عن مقسم بل يرو عن معمر. وقال ابن حجر فى التهذيب ٧/١٤٥: وقد ينسب الى جده "وقول المصنف ـ المزى ـ وقد ينسب الى جده ، يوهم الجزم بأنه عثمان بن ساج الراوى عن خصيف ومقسم وقد تردد فيه بعد ذلك فيدل ذلك على المغايرة بينهما ، خصوصا وان ابن كثير قد حسن الحديث وكيف يحسنه لو كان عثمان بن ساج هو عثمان بن عمرو الذى لا يحتج به ، كما غاير بينهما ابن أبى حاتم فى الجرح ، فترجم لعثمان بن ساج فى ٦/١٥٣ ، ووقع بياض فى ترجمته حيث لم بين الحكم عليه ، كما ترجم لعثمان ابن عمرو بن ساج فى ٦/١٦٢ ، وقال لا يكتب حديثه.

(٢) مقسم بن بجرة بضم الموحدة وسكون الجيم ويقال نجده بفتح النون الدال ـ مولى ابن عباس ، ثقة ، قال ابن حجر: صدوق كان يرسل ـ مات سنة احدى ومائة. ترتيب ثقات العجلى (ل ٤ هب) ، الكاشف ٣/١٧٢ ، التقريب ٢/٢٧٣.

(٣) الحديث اسناده حسن ، رواه أحمد فى المسند ١/٣٤٨ ، عروة بن الزبير فى مغازى رسول الله ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ، وقال ابن كثير فى البداية ٣/١٨٣: وهذا اسناده حسن وهو أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم. وأخرج حيثمة نحوه وفيه غرابة ص ١٣٦ ، وذكره الهيثمى =

وقوله : " ثالثهما " : أى ناصرهما ومعينهما ،والا فالله ثالث كل اثنين بعلمه " (١)

ووقع فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعروة بن الزبير فى قصة الهجرة نحوه ،قال : " وأتى المشركون على الجبل الذى فيه الغار الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ،حتى طلعوا فوقه ،وسمع أبو بكر أصواتهم ،فأقبل عليه الهم والخوف،فعند ذلك يقول له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تحزن ان الله معنا " ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فنزلت عليه السكينة ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : "إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا " الآية (٢)

وكيلا يظن ظان أن الصديق رضى الله عنه كان خائفا على نفسه ،فإنى أورد حديثا يظهر بجلاء أن خوف الصديق كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،صاحب الرسالة ،ومخافة أن يرى فيه ما يكره .

روى الإمام المروزى رحمه الله فى مسند أبى بكر رضى الله عنه قال : حدثنا أحمد بن على (٣) ، قال : حدثنا بشار الخفاف (٤) ، قال : حدثنا جعفر بن

فى مجمع الزوائد ٢٧/٧ وزاد نسبته للطبرانى ،وقال : وفيه عثمان بن عمرو الجزرى وثقه ابن حبان وضعفه آخرون ،وبقية رجاله رجال الصحيح . وحسن الحديث ابن حجر ،فتح ٢٣٦/٧

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب مناقب المهاجرين وفضلهم ١٩٠/٤ فتح ٨/٧ ،كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٢٦٣/٤ فتح ٢٥٧/٧ ، كتاب التفسير فى سورة براءة فتح ٣٢٥/٨ ، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤ ، الترمذى ٢٧٨/٥ ،ابن سعد ١٧٣/٣ ،مسند أبى بكر للمروزى ص ١٣٩—١٤٠ ، مسند أحمد ٤/١ ،وبتحقيق أحمد شاكر رقم ١١ ص ،وابن جرير فى التفسير ٩٦/١٥ كلهم من طريق همام عن ثابت عن أنس عن أبى بكر .
وأخرجه خيثمة عن أنس أيضا ص ١٣٦ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ،انما يعرف من حديث همام ،تفرد به ، ونحوه قال البزار كما حكى ابن حجر عنه ،ورد عليه فى الفتح ١٢/٧ بقوله : وقد أخرجه ابن شاهين فى الأفراد من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت بمتابعة همام ،وقد قدمت له شاهدا من حديث حبشى بن جنادة ،ووجدت له آخر عن ابن عباس أخرجه الحاكم فى الاكليل .

(١) فتح البارى ١١/٧ .

(٢) مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعروة بن الزبير ص ١٢٨—١٢٩ والآية من سورة براءة بعض آية رقم ٤٠ .

(٣) أحمد بن على هو الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن سعيد القاضى ، ولى القضاء وثقه النسائى والذهبى ، توفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين . تاريخ بغداد ٣٠٤/٤ ، سير أعلام النبلاء ١٢٥/٩ ، تذكرة الحفاظ ٦٦٣/٢ ، التهذيب ٦٢/١

(٤) بشار هو ابن موسى اليمانى العجلى الخفاف أبو عثمان البصرى ضعفه أكثر الأئمة وقال أحمد : كان معروفا ، كان صاحب سنة ،وفى رواية أخرى يكتب حديثه ، وحسن القول فيه ابن المدينى وابن عدى وابن حبان ،مات سنة ثمان وعشرين ومائتين . التاريخ الكبير ١٣/٢ ، الجرح ٤١٧/٢ ، الضعفاء للنسائى ص ٢٨٦ ، الميزان ٣١١/١ ، التهذيب ، ٤٤١/١ ، التقريب ٩٧/١ .

سليمان (١) ، قال : حدثنا أبو عمران الجونى (٢) ، قال : حدثنا المعلى بن زياد (٣) ، عن الحسن قال : انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار فدخلا فيه ، فجاء العنكبوت فنسجت على باب الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخله أحد ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى ، وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم : فداك أبى وأمى ، هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسى أبكى ، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : "لا تحزن إن الله معنا ." (٤)

هذا وقد أجمعت الأمة على أن الصاحب المذكور فى قوله تعالى : "إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا" هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولم يرد ولو قول واحد يفيد أن غير الصديق هو المقصود بقوله تعالى : "إذ يقول لصاحبه" ، وهذا دليل قطعى الدلالة على أن المقصود بالصاحب هو الصديق رضى الله عنه . ومن أراد المزيد فلينظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى . (٥)

وهذه الأحاديث التى مرت بنا والتى تفيد خوف الصديق على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أثناء مسيرهما إلى الغار ، وأثناء وجودهما فيه ، لتظهر منقبة عظيمة ظاهرة لأبى بكر رضى الله عنه لا يدانيها منقبة ، لقد أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قرآنا فى شأن الهجرة يذكر الصديق رضى الله عنه بأعظم منقبة له على الإطلاق .

---

(١) جعفر بن سليمان الضبعى أبو سليمان البصرى ، صدوق أطلق القول بتوثيقه أكثر علماء الجرح والتعديل ، كان يتشيع . الجرح ٤٨١/٢ ، الميزان ٤٠٨/١ ، التهذيب ٩٥/٢ ، التقريب ١٣١/١ .

(٢) أبو عمران هو عبدالملك بن حبيب الأزدى ويقال الكندى البصرى تابعى ثقة ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة على خلاف . ابن سعد ٢٣٨/٧ ، الجرح ٣٤٦/٥ ، التهذيب ٣٨٩/٦ ، التقريب ٥١٨/١ .

(٣) المعلى بن زياد القردوس ـ بقافين ـ أبو الحسين البصرى ، صدوق ، وقال الذهبى : وثقوه ، من السابعة . الكاشف ١٦٣/٣ ، التقريب ٦٥٩٢ .

(٤) الحديث اسناده مرسل عن الحسن البصرى بالاضافة إلى ضعف بشار الخفاف ، إلا أنه يرتقى الى درجة الحسن لغيره بشواهده . قال ابن كثير فى السيرة النبوية ٢٣٩/٢ : وهذا مرسل عن الحسن وهو حسن بحاله من الشاهد ، وفيه زيادة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وكان عليه السلام اذا أحزنه أمر صلى . وحسن إسناده الأرناؤوط وقال : إسناده حسن إلا أنه مرسل ، مسند أبى بكر للمروزى ص ١٤٠ ، وأخرجه أحمد فى المسند ٣٤٨/١ ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧/٧ .

(٥) فتح البارى ٨/٧ ، ٩ ، ٢٣٢ ، ٣٢٦/٨ .

قال تعالى : " إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ،إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ،وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ،وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم . " (١)

أجمع المفسرون على أن " ثانى اثنين " المقصود به أبو بكر رضى الله عنه (٢)

قال ابن الجوزى رحمه الله : " فقد نصره أحد اثنين ،أى نصره منفردا إلا من أبى بكر ، وهذا معنى قول الشعبى : عاتب الله أهل الأرض جميعا فى هذه الآية غير أبى بكر . (٣)"

وقال القرطبى رحمه الله : " وقيل فقد نصره الله بصاحبه فى الغار بتأنيسه له وحمله على عقه ، ووفائه ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله . قال الليث بن سعد : ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبى بكر الصديق. وقال سفيان بن عيينة : خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التى فى قوله " إلا تنصروه " (٤)

روى الطبرى حديثا قال : حدثنا يونس (٥) قال : أخبرنا ابن وهب (٦) قال : أخبرنى عمرو بن الحارث (٧) ، عن أبيه (٨) ، أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين خطب قال : أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ قال رجل : أنا . قال : اقرأ . فلما بلغ : " اذ يقول لصاحبه لا تحزن " بكى أبو بكر وقال : أنا والله صاحبه " (٩)

---

(١) سورة التوبة آية ٤٠ .
(٢) الفتح المبين فى فضائل الخلفاء الراشدين لأحمد زينى المشهور بابن دحلان ١/ ٣٧
(٣) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/ ٤٣٩ ، سمط النجوم العوالى ٢/ ٣١٦ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ٣/ ٢٤٥ ،تفسير المنار ١٠/ ٤٤٦ ، ترتيب ثقات العجلى (ل ٦٣أ) . وانظر تفسير الطبرى ١٠/ ٩٥ نحوه .
(٤) تفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٤٣ ، الدر المنثور ٣/ ٢٤٥ تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٠/ ٤٤٦ .
(٥) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص الصدفى ،أبو موسى المصرى ،ثقة من صغار العاشرة مات سنة أربع وستين ومائتين . تهذيب الكمال للمزى (المصور) ٣/ ١٥٦٧ التهذيب ١١/ ٤٤٠ ، التقريب ٢/ ٣٨٥ .
(٦) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى مولاهم أبو محمد المصرى الفقيه ،ثقة حافظ عابد من التاسعة مات سنة سبع وتسعين ومائة . التهذيب التقريب ١/ ٧١ ، ١/ ٤٦٠
(٧) عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصارى مولاهم المصرى أبو أيوب ،ثقة فقيه حافظ من السابعة مات قبل الخمسين ومائة . التهذيب ٨/ ١٤ ، التقريب ٢/ ٦٧
(٨) الحارث بن يعقوب بن ثعلبة ويقال ابن عبد الله الأنصارى مولاهم والد عمرو ،ثقة عابد من الخامسة مات سنة ثلاثين ومائة . التهذيب ٢/ ١٦٤ ، التقريب ١/ ١٤٥
(٩) الحديث مرسل ، لكنه حسن بشواهده الكثيرة . وأخرجه الطبرى فى التفسير ١٠/ ٩٦ ط ١ غير المحققة .

وقال ابن الجوزى رحمه الله : " وقال مقاتل : جاء القائف (١) ، فنظر الى الأقدام ، فقال : هذه قدم ابن أبى قحافة ، والأخرى لا أعرفها ، الا أنها تشبه القدم التى فى المقام " (٢) والمقصود أثر أقدام المهاجرين ، فدل هذا على أن صاحبه هو الصديق .

ثم قال ابن الجوزى : " وصاحبه فى هذه الآية أبو بكر ، وكان أبو بكر قد بكى لما مرّ المشركون على باب الغار ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : " ما ظنك باثنين الله ثالثهما . " (٣)

قال القرطبى رحمه الله فى قوله : " إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضى الله عنه . وروى عن مالك " ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " هو الصديق . فحقق تعالى قوله له بكلامه ووصف الصحبة فى كتابه . قال بعض العلماء : من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كذا مبتدع ، ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر ، لأنه أنكر نص القرآن . " (٤)

وقوله تعالى : " فأنزل الله سكينته عليه " قال ابن كثير : أى تأييده ونصره عليه أى على الرسول فى أشهر القولين ، وقيل على أبى بكر ، وهذا الأخير روى عن ابن عباس وغيره . قالوا : لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل معه سكينة . وقال ابن كثير ردا عليهم : " وهذا لا ينافى تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال تعالى : " وأيده بجنود لم تروها . " (٥)

---

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ، والجمع القافة . النهاية ٤/١٢١ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزى ٣/٤٤٠ . (٣) المصدر السابق ٣/٤٤٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧/١٤٦ ، التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦/٦٧ ، الكشاف ٢/١٩٠ ، روح البيان ٣/٤٣٤ نحوه .

(٥) تفسير ابن كثير ٢/٣٥٨ .
قال ابن جرير رحمه الله فى التفسير ١٠/٩٥ : " وانما عنى جل ثناؤه بقوله : ثانى اثنين " رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار . "
وقال ابن كثير فى التفسير ٢/٣٥٨ : " فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبى بكر بن أبى قحافة . "
قلت : قول ابن جرير وابن كثير رحمهما الله تعالى " هاربين " و " هاربا " لا يليق بمقام سيد أولى العزم من الرسل وصاحبه . فالذى يتتبع كتب السيرة وتمهيدات الهجرة يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سماها هجرة ولم يسمها هربا . ويعلم يقينا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتحرك حركة الا بأمر من الله تعالى ، وقد تحمل رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لا يتحمله الا أولو العزم من الرسل ، ولا يستغرب ذلك منه فهو سيدهم . فلو كان خروجه هربا من المشركين لهام على وجهه ، ولم يلبث حتى فى الأماكن التى تقرب من مكة المكرمة لحظة واحدة ، كما هو شأن الهاربين ، حتى ولو كان المكان الذى

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن الضمير في " فأنزل الله سكينته عليه " لأبي بكر لا ينافيه ارجاع الضمير في " وأيده بجنود " لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارجاعا للضمير في كل بما يليق ، وجلالة ابن مسعود قاضية بأنه لولا علم في ذلك نصا لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له . " (١)

قال السيوطي رحمه الله : " وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر غار حراء ، فقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم : لو أن أحدهم يبصر موضع قدمه لأبصرنا وإياك . فقال : ما ظنك باثنين الله ثالثهما . يا أبا بكر ان الله أنزل سكينته عليك وأيدني بجنود لم تروها (٢) قلت : وهذا الحديث فيه زيادة وغرابة عما في الأحاديث الصحيحة المذكورة سابقا .

وأخرج الخطيب في تاريخه عن حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه " فأنزل الله سكينته عليه " قال : على أبي بكر رضي الله عنه ، فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت عليه السكينة .. " (٣)

= الذي هرب اليه بعيدا وقد عرفه أعداؤه ، فلم يلبث أن يغيره . هذا ولم يكن مكثه مع صاحبه في الغار تلك الايام ، الا تشريعا للأمة ، وتعليما لهم ، بأخذ الحيطة في الأمور المتأزمة . فأغلب تحركات الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الاساس لم تكن الا بالوحي ، ففي حادث الهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ـ تاليا لآيات من أول سورة " يس " شاقا صفوف الجموع المحيطة بالبيت ذارا فوق رؤوسهم التراب ولم يره أحد منهم ، أيكون هذا العمل هربا ، ألم يكن معجزة أن يخرج من بينهم دون أن يراه أحد ، منهم وأن يصرف أبصار أعدائه عنه وعن صاحبه وهما في الغار . أيكون اختباؤه خوفا من المشركين ؟ اللهم لا . بل تعليما للأمة في أخذ الحيطة في الأزمات ، وليقف على حركات قريش ويعلم مقاصدها ، ولينكشف له ما عزموا عليه .

وما قوله تعالى : "اذ أخرجه الذين كفروا " الا من باب اطلاق السبب على المسبب ، فنسب الخروج لمن تسبب فيه وهم الذين كفروا .

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٤٥ .

(٢) انظر الدر المنثور ٣/٢٤٥ ، روح المعاني ١٠/٩٨ ، وقال : " وقيل هو الأظهر لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم ينزعج حتى يسكن ولا ينافيه تعيين ضمير "وأيده بجنود لم تروها " له عليه الصلاة والسلام لعطفه على "نصره الله" لا على "أنزل" حتى تتفكك الضمائر على أنه اذا كان العطف عليه كما قيل به يجوز أن يكون الضمير للصاحب أيضا كما يدل عليه ما أخرجه ابن مردويه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : " يا أبا بكر ان الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدني ... الخ ، وان أبيت فأي ضرر في التفكيك اذا كان الأمر ظاهرا . "

(٣) الدر المنثور ٣/٢٤٥

قال الشيخ اسماعيل حقى البرسوى فى روح البيان : " فأنزل الله سكينته " أمنته التى تسكن عندها القلوب " عليه " أى على النبى عليه السلام ،فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف أصلا ، أو على صاحبه وهو الأظهر اذ هو المنزعج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكنا وعلى طمأنينة من أمره . " (١)

قال القرطبى : " قوله تعالى : " فأنزل الله سكينته عليه " فيه قولان : أحدهما : على النبى صلى الله عليه وسلم . والثانى : على أبى بكر . قال ابن العربى : قال علماؤنا : وهو الأقوى ، لأنه خاف على النبى صلى الله عليه وسلم من القوم ،فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبى صلى الله عليه وسلم ،فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الأمن(٢)

وهذا القول هو الذى أميل اليه لأن النبى صلى الله عليه وسلم ،كان رابط الجأش ، مطمئن النفس . والسكينة ملازمة له ،لم تنفصل عنه لحظة ،وكان الصديق خائفا على نبى الله صلى الله عليه وسلم ،فكان نزول السكينة لتثبت قلب الصاحب على صاحبه ، فذهب الروع ، وسكن القلب ، وخيمت السكينة على الصاحبين .

قال ابن حجر رحمه الله : " وفى الآية أيضا فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنه انفرد بهذه المنقبة حيث صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك السفرة ووقاه بنفسه ،وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه . " (٣)

الخروج من الغار الى المدينة المنورة :

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه فى الغار ثلاث ليال ،يأتيهما عبدالله بن أبى بكر رضى الله عنهما بما يكتادان به ليلا ،ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنهما ،منحة من غنم فيريحها عليهما فيشربان ويأكلان .

روى الامام البخارى رحمه الله عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : "... ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور ،فكمنا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبدالله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن ،فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرا يكتادان به الا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ،ويرعى عليهما عامر بن فهيرة — مولى أبى بكر — منحة من غنم ، فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل وهو لبن منحتهما ،

---

(١) تفسير روح البيان لاسماعيل حقى البرسوى ٣/ ٤٣٥ .
(٢) تفسير القرطبى ٧/ ١٤٨ .
(٣) فتح البارى ٧/ ٩ .

ور ضيفهما حتى ينعق بها عامر ابن فهيرة بغلس ،يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الدّيل ،وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خرّيتا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفا آل العاص بن وائل السهمى ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ،فدفعا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور ،بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ،وانطلق عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل . " (١)

وانطلق الركب الكريم تكلؤه عين الله صوب المدينة المنورة ،وفى الطريق تظهر المعجزات وآيات الله بالنصر جلية واضحة ،فها هو سراقة بن مالك بن جعشم يروى لنا ما لقى ، حين سولت له نفسه ،أن يكون صاحب الجائزة التى أعلنتها قريش لمن يأتى بهما ، حتى وقع فى نفسه أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخارى رحمه الله قال : قال ابن شهاب : فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة أن أباه أخبره : أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره . فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج ،اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ،فقال : يا سراقة ، انى قد رأيت آنفا أسودة بالساحل ،أراها محمدا وأصحابه . قال سراقه : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ،ولكنك رأيت فلانا وفلانا ،انطلقوا بأعيننا . ثم لبثت فى المجلس ساعة ،ثم قمت فدخلت ،فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى ـ وهى من وراء أكمة فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض ،وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها ،فرفعتها (٢) تقرّب بى ،حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى ، فخررت عنها ،فقمت فأهويت يدى الى كنانتى ،فاستخرجت منها الأزلام ،فاستقسمت بها : أضرّهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره ،فركبت فرسى ـ وعصيت الأزلام ـ تقرب بى ، حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،هو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت (٣) يدا فرسى فى الأرض ،حتى بلغتا الركبتين ،فخررت عنها ،ثم زجرتها ، فنهضت فلم تكد تخرج يديها ،فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثان (٤) ساطع

---

(١) صحيح البخارى كتاب مناقب الانصار ،باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ... ٤/٢٥٦ فتح ٧/٢٣٨ وانظر تخريجه ص من الرسالة .

(٢) رفعتها : حثثتها ، والسير المرفوع دون الجرى وفوق المشى . مشارق ١/٢٩٦ . تقرب بى : التقريب السير دون العدو وفوق العادة ، وقيل أن ترفع الفرس يديها معا وتضعهما معا . المشارق ٢/١٧٦ فتح ٧/٢٤١

(٣) ساخت : غاصت أو دخلت فيها . المشارق ٢/٢٣٢ .

(٤) عثان : بضم المهملة بعدها مثلثة خفيفة أى دخان بدون نار النهاية ٣/١٨٣ قال الحافظ ابن حجر : [illegible] . فتح ٧/٢٤٢ .

في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الأزلام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم . ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني (١) ، ولم يسألاني الا أن قال : أخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

وقد روى ابن اسحاق فذكر هذه القصة إلا أنه ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يكتب له ذلك .

ولا خلاف بين حديث البخاري في أن عامر بن فهيرة كتب الكتاب وبين حديث ابن اسحاق في أن الكاتب هو أبو بكر ، فيحتمل أن أبا بكر الصديق كتب بعضه ، ثم أمر مولاه عامرا فكتب باقيه ، والله أعلم ـ قاله ابن كثير رحمه الله . (٣)

وروى البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : " لما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، تبعه سراقة بن مالك بن جعشم ، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فساخت به فرسه . قال : ادع الله لي ولا أضرك ، فدعا له ، قال : فعطش رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر براع ، فقال أبو بكر : فأخذت قدحا فحلبت فيه كثبة من لبن ، فشرب حتى رضيت . " (٤)

وكان الصديق رضي الله عنه حارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد الله ـ وخادمه الذي يقوم بكل ما من شأنه إرضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

يروى البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : " اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر لعازب : مُرِ البراء فليحمل الى رحلي . فقال عازب : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم . قال : ارتحلنا من مكة ، فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي اليه ، فاذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته ، ثم فرشت للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ، ثم قلت له : اضطجع يا نبي الله ، فاضطجع النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لم يرزآني : لم ينقصاني مما معي شيئا ، الفتح ٢٤٢/٧ ، المشارق ٢٨٨/١

(٢) البخاري كتاب مناقب الانصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ... ، ٢٥٦/٤ فتح ٢٣٨/٧ ، صحيح مسلم ٢٣٠٩/٤ ، سيرة ابن هشام ٤٨٩/١ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٦٩١/٤ .

(٤) البخاري كتاب مناقب الانصار باب هجرة النبي ... ، ٢٥٩/٤ فتح ٢٤٠/٧ صحيح مسلم ١٥٩٢/٣ .

ثم انطلقت أنظر ما حولى ، هل أرى من الطلب أحدا ، فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة ، يريد منها الذى أردنا ، فسألته فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش سماه فعرفته . فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : فهل أنت حالب لنا ؟ قال : نعم . فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال : هكذا ، ضرب إحدى كفيه بالأخرى ، فحلب لى كثبة من لبن ، وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اداوة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوافقته قد استيقظ . فقلت له : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : قد آن الرحيل يا رسول الله ؟ قال : بلى ـ فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له . فقلت : هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ، فقال : لا تحزن إن الله معنا . "

وزاد فى رواية : " فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه إلى بطنها أرى فى جَلَدٍ(١) من الأرض شكّ زهير فقال إنى أراكما قد دعوتما علىّ ، فادعوا لى ، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب . فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم ، فنجا ، فجعل لا يلقى أحدا إلا قال : كفيتم ما هنا ، فلا يلقى أحدا الا ردّه ، قال : ووفى لنا(٢) "

وهكذا سار الركب الكريم صوب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرّ الركب على خيمة أم معبد ـ واسمها عاتكة بنت خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة وكنيتها أم معبد ـ وظل الصديق رضى الله عنه قائما بحراسة وخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلا الى المدينة ، وأكرم الله ركب المهاجرين اليه بأن أطعمهم وسقاهم ، وزادهم من فضله بأن كساهم قبل دخولهم المدينة .

روى البخارى رحمه الله قال : قال ابن شهاب : فأخبرنى عروة بن الزبير " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا ، قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض "(٣)

قال ابن حجر رحمه الله : " وأخرجه موسى بن عقبة عن ابن شهاب به وأتم منه وزاد : " قال : ويقال لما دنا من المدينة كان طلحة قدم من الشام ، فخرج عائدا

---

(١) جلد من الأرض : الجلد بفتحتين الأرض الصلبة الغليظة ، المشارق ١٤٩/١ .

(٢) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ١٨٩/٤ فتح ٨/٧ ، وكتاب المناقب ، باب علامات النبوة ١٨٠/٤ فتح ٦٢٢/٦ ومنه الزيادة الاخيرة فى الحديث ، كتاب الأشربة باب شرب اللبن فتح ٦٣/١٠ ، كتاب مناقب الانصار ، باب هجرة النبى وأصحابه الى المدينة ٢٦٢/٤ فتح ٢٥٥/٧ ، صحيح مسلم ٢٣٠٩/٤ مثل حديث علامات النبوة ، مسند أحمد ١٥٤/١ تحقيق أحمد شاكر مسند أبى بكر للمروزى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) البخارى كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبى صلى الله عليه وأصحابه إلى المدينة ٢٥٧/٤ ، فتح ٢٣٩/٧ .

إلى مكة ، إما متلقيا وإما معتمرا ، ومعه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام ، فلما لقيه أعطاه فلبس منها هو أبو بكر ." وهذا إن كان محفوظا احتمل أن يكون كل من طلحة والزبير أهدى لهما من الثياب." (١)

فكان الصديق رضى الله عنه فى هجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الصاحب لصاحبه ، والخادم المعين ، والحارس الفطين .

روى الإمام البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : "أقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ (٢) يعرف ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل ، قال : فيحسب الحاسب أنه انما يعنى الطريق ، وانما يعنى سبيل الخير ... الحديث " (٣)

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل فطنة الصديق رضى الله عنه ، وسرعة بدهيته " هذا الرجل يهدينى السبيل " أسلوب من التورية جاء مع بساطته فى أروع صورة بلاغية ، فنعم الهادى ونعم المهدى ونعم السبيل الذى يهدى إليه .

وظل الأمر على هذا المنوال ، إلى أن وصلا المدينة ، ولم يكن الأنصار — ممن لم يروا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل — يعرفون من هو الرسول من بين الرجلين ، حتى عرفوه بتظليل أبى بكر له بردائه .

روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه قال : "... وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم (٤) من آطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين (٥) ، يزول بهم السراب (٦) ، فلم يملك اليهودى أن

---

(١) فتح البارى ٢٤٣/٧ .
(٢) المقصود بشيخ يريد أنه قد شاب ، والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من الصديق .
(٣) البخارى كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٢٦٠/٤ ، فتح ٢٤٩/٧ ، أحمد فى المسند ١٢٢/٣ ، ٢١١ ، ٢٨٧ .
(٤) أطم : بضم أوله وثانيه هو الحصن ، أو البناء المرتفع . النهاية ٥٤/١ فتح ٢٤٣/٧
(٥) مبيضين : بتشديد الياء وكسرها ، أى عليهم الثياب البيض . النهاية ١٧٣/١ فتح ٢٤٣/٧
(٦) يزول بهم السراب : أى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له ، وقيل معناه ظهرت حركتهم للعين خيالا . النهاية ٣١٩/٢ ، فتح ٢٤٣/٧

قال بأعلى صوته : يا معاشر العرب ،هذا جدكم [١] ، الذى تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح ،فتلقوا رسول الله صلى اللهعليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين ،حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ،وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق من جاء ممن الأنصار ،ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر ،حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ،فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ... الحديث . "[٢]

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أسنّ الصحابة .

روى الإمام البخارى رحمه الله عن أنس خادم النبى صلى الله عليه وسلم قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس فى أصحابه أشمط غير أبى بكر ، ففلفها بالحنّاء والكتم . "[٣]

وعنه رضى الله عنه أيضا : " قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فكان أسنّ أصحابه أبو بكر ،ففلفها بالحنّاء والكتم حتى قنأ لونها . "[٤]

---

(١) جدّكم : بفتح الجيم أى حظكم وصاحب دولتكم الذى تتوقعونه . وقيل الجد : الحظ والسعادة والغنى . النهاية ٢٤٣/٧ ، فتح ٢٤٣/٧

(٢) صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٢٥٠/٤ فتح ٢٣٩/٧ ،ونحوه سيرة ابن هشام ٤٩٢/١ .

(٣) غلفها : خضبها لطخها ،والمراد اللحية وان لم يقع لها ذكر النهاية ٣٧٩/٣ فتح ٢٥٨/٧
الكتم : بفتح الكاف والمثناة الخفيفة هى دهن من أدهان العرب تجعل فيه الزعفران ، أو نوع من الصباغ يستعمل للحى النهاية ١٥٠/٤ .

(٤) قنأ : بفتح القاف والنون والهمزة أى اشتدّت حمرتها . النهاية ١١١/٤ فتح البارى ٢٥٨/٧ .
والحديثان أخرجهما الامام البخارى فى صحيحه ،كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٢٦٣/٤ فتح ٢٥٦/٧ .

آثـار الهجرة على الصديق وآله رضى الله عنهم

لقد تبين لنا مما سبق أن الصديق رضى الله عنه قد استنفر كل ما يملك من مال وأهل فى سبيـل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والصديق كان تاجرا ماهرا ، وكان رب أربعين ألف درهم ، فأنفق فى سبيل الله منها ما أنفق ، وأعـتق فى سبيل الله منها من أعـتق و أخذ ما تبقى معه فى هجرته مع رسول الله صلى الله عليـه وسـلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : فحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير (١) أن أباه عبادا (٢) حدثه عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، معه خمسـة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبو قحـافة وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت: كلا يا أبت ، انه قد ترك لنا خيرا كثيرا .

قالت: فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شـيئا ولكنى أردت أن أسكن الشيخ (٣).

وما الذى دفع الصديق رضى الله عنه لأن يترك أهله بدون مال الا حـبّ اللـه ورسوله ، وايمان الصديق هو الركـيزة التى ينطلق منها فى كل تصرفاته رضى الله عنـه ولما كان من دواعى الايمان ما رواه البخارى عن أنس رحمه الله ورضى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يؤمن عبد ـ وفى رواية الرجل ـ حتى أكون أحبّ اليهِ من أهله وماله والناس أجمعين "(٤) امتثل الصديق هذا الوحى الإلهى أشدّ الالتزام .

هذا وقد نال أسـماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما من الأذى على يد عدو اللـه أبى جـهل عليه لعنة الله ، ما طرح منه قُرْطها .

---

(١) يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام المدنى ، ثقة من الخامسة مات بعد المائة . التقريب ٢/٣٥٠

(٢) عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام ، كان قاضى مكة زمن أبيه ، وخليفته اذا حج ثقة من الثالثة ترتيب ثقات العجلى (ل ٣٠أ) تقريب ١/٣٩٢

(٣) الحديث اسناده صحيح أخرجه ابن هشام فى السيرة عن ابن اسحاق ١/٤٨٨ ، مسند أحمد ٦/٣٥٠ مثله ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/٥٩ سيرة ابن كثير ٢/٢٣٦ جامع الاحاديث والمسانيد للسيوطى ١/٣٢ ، كما أخرج نحوه فى ١/٣٤ وقال أخرجه البغوى ، وقال : قال ابن كثير : حسن الاسناد .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الايمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ١/٦٧ .

قال ابن اسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : "لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل ابن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت اليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي . " (١)

ولما هاجر الصديق رضى الله عنه طلق امرأة له يقال لها أم بكر ، وما طلقها إلا لأنها كافرة أو رفضت أن تهاجر ، وذلك لأنها تزوجت من ابن عم لها كافر ، هو أبو بكر شداد بن الأسود بن عبد شمس . ورجحت أنه طلقها لكفرها ، لأنها قد تزوجت من ابن عمها الكافر ، ولا يجوز الزواج — لو كانت مسلمة — من الكافر ، ولعلها تزوجته غيظا لأبي بكر الصديق رضى الله عنها .

روى الإمام البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها " أن أبا بكر رضى الله عنه تزوج امرأة من كلب ، يقال لها : أم بكر ، فلما هاجر أبو بكر طلقها ، فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذي قال هذه القصيدة رثى كفار قريش ... " (٢)

ونخرج من حادثة الهجرة — مما ورد فيها من قرآن وسنة مطهرة — بما يلي :

أولا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمن على سرّه وعلى نفسه في هذه الحادثة العظيمة إلا أبا بكر ، وما كان اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم له ، إلا دليل محبته ، وثقته به ، ودليل على أنه أقرب أصحابه إليه . وحيث إن خطوات الهجرة كانت عن طريق الوحي ، فظهر أن هذا تفضيل من الله سبحانه وتعالى للصديق على غيره ، رضى الله عنه .

ثانيا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى أن تكون نفقة هذه الرحلة من مال أبي بكر الذي أنفق جميع ماله في خدمة الدعوة الى الدين الذي اعتنقه الا أنه صلى الله عليه وسلم أحب أن تكون الراحلة التي ركبها بالثمن ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : "إن أمن الناس على في ماله ونفسه أبو بكر " ، وهل هناك أفضل من أن ينفق الصديق ماله على رسول الله ودعوته .

ثالثا : إن الصديق رضى الله عنه جند نفسه وماله وأسرته وكل ما يملك في سبيل هذه الرحلة الميمونة ، فنال الصديق الأجر العظيم ، وفي ذلك أكبر فضيلة .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧ والحديث ضعيف لجهالة شيخ ابن اسحاق ، وذكره السيوطي في جامع الأحاديث ١/ ٣٢ـ٣٣ ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٥٩ وقال : رواه الامام أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع .

(٢) البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/ ٢٦٣ فتح ٧/ ٢٥٧ .

رابعا : أنه تعالى سماه "ثانى اثنين" وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" فجعل الثانى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حال كونهما فى الغار ، وهذا يثبت للصديق رضى الله عنه منصبا عليا ، ودرجة رفيعة . وقد أثبت العلماء أنه رضى الله عنه كان الثانى فى أكثر المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة ، والهجرة ، وإمامة المسلمين ، حتى فى الدفن ، دُفن بجنبه ليكون ثانى اثنين هناك أيضا .

خامسا : أنه تعالى وصف الصديق رضى الله عنه بكونه صاحبا للرسول ، وذلك يدل على كمال الفضل ، ومرّ معنا قول العلماء فيمن أنكر صحبته رضى الله عنه .

قال ابن حجر رحمه الله : "ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى : "الا تنصروه فقد نصره الله ... الآية الى "معنا" فان المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع ، اذ لا يعترض بأنه لم يتميز لأنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة عامر بن فهيرة وعبدالله بن أبى بكر وعبدالله بن أريقط . لأنا نقول لم يصحبه فى الغار سوى أبى بكر ، والله يقول : "ثانى اثنين" والرسول يقول : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" والأحاديث فى كونه معه فى الغار كثيرة وشهيرة ، ولم يشركه فى هذه المنقبة أحد ." (١)

سادسا : فى دلالة هذه الآية على فضل أبى بكر رضى الله عنه قوله : "لا تحزن ان الله معنا" ولا شك أن المراد من هذه المعية ، المعية بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة . وبالجملة فالرسول صلى الله عليه وسلم شرّك بين نفسه وبين أبى بكر فى هذه المعية ،.

سابعا : يقول الفخر الرازى رحمه الله : ان قوله "لا تحزن" نهى عن الحزن مطلقا ، والنهى يوجب الدوام والتكرار ، وذلك يقتضى أن لا يحزن أبو بكر بعد ذلك البتة ، قبل الموت وبعد الموت وبعد الموت "(٢)

وقوله "ان الله معنا" يدل على أن الصديق من المتقين وذلك لأنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" ويدل كذلك على أنه من المحسنين (٣) .

ثامنا : كان الصديق رضى الله عنه قائما مقام جميع المؤمنين فى الغار وسائر رحلة الهجرة الميمونة ، وقد أنزل الله سكينته عليه - على ما ارتضيت ورجحت ، وهى منقبة لم يرد فى التنزيل اثباتها لشخص معين قبله ولا بعده الا رسول الله

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٣٣٥ بتصرف كبير .
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦/٦٢
(٣) الآية من سورة النحل رقم ١٢٨ ، عن التفسير الكبير ١٦/٦٧ بتصرف كبير .

صلى الله عليه وسلم ، وانما ورد اثباتها لجماعة المؤمنين في قوله تعالى : " هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم "(١) وقوله تعالى : " فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين "(٢) وقوله تعالى " ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين "(٣) وكان الصديق دائما أول المؤمنين الذين تنزل عليهم السكينة ، أما في الهجرة فقد انفرد بالسكينة لوحده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تاسعا : حكاية الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا تحزن " تفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعني بتسلية وطمأنينة صاحبه رضي الله عنه ، وهذا من عظيم فضائله ومناقبه ، واخبار الله بذلك فيما يتعبد به المؤمنون ويتلونه الى قيام الساعة أمر أعظم وفضيلة أفخم .

عاشرا : ضرب الصديق رضي الله عنه المثل الأعلى في التضحية بروحه وبكل ما يملك ، ورأينا كيف أبى الا أن يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دخوله الغار حتى يستبرئه ، خشية أن يصيب الرسول عليه الصلاة والسلام أي مكروه .

أحد عشر : هجرة الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تنم عن شجاعة فائقة عالية قد نوه بشأنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كما نوه بشجاعته وبسالته على الاطلاق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ثاني عشر : يستفاد من حادث الهجرة وما قام به الصديق من تجنيد ولديه(٤) لخدمة المهاجرين الكريمين ، ما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكورا واناثا في سبيل الله عز وجل ، ومن أجل تحقيق مبادئ الاسلام ، وتحقيق ذلك باقامة المجتمع الاسلامي .

فالصديق - شيخ الشباب - ضرب المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ، فاقتدى به ولداه ، فكان نعم السلف والقدوة لأبنائه .

ثالث عشر : ثبت أن الصديق رضي الله عنه من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكره العماد ابن كثير رحمه الله ضمن كتاب الوحي وغيره حيث قال : " ومنهم - أي الكتاب - الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم "(٥)

---

(١) سورة الفتح بعض آية رقم ٤ .
(٢) سورة الفتح بعض آية رقم ٢٦ .
(٣) سورة التوبة بعض آية رقم ٢٦ .
(٤) المقصود بولديه عبدالله وأسماء وقلت ولديه على التغليب .
(٥) السيرة النبوية لابن كثير ٦٩١/٤ ، البداية والنهاية ٣٣٩/٥ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٩٠/١

انتقادات الشيعة وطعنهم في الصديق من خلال حادثة الهجرة :

لما كانت حادثة الهجرة من أكبر مفاخر الصديق رضى الله عنه ، حيث نزل بها قرآن يتلى ، وكان الشيعة نصبوا العداء لأبى بكر ، وكانت حادثة الهجرة مما أكرم الله به الصديق من صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا مما يغيظ الشيعة ، حتى أكلتهم نار الغيظ ، فأخذوا يطعنون في الصديق من وجوه حقيرة ، جارية مجرى إخفاء الشمس بالكف ، حيث قد شاطوا بتأويلهم لآيات الله على غير ما أنزل سبحانه وتعالى .

ومما قالوه في الطعن في "ثاني اثنين" ما يأتى :

١ - قال الطوسى صاحب تفسير التبيان : "وليس في الآية - قوله تعالى : الا تنصروه فقد نصره الله ...الآية" - ما يدل على تفضيل أبى بكر ، لأن قوله تعالى : "ثاني اثنين" مجرد الاخبار أن النبى صلى الله عليه وآله خرج ومعه غيره وكذلك قوله : "إذ هما في الغار" خبر عن كونهما فيه ، وقوله : "إذ يقول لصاحبه" لا مدح فيه أيضا ، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ، ألا ترى أن الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر : "قال له لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك"(١) ، وقد يسمون البهيمة بأنها صاحب الانسان ، كقول الشاعر : وصاحب بازل شمول .

وقد يقول الرجل المسلم لغيره : أرسل اليك صاحبى اليهودى ، ولا يدل ذلك على الفضل ، وقوله : "لا تحزن" ان لم يكن ذما ، فليس بمدح ، بل هو محض نهى عن الخوف ، وقوله : "ان الله معنا" قيل : ان المراد به النبى صلى الله عليه وآله ، ولو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة ، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد ، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح : لا تفعل ان الله معنا ، يريد أنه متطلع علينا ، عالم بحالنا .

والسكينة قد بينا أنها نزلت على النبى صلى الله عليه وآله بما بيناه من أن التأييد بجنود الملائكة كان يختص بالنبى صلى الله عليه وآله ، فأين الفضيلة للرجل لولا العناد .

ثم يقول : "ولم نذكر هذا للطعن على أبى بكر بل بينا أن الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح ."(٢)

٢- وقال ابن المطهر الحلّى في منهاج الكرامة : "انه استخلصه لنفسه لأنه كان يخاف منه ، انه لو تركه في مكة أن يدل الكفار عليه ، وأن يوقفهم على أسراره

---

(١) سورة الكهف بعض آية ٣٨ .

(٢) تفسير التبيان للطوسى ٥/٢٢٢ ، وقال ابن المطهر في منهاجه ص ١٩٩ في قوله "لا تحزن" ان كان حقا فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه ، وان كان خطأ لزم أن يكون أبو بكر مذنبا وعاصيا في ذلك الحزن أهـ . بتصرف .

فأخذه معه حذرا من كيده ." (١)

٣- وقال صاحب مختصر التحفة الاثنى عشرية نقلا عن ابن شهراشب المازدانى فى كتابه المثالب : " ... وكذا أسقطوا - يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وزيد وغيرهم ممن جمع القرآن معهم - لفظ " ويلك " قبل قوله : " لا تحزن ان الله معنا " (٢)

٤- ونقل الفخر الرازى عنهم قولهم : " وإن دلت هذه الحالة على فضل أبى بكر إلا أنه أمر عليا بأن يضطجع على فراشه ، والاضطجاع فى مثل تلك الليلة الظلماء مع كون الكفار قاصدين قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، تعريض النفس للفداء ، وهذا العمل أعلى وأعظم من كون الصديق صاحبا للرسول صلى الله عليه وسلم ." (٣)

٥- ونقل عنهم الإمام محمد رشيد رضا فى تفسيره أنهم يزعمون أن عليا هو المجهز لهم بشراء الابل. (٤)

وأقوال هؤلاء الشيعة ليس لها ما تعتمد عليه ، لا من الكتاب ولا من السنة المطهرة ، وما هى الا افتراآت وأكاذيب ، سولتها لهم أنفسهم الشيطانية التى لا ترعوى لله ولا لرسوله حقا . أما من ناحية العقل ، فانها ممجوجة ضعيفة متهالكة ساقطة أمام أول نظرة اليها ، وان أصدق ما يوصفون به هو قوله تعالى : " كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون. " (٥)

وللردّ عليهم أقول وبالله التوفيق :

أولا : إنكم تزعمون أنه لا فضيلة فى صحبة الصديق للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ، ويلزم منه أنه لا فضيلة فى صحبته ولا صحبة سائر المؤمنين له فى غير الغار ، من أزمنة رسالته صلى الله عليه وسلم بالأولى . اذ تستدلون على ذلك بان الصحبة تكون بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وبين الانسان والحيوان . فاذا كنتم تلتزمون هذا الاستدلال فانه يلزمكم خزيان لا مفر منهما :

أحدهما : أن صحبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أعلى الله قدره ، ورفع ذكره وصحبة الكافر أو الحمار سواء -"وأستغفر الله تعالى من حكاية هذا الجهل ، وان كان حاكى الكفر ليس بكافر" - لأن كلا منهما تسمى صحبة فى اللغة ، والعبرة عندكم بالتسمية دون متعلقها ، فكيف تقولون بحديث: " من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته

(١) منهاج الكرامة ص بتصرف كبير وشرح ، وانظر الفخر الرازى فى التفسير ٦٩/١٦
(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٥٢ . (٣) الفخر الرازى فى التفسير ٦٩/١٦ بتصرف.
(٤) تفسير المنار / محمد رشيد رضا ٤٥١/١٠. (٥) سورة العنكبوت بعض آية ٤١ .

إلى ما هاجر إليه(١) واذا كان كل منهما يسمى هجرة فالمهاجرون عندكم سواء ، فى أنه لا فضيلة لهم ولا أجر عند الله تعالى ، خلافا لنصوص القرآن .

ثانيهما : أن الإيمان بالله تعالى والاخلاص له بالعبادة لا يعدان عندكم من الفضائل لأنهما مشتركان فى الاسم مع الإيمان بالجبت والطاغوت . قال تعالى : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت " (٢)

وإذا نحن انتقلنا الى طبيعة الصحبة ، وما فيها من العلم والحكمة ، نقول إن ما هذى به الروافض من صحبة المؤمن والكافر ونحوها ، انما يصح فى الصحبة الاتفاقية العارضة ، كصحبة يوسف "عليه السلام" لمن كان معه فى السجن ، دون صحبة المودة ولا سيما الدائمة ، وذلك أن صحبة المودة الاختيارية لا تكون الا بين المتشاكلين فى الصفات والأفكار ، وقد مر معنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنه ، اشتركا فى الكثير من الصفات ، وزادهما الاسلام تعارفا وائتلافا ، حتى أنهما لم يفترقا فى وقت من الأوقات ، ولا فى طور من الأطوار .

وعلماء التربية والأخلاق ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المربى الأول والذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، يعدون الصحبة والمعاشرة ركنا من أركان اقتباس كل من الصاحبين من الآخر ، فيحثون على صحبة الأخيار ، ويحذرون من صحبة الأشرار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل . " (٣) عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى (٤)

ثانيا :

إنكم زعمتم أنه لا فضيلة للصديق رضى الله عنه فى كونه مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين بشهادة رب العزة . ولا فى كون الله عز وجل ثالثهما ، لأن العدد لا فضيلة فيه بزعمكم مهما تكن قيمة المعدود بذلك العدد .

والجواب: اننا لا نقول بفضيلة العدد "ثانى" أو "ثالثهما" فى حروفه وتركيبه ، أو النطق به ، وانما نقول أن الفضيلة للمعنى فى المعدود وهو الصديق ، فى الآية بلفظ "ثانى اثنين" ، وفى الحديث بلفظ "ما ظنك يا أبا بكر فى اثنين الله ثالثهما" ، فثلاثة رب العالمين أحدهم ، وسيد ولد آدم ثانيهم ، يكون لأبى بكر أعظم الشرف أن يكون ثالثهم - أو كما قلتم متمما للعدد - ، ويزيد هذا الشرف قيمة أنه ليس مما يحصل مثله بالمصادفة أو الكسب ، وانما الذى اختاره له هو رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله ، والمخبر بذلك هو الله ورسوله

---

(١) صحيح مسلم كتاب الامارة باب قوله صلى الله عليه وسلم "إنما الاعمال بالنية ٣/١٥١٥
(٢) سورة النساء بعض آية ٥١ . (٣) جامع الترمذى ٤/٥٨٩ وقال : هذا حديث حسن غريب .
(٤) تفسير المنار ١٠/٤٥٣ بتصرف .

صلى الله عليه وسلم .

ومما يدل على أن الشيعة يحسدون أبا بكر على هذه المنقبة ما قاله محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى : " ومما يدل على شنيع ما يعتقدون أنهم - بعضهم - يرضى بأن يرجع إلى المجوسية أو اليهودية لو أن هذه الآية لم تكن من كلام الله عز وجل . " (١)

ولو وردت هذه الآية وهذا الحديث في على رضى الله عنه لقلتم في الثلاثة حينئذ نحوا مما قالت النصارى في ثالوثهم ، كما قلتم في كونه رضى الله عنه أحد الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم في حنين ، فجعلتم هذا الثبات الذي لم ينفرد به رضى الله عنه ، ولم يثبت بنص قرآن ولا بحديث مرفوع ولا مرسل ، حجة على كونه وحده دون من اعترفتم بثباتهم معه سببا للنصر ، وانقاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من القتل ، وبقاء الاسلام والمسلمين في الوجود ، وكما فعلتم في حديث المؤاخاة له اذ فضلتموه به على الصديق وغيره رضى الله عنهم ، على حين قد ثبتت تسمية الصديق أخا بأحاديث أصح من ذلك : كقوله صلى الله عليه وسلم : " لو كنت متخذا خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخي وصاحبي " (٢) ، وهذا يدل على أن أبا بكر رضى الله عنه عنده - صلى الله عليه وسلم - أعلى منزلة من جميع أمته .

ومما يناقض ما يقولون به أن فضيلة للصديق كونه ثاني اثنين ، ما قرأنا وسمعنا منكم أنكم تفخرون بعدد لم تثبت روايته بمثل ما ثبتت به رواية هذا العدد ، ولا يبلغ درجته في عظمة المعدود .

قال الفخر الرازي : " واعلم أن الروافض في الدين كانوا اذا حلفوا قالوا : وحق خمسة سادسهم جبريل ، وأرادوا به أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعليا ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، كانوا قد احتجبوا تحت عباءة يوم المباهلة فجاء جبريل وجعل نفسه سادسا لهم ، فذكروا للشيخ الامام الوالد رحمه الله تعالى : ان القوم هكذا يقولون ، فقال رحمه الله : لكم ما هو خير منه بقوله " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " . ومن المعلوم بالضرورة أن هذا أفضل وأكمل (٣)

ثالثا : أنكم زعمتم أن نهي النبي صلى الله عليه وسلم للصديق عن الحزن يدل على أنه كان عاصيا بذلك الحزن ، ومتصفا بالجبن . وهذا الزعم دليل على جهلكم

---

(١) المنتقى للذهبي ، تعليق محب الدين الخطيب ص ٣١٢ ، ٣٤٠

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لو كنت متخذا خليلا " ٤/ ١٩١ فتح الباري ٧/ ١٧ ، وانظر تخريجه ص

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦/ ٦٦-٦٧ .

بالقرآن ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وباللغة الـ وبطباع البشر ، وانما أوقعكم فى هذه الجهالات التعصب الذميم ، وسوء النية فيه ، وان جملة "لا تحزن" لم ترد فى القرآن الا خطابا للرسول وآخوانه الأنبياء ، وأم موسى من قبل الله وملائكته ، فقد قال الله لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : "فلا يحزنك قولهم" (١) ، وقال : "ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر" (٢) ، وقال لموسى عليه السلام : "خذها ولا تخف" (٣) ، وقالت الملائكة للوط عليه السلام : "لا تخف ولا تحزن" (٤) فان قلتم انها تدل على العصيان والجبن فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم فى وجوب العصمة للامام المعصوم فى زعمكم ، فان الأنبياء هم الأئمة المعصومون باجماع ، كما يلزمكم الطعن فى الرسل الكرام وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا صريح الكفر . وقول الله سبحانه وتعالى لأنبيائه "لا تحزن" هو تسكين لجأشهم ، وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهى الذى زعموا .

ووجه آخر من الرد : وهو أن النهى عن الفعل لا يقتضى كون المنهى فيه ، فقد نهى الله أنبيائه وعباده عن أشياء فلم يقتضى ذلك أنهم كانو فاعلين لتلك الأشياء فى حال النهى ، لأن فعل النهى فعل مستقبل ، ولذلك لم يكن فى الصديق ما ادعوا من الغض . (٥) وكفى الصديق شرفا أن ينهاه رسول الله عما نهاه ربه عنه ، وأى شرف أعلى من هذا ؟ (٦) مع العلم أن خوفه كان على صاحبه .

رابعا : والجواب عن قولهم : "انه استخلصه لنفسه حذرا من كيده ... الخ" من عدة وجوه :

أ : ان من المعلوم بالبداهة أن من يخاف من وشاية آخر عليه لا يخبره بسره ، فكيف آمن النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر على سره ، ورضى أن يعلم بذلك بعض أهله ، وأن يتعاهدهما ولده وعتيقه فى الغار بالغذاء ، وبالأنباء كل ليلة ، أثناء مكوثهما فى الغار ، وأن يكون هو الذى يتولى استئجار الدليل الذى يرحل بهما ؟؟ (٧)

ب : قال الفخر الرازى : "ان الذى قالوه أخس من شبهات السوفسطائيين ، فان أبا بكر لو كان قاصدا له ، لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ، وقال لهم نحن هنهنا ، ولقال ابنه و مولاه عامر للكفار نحن نعرف مكان محمد - صلى الله عليه وسلم - فندلكم عليه . فنسأل الله العصمة من عصبية تحمل الانسان على مثل هذا الكلام الركيك . (٨)

---

(١) سورة يس بعض آية ٧٦ . (٢) سورة آل عمران بعض آية ١٧٦ (٣) سورة طه بعض ٢١
(٤) سورة العنكبوت بعض آية ٣٣ .
(٥) الروض الأنف للسهيلى ٤/٢١٥ ، تفسير الرازى ١٦/٦٩ ، تفسير المنار ١٠/٤٥٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧/١٤٦ ، والفصل لابن حزم ٤/١٤٤-١٤٦ .
(٦) تفسير المنار ١٠/٤٥٦ (٧) تفسير المنار ١٠/٤٥٦-٤٦٧ بتصرف .
(٨) تفسير الفخر الرازى ١٦/٧٠ .

ج : قال الأستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله : "وأيضا إذا انفتح باب هذا الهذيان ،أمكن للناصبى أن يقول ـ والعياذ بالله تعالى ـ فى على كرم الله وجهه (١) : ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالتبيتوتة على فراشه ليلة هاجر إلا ليقتله المشركون ،ظنا منه أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فيستريح منه . وليس هذا القول بأعجب ولا أبطل من قول الشيعى آن اخراج الصديق رضى الله عنه انما كان حذرا من شره ، فليتق الله من فتح هذا الباب ،و المستهجن عند أولى الألباب "(٢)

خامسا : إن ما زعموه من احتمال أن يكون المراد من جملة "ان الله معنا" اثبات المعية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وحده ، لا يصدر مثله إلا عنكم بالتبع لملاحدة سلفكم الباطنية ،وهذا مما يأباه اللفظ والأسلوب والسياق والمقام . وانما يقصد بالكلام الإفهام ،وما زعموه صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم أفهم صاحبه غير الحق ،وأراد أن يغشه ويوهمه بالباطل : أن الله معهما . حاش لله ،وحاش لرسوله صلى الله عليه وسلم .

سادسا : والجواب عن القول بأن عليا أفضل من الصديق لنومه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة من وجوه :

أ ـ إنا لا ننكر أن اضطجاع على بن أبى طالب رضى الله عنه فى تلك الليلة على فراش النبى صلى الله عليه وسلم طاعة عظيمة ، ومنصب رفيع . إلا أن خطر هذه الليلة زال فى غضون ساعات قليلة خصوصا بعدما عرفوا أن النائم على وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما أبو بكر فبقى فى خطر الرحلة المباركة طيلة مدة الهجرة ،والتى امتدت إلى اسبوع .

ب ـ إن عليا رضى الله عنه قد طمأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم لن يخلصوا اليه بأذى ،فبات قرير العين ،أما الصديق رضى الله عنه فبقى خائفا ـ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى بعد خروجه من الغار ، إلى أن وصل المدينة المنورة . لهذا كان بلاؤه أشدّ ولهذا أجره أكبر .

جـ ـ إن الصديق رضى الله عنه كان الداعى الثانى إلى الإسلام ، واشتهر ذلك عنه ، وكان يخاصم الكفار ويذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما على رضى الله عنه فانه كان فى ذلك الوقت صغير السن ، وما ظهر منه دعوة لا بالدليل والحجة ، ولا بالجهاد بالسيف والسنان ، ولم يظهر عليه ذلك الا بعد الهجرة ،ولذلك كان غضب الكفار على الصديق رضى

---

(١) الأفضل أن يقال : رضى الله عنه ، كقول الله تعالى : "رضى الله عنهم".
(٢) تفسير محمد رشيد رضا (المنار) ١٠/٤٥٢ .

الله عنه أشدّ منه على عليّ رضى الله عنه ، ولذلك لم يتعرضوا لـــه بأذى البتة ، أما الصدّيق فجعلوا لمن يرده حيا أو ميتا دية كاملة مثله مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانت درجته أفضل وأكمل .

سابعا : أما زعمكم بأن عليا رضى الله عنه هو المجهز لهم بشراء الابل ، لم يثبت برواية صحيحة ، بل الثابت فى الصحيح ما تقدم فى حديث الهجرة من شراء الصدّيق رضى الله عنه للراحلتين ، وأخذه صلى الله عليه وسلم لاحداهما بالثمن .

وبعد ، فان هذه الآية من سورة التوبة ، قد أثبتت الصحبة للصديق رضى الله عنه نصا قاطعا ، دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، حتى غدا من ينكرها كافرا ، لكونه أنكر بعض القرآن المتواتر والمحفوظ بحفظ الله له . ولا يلتفت بعد ذلك الى هراء الروافض من أن تسمية الصاحب ليس فيه فضيلة ، ويحتجون على ذلك بقول حق : "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك" يراد به باطل ، ألم تر أن الله أردف كلمة "صاحبه" بما يدل على الاهانة والاذلال ، وهو قوله تعالى : "أكفرت بالذى خلقك" ، أما هنا — فى آية سورة التوبة — فبعد أن وصفه بكونه صاحبا له "اذ يقول لصاحبه" ، ذكر ما يدلّ على الاجلال والتعظيم وهو قوله تعالى : "لا تحزن ان الله معنا" فأى مناسبة بين البابين لولا فرط العداوة . (١)

---

(١) للمزيد ينظر الفصل لابن حزم ٤/١٤٤ ، والتفسير الكبير للامام الفخر الرازى ١٦/٦٧ وما بعدها

الباب الثانى

من وصول الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه إلى المدينة إلى انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى

الباب الثاني

وصل ركب النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه الى المدينة ونزلا في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف واذا خرج من منزل كلثوم بن هدم ، جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزبا لا أهل له . ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن أساف ، أخي بني الحارث بن الخزرج بالسنح ، ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد ابن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج . (١)

وهناك في قباء أسس المسجد الذي أسس على التقوى ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ثم سار متجها الى المدينة ، وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله . روى الامام البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " .. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرّة ، ثم بعث الى الأنصار ، فجاءوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فسلموا عليهما ، وقالوا اركبا آمنين مطاعين ، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وحفّوا دونهما بالسلاح فقيل في المدينة جاء نبي الله جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأشرفوا ينظرون ويقولون : جاء نبي الله فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب ... فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : أي بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يانبي الله ، هذه داري ، وهذا بابي ، قال : انطلق فهيئ لنا مقيلا قال : قوما على بركة الله تعالى . " (٢)

وروى البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " ... فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشي معه الناس حتى برکت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٣ بتصرف ، تاريخ الطبري ٢/ ٣٨٢ ، زاد المعاد ٢/ ٥٤ ، رحمة للعالمين ١/ ١٠٢ .

(٢) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/ ٢٦٠ فتح ٧/ ٢٥٠ ، مسند أحمد ٣/ ١٢٢ ، ٢١١ ، ٢٨٧ .

المسلمين ، وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة ، - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا - لا . بل نهبه لك يارسول الله ، ثم بناه مسجدا ... الحديث " (١) وفي فتح الباري " - فقالا : لا . بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى أبتاعه منهما ، ثم بناه مسجدا ... الحديث " (٢) .

وفي رواية أخرى للبخاري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله صلى - الله عليه وسلم المدينة ، نزل في علو المدينة ، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، قال : - فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل الى ملأ بني النجار ، قال : فجاؤا متقلدي سيوفهم قال : وكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وأبو بكر ردفه ، وملأ بني النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال : فكان يصلي حين أدركته الصلاة ، ويصلي في مرابض الغنم . قال : ثم أنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل الى ملأ بني النجار فجاؤا فقال: يا بني النجار ثامنوني (٣) بحائطكم هذا ، فقالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه الا الى الله تعالى ... الحديث " (٤)

قلت : وقد بين البخاري رحمه الله في الحديث السابق أن الرسول صلى الله عليه وسلم أبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . قال الحافظ ابن حجر : " ووقع عند موسى بن - عقبة عن الزهري أنه أشتراه منهما بعشرة دنانير ، وزاد الواقدي أن أبا بكر دفعها لهما

---

(١) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/ ٢٦٠ فتح ٧/ ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٢) فتح الباري ٧/ ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٣) ثامنوني : أي ساوموني بثمنه ، أو فروا معي ثمنه ، ثامنت الرجل بكذا أي ساومته النهاية ١/ ٢٢٣ .
فتح الباري ٧/ ٢٦٦ .

(٤) البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاب المدينة ٤/ ٢٦٦ ، الفتح ٧/ ٢٦٥ وكتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ١١١ فتح ١/ ٥٢٤ ، مسلم كتاب المساجد ، باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ١/ ٣٧٣ ، ابن هشام ١/ ٤٩٤ ، زاد المعاد ٢/ ٥٥ ، رحمة - للعالمين ١/ ١٠٢ .

عنـــه . " (١)

وهذا كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة أن بنى مسجـــده الشريف ، وكان لأبى بكر الصديق رضي الله عنه الثواب العظيم في ذلك ، إذ هو الذى سدد ثمن المربد للأنصار ، وكفى الصديق منقبة وفضيلة وفخرا أن يكون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ماله الخاص ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من بنى لله مسجدا ولـــو كمفحص (٢) قطاه بنى الله له بيتا في الجنة . " (٣) وفى رواية " من بنى مسجدا قال بكـير : حسبت أنه قال : يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة . " (٤)

وقد مر بنا أن الصديق رضي الله عنه بنى مسجدا بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلـــى ، لكن ذلك المسجد كان لخاصة نفسه ، ولم يكن للناس عامة ، فالصديق رضي الله عنه مـن أول المسلمين بناء للمساجد ، وهذه منقبة جليلة ، وفضيلة عظيمة .

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٦٦ . وقال الأستاذ عبد الرحمن الوكيل في حاشية الروض الأنـــف ٤/ ٢٦٣ : وفي بعض الروايات عن معمر عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيهما . ظت انظر ابن سعد ١/ ٢٢٦ ، ثم قال : وقال غير معمر : أعطاهما عشرة دنانير ، وعند الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنـه .

(٢) مفحص : من الفحص كالأفحوص وجمعه مفاحص ، وهو موضع القطاة الذى تجثم فيه وتبيض ، كأنها تفحص عنه التراب أى تكشفه . النهاية ٣/ ٤١٥ .

(٣) ابن ماجه ١/ ٢٤٤ وصححه محمد فؤاد عبد الباقى ، صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٦٦ ، مسند أحمد ١/ ٢٤١ ، فتح الباري ١/ ٥٤٥ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الصلاة باب من بنى مسجدا ١/ ١١٦ فتح ١/ ٥٤٤ ، مسلـــم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ١/ ٣٧٨ ، كتاب الزهد باب فضل بناء المساجد ٤/ ٢٢٨٧ ، الترمذى ٢/ ١٣٤ - ١٣٥ ، النسائي ـــ ٢/ ٣١ ، ابن ماجه ١/ ٢٤٣ ، صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٦٨ ، أبو عوانه ١/ ٣٦١ . موارد الظمآن ص ١٧ ، مسند أحمد ٦/ ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٦١ .

بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين عائشة

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وأخرج الطبراني من وجه آخر عن عائشة قالت " لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر خلفنا بمكة ، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة (١) وأبا رافع (٢) ، وبعث أبو بكر عبد الله بن أريقط ، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبي بكر وأنا وأختي أسماء ، فخرج بنا وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة ، وأخذ زيد امرأته أم أيمن وولديهما أيمن وأسامة ، واصطحبنا ، حتى قدمنا المدينة فنزلت في عيال أبي بكر ، ونزل آل النبي صلى الله عليه وسلم عنده ، وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته ، فأدخل سودة بنت زمعة أحد تلك البيوت ، وكان يكون عندها ، فقال أبو بكر : مايمنعك أن تبني بأهلك ؟ فبنى بها الحديث . (٣)

روى البخاري رحمه الله عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : " أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي حلال لي . " (٤)

---

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، أبو أسامة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي جليل مشهور من أول الناس اسلاما ، استشهد يوم مؤته في حياة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان .
الاستيعاب ٢/ ٥٢٥ ، أسد الغابة ٢/ ٢٨١ ، الاصابة ١/ ٥٤٥ ، التقريب ١/ ٢٧٣ .

(٢) أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه ابراهيم ، وقيل أسلم أو ثابت أو هرمز كان للعباس ووهبه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي أعتقه لما بشره باسلام العباس . مات في أول خلافة علي على الصحيح . الاستيعاب ٤/ ٦٢ ، الاصابة ٤/ ٦٨ ، التقريب ٢/ ٤٢٠ .

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٢٥ .

(٤) صحيح البخاري كتاب النكاح باب تزوج الصغار من الكبار ٦/ ١٢٠ الفتح ٦/ ١٢٣ . قال ابن كثير : هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل ، وهذا عند البخاري والمحققين متصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله . السيرة النبوية ٢/ ١٤٠ ، وقال الحافظ في الفتح ٦/ ١٢٤ فهو من رواية عروة في قصة وقعت لخالته عائشة وجده لأمه أبي بكر ، فالظاهر أنه حمل ذلك عن خالته عائشة أو عن أمه أسماء ، وقال ابن عبد البر : اذا علم لقاء الراوي لمن أخبر عنه ولم يكن مدلسا حمل ذلك على سماعه فمن أخبر عنه ولو لم يأت بصيغة تدل على ذلك .

وروى عبد الله بن الامام أحمد قال : حدثني أبي ثنا محمد بن بشر (١) قال حدثنا محمد بن عمرو (٢) ، قال : حدثنا أبو سلمة (٣) ويحيى (٤) قالا : لما هلكت خديجة جاءت خوله بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله ، ألا تزوّج ؟ قال : من ؟ قالت: ان شئت بكرا وان شئت ثيبا . قال : فمن البكر ؟ قالت ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك ، عائشة بنت أبي بكر . قال : ومن الثيّب ؟ قالت : سودة ابنة زمعة (٥) قد آمنت بك واتبعك على ماتقول . قال : فاذهبي فاذكريهما علي .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : ياأم رومان ، وماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة ؟ : قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة . قالت : انتظري أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ : ، قال : وماذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ؟ : إنما هي ابنة أخيه .

---

(١) محمد بن بشر بن الرافضة بن المختار الحافظ العبدي أبو عبد الله الكوفي ثقة ، من التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين ، التقريب ٢/١٤٧ . التهذيب ٩/٧

(٢) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي أبو عبد الله ، ويقال أبو الحسن المدني ، وثقه الذهبي وقال مرة شيخ مشهور حسن الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قال النسائي : ليس به بأس ، ابن حجر : صدوق له أوهام من السادسة ، مات سنة خمس وأربعين ومائة . الميزان ٣/٦٧٣ ، الكاشف ٣/٨٤ ، التهذيب ٤/٣٧٥ ، التقريب ٢/١٩٦ .

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، وقيل اسمه عبد الله ، وقيل اسماعيل وقيل اسمه كنيته ، تابعي ثقة مكثر من الثالثة . مات سنة أربع وتسعين . الكاشف ٣/٣٤٢ التقريب ٢/٤٣٠ .

(٤) يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة أبو محمد أو أبو بكر المدني ثقة ، من الثالثة ، مات سنة أربع ومائة . الكاشف ٣/٢٦١ ، التقريب ٢/٣٥٢ .

(٥) هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية القرشية ، أم المؤمنين ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة ، وهو بمكة ، وماتت سنة خمس وخمسين على الصحيح . الاستيعاب ٤/٣١٧ ، الاصابة ٤/٣٣٠ ، التقريب ٢/٦٠١ .

فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، قال ارجعى اليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى في الاسلام ، وابنتك تصلح لى . فرجعت ، فذكرت ذلك له ، قال انتظرى ، وخرج .

قالت أم رومان : ان مطعم ابن عدى قد كان ذكرها على ابنه ، فوالله ماوعد وعدا قط فأخلفه لأبى بكر ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى ، وعنده امرأته أم الفتى ، فقالت : ياابن أبى قحافة ، لعلك مصبئ صاحبنا ، مدخله في دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك ؟ قال أبو بكر للمطعم بن عدى : أقول : هذه تقول ؟! قال : إنها تقول ذلك ، فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ماكان في نفسه من عدته التى وعده ، فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين . "

ثم ذكرت زواجه من سودة بنت زمعة - رضي الله عنها ثم قال :-

" قالت عائشة : فقدمنا المدينة ، فنزلنا في بنى الحارث بن الخزرج في السنح (١) ، - قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيتنا ، واجتمع اليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتنى أمى ، وانى لفى أرجوحة بين عذقين ترجح بى ، فأنزلتنى من الأرجوحة ، - جميمة ، فغرقتها ، ومسحت وجهى بشئ من ماء ، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند - الباب ، وانى لأنهج حتى سكن من نفسى ، ثم دخلت بى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا ، وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستنى في حجره ثم ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء - فخرجوا ، وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا ، مانحرت على جزور ، ولا ذبحت على شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله صلى الله

---

(١) السنح : بضم السين والنون ، وقيل بسكونها ، موضع بعوالى المدينة فيه منازل بنى الحارث بن الخزرج بينها وبين المسجد ميل . معجم مااستعجم ٣/٧٦٠ ، - معجم البلدان ٣/٢٦٥ ، النهاية ٢/٤٠٧ .

صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين . " (١) ففي هـــذا الحديث دلالة واضحة على تقدم الصديق على جميع الصحابة في حب رسول الله صلى الله - عليه وسلم له ، حتى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يعلمون ذلك . قالت خولـــة حكيم رضي الله عنها : " ابنة أحب خلق الله عز وجل إليه . عائشة بنت أبي بكر . "

فهذه هي منزلة الصديق رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحب خلـــق الله عز وجل إليه " وهب قائل يقول هذا رأي أحد الصحابة ، وليس بلازم أن يكون الصـــديق رضي الله عنه كذلك .

أقول : حتى لو كان رأي أحد الصحابة ، فما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفـــــه فذلك يعني إقراره واقرارات رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنة النبوية المشرفة . هـــذا من وجه .

والوجه الثاني : قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا القول .

---

(١) الحديث اسناده ضعيف لارساله. يحيى نابعي لكن وصله البيهقي في الدلائل ٢/ ١٥٥ ١٥٧ ، كما أشار ابن كثير في السيرة ٢/ ١٤٤ الى اتصاله أيضا . وروى بعضه - البخاري كما في الحديث السابق ٦/ ١٢٠ فتح ٧/ ١٢٣ وأيضا الجزء الأخـــير - منه رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار ، باب تزوج النبي صلى اللـــه عليه وسلم وقدومها المدينة وبنائه بها ٤/ ٢٥١ ، فتح ٧/ ٢٢٣ وابن ماجه ١/ ٦٣ .

روى البخاري رحمه الله عن أبي عثمان النهدي قال : حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أي الناس أحبّ إليك ؟ قال : عائشة . فقلت من الرجال ؟ قال : أبوها . قلت : ثم من ؟ قال عمر بن الخطاب . ، فعد رجالا . " (١)

وهذا بالطبع في آخر العهد المدني في غزوة ذات السلاسل ، وبذلك يثبت أن الصديق رضي الله عنه أحب الرجال إليه صلى الله عليه وسلم ، وابنة الصديق أم المؤمنين أحب الناس اليه رضي الله عنها وعن أبيها .

وماذا أدخل الله سبحانه وتعالى على أبي بكر وعلى آله من الخير والبركة في مصاهرته لنبي الأمة صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البخاري : كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب لو كنت متخذا خليلا " ١٢/٤ الفتح ١٨/٧ ، وكتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل ١١٣/٥ ، الفتح ٧٤/٨ ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٨٥٦/٤ . المسند للامام أحمد ٢٠٢/٤ ، والترمذي ٧٠٦/٥ وقال هذا حديث حسن صحيح ، تحفة الأحوذي ١٠/ ١٤٠ - ١٤١ ، ٢٦٢ ، عن أبي عثمان عن عمرو والترمذي ٧٠٦/٥ ، والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ١٥٧/٨ عن قيس عن عمرو . والحاكم في المستدرك ١٢/٤ عن الشعبي عن عمرو بن العاص ، ابن ماجه ٤٨/١ والحاكم ١٢/٤ عن أنس .

ماأصاب المهاجرين رضي الله عنهم من حمى المدينة وقد سلم الرسول صلى الله عليه وسلم منهـــا باذن اللـــه

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون المدينة وهي أوبأ أرض الله من الحمـــى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . وكان الصديق من الذين أصيبوا بحماها .

روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة دمك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف تجـــدك ويابلال كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :-

كل امرئ مصبح (١) في أهله * * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :-

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * * بواد وحولي إذخر (٢) وجليل (٣)

وهل أردن يوما مياه مجنّة (٤) * * وهل يبدون لي شامة وطفيـــل (٥)

---

(١) مصبح : بصيغة ثم موحدة وزن محمد أي مصاب بالموت صباحا ، وقيل : المراد أنـــه يقال له وهو مقيم باهله : صبحك الله بالخير وقد يفجأه الموت في بقية النهار . النهاية ٦/٣ ، فتح ٢٦٢/٧ .

(٢) اذخر : نبات طيب الرائحة . النهاية ٣٣/١ .

(٣) جليل : بالجيم : الثمام وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها ، وقيل هو الثمام إذا عظم وجل . النهاية ٢٨٤/١ ، الفتح ٢٦٣/٧ .
وذكر ابن اسحق : "بفتح "بالخاء المعجمة والجيم بدلا من بواد . وقال أبو حنيفة الدينوري: فخ : بالخاء المعجمة : واد خارج مكة بينه وبينها ثلاثة أميال معجم ماستعجم ١٠١٤/٣ ، معجم البلدان ٢٢٧/٤ ، النهاية ٤١٨/٣ .

(٤) مجنة : بفتح أوله وثانيه بعده نون مشددة موضع بأسفل مكة على بعد بريد منها . وكـــان به سوق بمر الظهران للعرب في الجاهلية . معجم ماستعجم ١١٨٧/٤ ، معجم البلدان ٥٨/٥ ، النهاية ٣٠١/٤ ، الفتح ٢٦٣/٧ .

(٥) شامة وطفيل : جبلان بقرب مكة على بريد منها ، وقيل هما عينان من ماء . معجم ماستعجم ٧٧٦/٣ ، معجم البلدان ٣١٥/٣ ، النهاية ١٣٠/٣ ، الفتح ٢٦٣/٧ بتصرف يسير ابن هشام ٥٨٤/١ .

قالت عائشة : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : " اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وأنقل حماها فاجعلها بالجحفة . (١) ، (٢)

وقد ثبت أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعكت أيضا .

روى الامام البخاري رحمه الله عن البراء رضي الله عنه قال : "فدخلت مع أبي بكر على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة ، قد أصابتها حمى ، فرأيت أباها يقبل خدها ، وقال كيف أنت يابنية " (٣) . وهذا يدل على رقة قلب الصديق وحنوه على ابنته ، وذلك لأنها أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما تخرج بنتيجة أخرى وهي أنه مانزل بالصديق أو آل بيته شيء إلا كان فيه خير وبركة للمسلمين ، فبعد مرضه والصحابة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة وصاعها ومدها بالبركة وأن يصرف عنها البلاء . وهذا ماصرح به أسيد بن حضير الصحابي الجليل في الحديث الذي يرويه البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عقد لي ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى الناس أبا بكر فقالوا : ألا ترى ماصنعت عائشة ؟ أقامت

---

(١) الجحفة : بالضم ثم السكون كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة ، وكان اسمها مهيعة ، وانما سميت بالجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها ، وبينها وبين المدينة ست مراحل ، وبين غدير خم ميلان . معجم ماستعجم ٢/٢٦٨ ، معجم البلدان ٢/١١١

(٢) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة ٤/٢٦٤ الفتح ٧/٢٦٢ ، كتاب فضائل المدينة باب ١٢ حدثنا مسدد ٤/٢٢٤ الفتح ٤/٦٦ مسلم كتاب الحج باب فضل المدينة ٢/١٠٠٣ النووي ٩/١٥٠ ، موطأ الامام مالك ص ٦٤٢ ، المسند للامام أحمد ٦/٥٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، سيرة ابن هشام ١/٥٨٨ والبخاري أيضا في كتاب المرضى باب عيادة النساء الرجال ٧/٥ فتح ١٠/١١٧ ، دلائل النبوة ٢/٣٨٢ .

(٣) سورة النساء بعض آية ٤٣ .

برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال : حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء . قالت : فعاتبني ، وقال ماشاء أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم "فتيمموا" (١) فقال : أسيد بن الحضير : ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . فقالت عائشة : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته . " (٢)

وهذا الحديث يدل على أن هذه البركة وهي التخفيف على الناس ليست أول بركة لآل أبي بكر ، بل هي مسبوقة بغيرها من البركات ، والمراد بآل أبي بكر نفسه وأهله وأتباعه ، كما أن فيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منهما . (٣)

كما يدل الحديث على تقدير الصحابة للصديق ، فهرعوا إليه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان نائما وكانوا لا يوقظونه ، وهو الرجل الثاني من بين المسلمين ، كذلك لأن أم المؤمنين عائشة هي ابنته رضي الله عنهما .

---

(١) سورة النساء بعض آية ٤٣ .

(٢) كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذا خليلا ٤/ ١٦٥ فتح ٧/ ٢٠ ، كتاب الحيض ، باب حدثنا عبد الله بن يوسف ١/ ٨٦ فتح ١/ ٤٣١ ، - باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا ١/ ٨٦ فتح ١/ ٤٤٠ ، كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها ٤/ ٢٢٠ فتح ٧/ ١٠٦ .

(٣) فتح الباري ١/ ٤٣٣ بتصرف .

فصل المؤاخاة في المدينة المنورة

كان بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة هو أول الخطوات لبناء الدولة الاسلامية ، فكان مركزها الذي يتم فيه تلقي تعاليم رب العزة لاقامة المجتمع الاسلامي الأول في زمن محمد صلى الله عليه وسلم .

وجاءت الخطوة الثانية وهي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم ، فأقام بها مبدأ التعاون والتناصر فيما بينهم ، وليخفف من المهاجرين الأزمة المعيشة ويذهب عنهم وحشة الغربة وليشد أزر بعضهم ببعض ، فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على المواساة والحق ، حتى أنهم كانوا يتوارثون دون ذوي الأرحام ، حتى نزل قوله تعالى : " وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله " (١) رد التوارث دون عقد الأخوة . (٢)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وكان ابتداء المؤاخاة أوائل قدومه المدينة ، واستمر يجددها بحسب من يدخل في الاسلام أو يحضر الى المدينة . " (٣)

قال ابن اسحاق : " وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ونحوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل - : " تآخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له نظير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عم المطلب ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت ... قال ابن اسحق : وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ابن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحارث ابن الخزرج أخوين ... الخ " (٤)

---

(١) سورة الأنفال بعض آية ٧٥ ، الأحزاب بعض آية ٦ .

(٢) الدر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٦٦ بتصرف وانظر زاد المعاد ٢/٥٦ ، الروض الأنف للسهيلي ٤/٢١٦ .

(٣) فتح الباري ٧/٢٧١ . (٤)

(٤) ابن هشام ١/٥٠٤ - ٥٠٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٢٦ - ٢٢٧ وفيه خارجة بن زيد الخزرجي بدلا من خارجة بن زهير . قلت : واسمه هو خارجة بن زيد بن أبي زهير أخو بني الحارث بن الخزرج الذي نزل عليه الصديق رضي الله عنه في قباء ، فربما نسبه ابن اسحق الى جده أبي زهير والناسخ أسقط " أبي " سهوا .

هذا وقد أنكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله المؤاخاة بين مهاجري ومهاجـــري فقال : "إن أحاديث المؤاخاة لعلى كلها موضوعة ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يـــؤاخ أحدا ، ولا آخى بين مهاجري ومهاجري ، ولا بين أبي بكر وعمر ، ولا بين أنصاري وأنصـــاري ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار في أول قدومه المدينة . "(٢)

وأيد ابن القيم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى فقال : "وقد قيل إن نبيـــه صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها عليـا أخا لنفسه ، والثابت الأول "(٣) ، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الاسلام وأخوة الدار وقرابة النسب ، عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ، ولو آخى بين المهاجـريـن كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ، ورفيقه في الهجرة ، وأنيسه في الغار ، وأفضـل الصحابة وأكرمهم عليه ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد قال صلى الله عليه وسلـــم : "لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام أفضل ، - في لفظ "ولكن أخي وصاحبي "(٤)

---

(١) الروض الأنف للسهيلي ٤/٢٤٦ تحقيق عبد الرحمن الوكيل .
(٢) منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٤/١٦ .
(٣) أي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .
(٤) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٥٦ والحديث صحيح أخرجه الامام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كنت - متخذا خليلا "٤/٢١١ فتح ٧/١٧ ، والامام مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤/١٨٥٥ ، ١٨٥٦ الترمذي ٥/٦٠٦ ، ابن ماجه ١/٣٦ ، مسند أحمد ١/٣٧٧ ، ٣٨٦ ، مسند الحميدي ١/٦٢ ، السنة لابن أبي عاصم ٢/٥٧٦ - ٥٧٧ ، الطيالسي كما في منحة المعبود ٢/٢٧٠ ، وابن سعد ٣/١٧٦ ، فضائل الصحابة لأحمد رقم ٦٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٦٣٧ .
كما ذكره البخاري رحمه الله ضمن حديث طويل في كتاب الصلاة باب الخوخة والممـر في المسجد ١/١١٦ فتح ١/٥٥٨ ، كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "سدوا الأبواب الا باب أبي بكر ٤/١٦٠ فتح ٧/١٢ ، كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٣ فتح ٧/٢٢٧ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤/١٨٥٤ - ١٨٥٥ الترمذي ٥/٦٠٧ ، ٦٠٨ ، الدارمي ١/٣٦ ، مسند أحمد ٣/٤٧٨ ، ٤/٢١١ ، - ٥/٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٥٤ ، ١٦٧ ، ابن سعـــد ٢/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، الدولابي في الكنى ١/٥٦ النسائي في الكبرى كما في تحفة الاشراف ٥/١٨٠ ، أبو عبيد في غريب الحديث ١/٦ ، الفضائل لأحمد رقم ٢١ .

قلت : وقد وافق ابن كثير قول ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله جميعا ، فقال : وفي بعض ماذكره - أي ابن اسحق - نظر . أما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ ، فان من العلماء (١) عن ينكر ذلك ، ويمنع صحته ، ومستنده في ذلك : أن هذه المؤاخاة انما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض ، وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلامعنى لمؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لأحد منهم ، ولا مهاجري لمهاجري آخر ، كما ذكره في مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم الا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل مصلحة على إلى غيره ، فانه كان ممن ينفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صغره في حياة أبيه أبي طالب ، كما تقدم عن مجاهد وغيره .

وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .. (٢)

ورد الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح على هذا الانكار فقال : " وهذا رد بالقياس واغفال عن حكمة المؤاخاة ، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى فآخى بين الأعلى والأدنى ، ليرتفق الأدنى بالأعلى ، ويستحيي الأعلى بالأدنى ، وبهذا نظر الى مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلي ، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة . وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة ، لأن زيد مولاهم فقد ثبتت أخوتهما وهما من المهاجرين " (٣)

قلت : وانكار شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره رحمهم الله للمؤاخاة بين مهاجري ومهاجري في المدينة فيه نظر ، لأن مؤاخاة حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة رضي الله عنهما قد ثبتت بحديث صحيح وهما مهاجران روى البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب

---

(١) ربما يريد ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى :

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٢٧ ، السيرة النبوية ٢/٣٢٦ . أنكر ابن كثير هنا صحة هذه المؤاخاة ، ثم عاد فأنكر صحة شيء مطلقا في هذا الباب . البداية والنهاية ٧/٢٢٤ .

(٣) فتح الباري ٧/٢٧١ .

رضي الله عنه قال : " . . . فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فتبعته ابنة حمزة تنادي : ياعم ياعم ، فتناولها علي فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام : دونك ابنة عمك حمّليها . . فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي : أنا أخذتها وهي بنت عمي . وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي . وقال زيد ابنة أخي . . . الحديث . " (١)

وكذلك مؤاخاة الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود ثابتة ، قال ابن حجر رحمه الله " وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عباس : "آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين الزبير وابن مسعود . " وهما من المهاجرين . قلت والكلام لابن حجر رحمه الله : وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني ، وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك . " (٢) ، اذن مؤاخاة بعض المهاجرين من بعض في المدينة قد ثبتت بأحاديث مقبولة في الاحتجاج .

والمعلوم من كتب السيرة أنه كانت هناك مؤاخاة في مكة قبل الهجرة قبل المؤاخاة التي حدثت بالمدينة ، وتلك المؤاخاة هي أول مؤاخاة في الاسلام ، على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين أنفسهم في مكة قبل الهجرة لتقوية الأواصر والروابط بينهم ، وارتفاق الضعيف بالشريف ، والفقير بالغني ، ومن ليس من قريش بمن هو منهم .

قال الحافظ رحمه الله : " قال ابن عبد البر : كانت المؤاخاة مرتين ، مرة بين المسلمين وذلك بمكة ، ومرة بين المهاجرين والأنصار ، فهي المقصودة هنا " . قلت : وهي التي كانت بالمدينة وهي بذكرها كتاب السير والمؤرخون . ثم قال : " وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها ـ الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمير : "آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي

---

(١) البخاري كتاب المغازي باب عمرة القضاء . ٥ / ٨٥ . الفتح ٧ / ٤٤٤ ، بالاضافة الى ماذكره ابن اسحق في رواية المؤاخاة .

(٢) فتح الباري ٧ / ٢٧١ .

بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان - وذكر جماعة قال - فقال علي : يارسول الله انك آخيت بين أصحابك فمن أخي ؟ قال أنا أخوك . " (١)

قلت : والكل مجمع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى المؤاخاة الثانية بين المسلمين في المدينة المنورة . وقد ثبتت فيها مؤاخاة بعض المهاجرين مع بعضهم .

والذي أراه أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة المكرمة فقط ، أما في المؤاخاة الثانية فقد آخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع وبين علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف رضي الله عنهم فقد ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله . (٢)

هذا ولا ينفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك بعض المهاجرين على مؤاخاتهم الأولى مثل حمزة وزيد رضي الله عنهما ، كما لا ينفي أن يكون صلى الله عليه وسلم قد آخى بين الأنصار أوسهم وخزرجهم ، ليقضي على الخلل الذي أنتجته حروبهم السابقة بالألفة التي تجمع القلوب ، وتزيل مافي قلوبهم من ضغائن ، ومادام هذا متمشيا مع مبادئ الدين الحنيف ، ولم يخالفه - " إنما المؤمنون أخوة " (٣) فلا ضير في ذلك . والله أعلم .

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٧٠ - ٢٧١ بتصرف . وحديث الحاكم من طريق جميع بن عمير وهو التميمي أبو الأسود الكوفي صدوق يخطئ ، ويتشيع من الطبقة الثالثة ، لم يخرج له الشيخان . التقريب ١/ ١٢٢ ، فالحديث سنده ضعيف . وأخرج له الترمذي متابعا من طريق حكيم بن جبير عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه ، وقال : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٦٢٦ ، تحفة الأحوذي ١٠/ ٢٢٢ ، وفي اسناده حكيم ابن جبير الأسدي وهو ضعيف . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ضعيف رمي بالتشيع من الخامسة ولم يخرج له الشيخان . التقريب ١/ ١٢٢ وأخرج الامام أحمد في الفضائل شاهدا مرسلا عن سعيد بن المسيب رقم ١٠١٤ وفيه أيضا مطر بن طهمان الوراق وهو صدوق كثير الخطأ . التقريب ٢/ ٢٥٢ ، وفيه تدليس قتادة ، فالحديث فيه ثلاث علل لكن بمجموع الطرق يحصل لنا استئناس بأن للحديث أصلا .

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/ ٧٥ ، ٧٠ ، ووجدت أن ابن حزم سبق شيخ الاسلام بالقول بذلك ٤/ ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) سورة الحجرات بعض آية ١٠ .

ورد الأستاذ محمد أبو زهرة رحمه الله انكار مؤاخاة المهاجرين بعضهم مع بعض في المدينة المنورة والتي أنكرها ابن تيمية وابن القيم وابن كثير رحمهم الله تعالى ، فقال : " وما ينكره ابن القيم رحمه الله نحن نثبته ، ونرجح أن المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض والأنصار بعضهم مع بعض ، نقررها وذلك لأن ابن كثير - رحمه الله . لم يتكلم في صحة هذه الرواية المثبته ، ولأن قصر الباعث في المؤاخاة على مجرد تمكين المهاجرين من الارتفاق من إخوانهم الأنصار ، قصر لا دليل عليه ، بل هو أخذ من ظاهرة الهجرة ، والايواء والنصرة كما ص بذلك القرآن الكريم . (١)

ثم قال : " ان المؤاخاة ليس المقصود منها فيما نحسب هذا الارتفاق فقط ، ولكن آثار غير ذلك منها :-

أولا : عقد الألفة بين الضعيف والقوي ، وتمكين الصحبة بين المؤمنين وعدم التعالي على بعضهم البعض كمؤاخاة حمزة الشريف النسب مع زيد بن حارثة رضي الله عنهما .

ثانيا : ان المهاجرين كانوا من قبائل مختلفة ، والقرشيون منهم كانوا من بيوت متنافسة فكان لابد من محو العصبية ، والدمج بينهم بحكم أخوة الاسلام .

ثالثا : ان الأنصار - الأوس والخزرج - كانوا حديثي عهد بالعداوة المستمرة الأوار بينهم ، فكان لابد من الحمل على نسيانها .

رابعا : ان عقد المؤاخاة هذا تشريع للأمة من بعده ، ليجمع المسلمين ، ولم يكن حكما لحادثة واقعة ، أو مقصورا على المهاجرين والأنصار ، بل هو نظام متبع ، وربما تكون الحاجة اليه من بعد أشد وأكبر ، كما نحن في وقتنا الحاضر ، ولذلك كان ولاء الموالاة الذي تقرر أنه لم ينسخ ، وأنه بين العرب والأعاجم الذين يدخلون في الاسلام من بعد . (٢)

" ومعنى هذا الاخاء - كما قال الأستاذ الشيخ محمد الغزالي - أن تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية الا للاسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم أحد أو يتأخر الا بمروءته وتقواه . وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة عقدا نافذا ، لا لفظا فارغا وعملا يرتبط بالدماء والأموال ، لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر . (٣) "

---

(١) خاتم النبيين ٢/ ٢٤ . (٢) خاتم النبيين ٢/ ٢٤ - ٢٥ مختصرا
(٣) فقه السيرة للغزالي ١٤٠ - ١٤١ .

جهاد الصديق رضي الله عنه وحضـــوره جميـــع الغـزوات

كما مر بنا أن الصديق رضي الله عنه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أكـــثر من غيره من الصحابة رضوان الله عليهم ، سنرى باذن الله أنه كان ملازما أيضا له في كل مغازيه حتى لم تفته غزوة واحدة ، فاذا افتخر بعض الصحابة بأنهم غزوا سبع أو تسع غزوات فكيف بمـــن لم تفته غزوة قط .

أخرج الامام البخاري رحمه الله عن سلمة بن الأكوع قال : "غزوت مع النبي صلى الله عليـــه وسلم سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، مرة علينا أبو بكر ، ومرة علينـــا أسامة . " (١)

وهذا فضل من الله على الصديق رضي الله عنه أن يكون بجانب رسول الله في دعوته باللســان وفي جهاده بالسنان .

كما ويدل الحديث على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمره على بعض السرايا كمـــا سنرى من خلال الغزوات التي اشترك فيها .

ولما كان للصديق دور بارز في بعض المعارك التي خاضها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببت أن أجمد في احصائها ، وتحقيقها وأتناولها بالتعليق لأبرز دور الصديق جليا ، ولن أتناول كل ما دار في الغزوة ، لكن سأقصر بحثي على ماورد في شأن الصديق رضي الله عنه من الأحاديث في هذه الغزوات .

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بـــن زيد - الى الحرقات ٥/٨٨ ، ٨٩ فتح ٧/٥١٧ صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب - عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ٣/١٤٤٨ .

فصل "غـــزوة بدر الكـــبرى"

الصديق رضي الله عنه يصف الطريق التي لو سلكها أبو سفيان لكانت غير ذات الشوكـة

روى الامام عبد الرزاق الصنعاني (١) رحمه الله في مصنفه عن معمر (٢) قال : أخـبرنـي أيوب (٣) عن عكرمة (٤) أن أبا سفيان أقبل من الشام في عير لقريش ، وخرج المشركـون مخوثين (٥) لعيرهم ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم يريد أبا سفيان وأصحابه ، فأرسـل

---

(١) الامام عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني ، ثقة حافظ ، انهم بالتشيع ورده الذهبي وابن حجر توفي سنة احدى عشر ومائتين . ابن سعد ٥/٥٤٨ ، التاريخ الكبير ٦/١٣٠ ، الجرح ٦/٣٨ ترتيب ثقات العجلي (ل ٣٧أ) ، الضعفاء للنسائي ص ٢١٧ ، الكامل لابن عدي (٢/ل ١٠٨ب) طبقات فقهاء اليمن (ص ٦٧) نكت الهميان (ص ١٤١) تهذيب الكمال (٢/٨٢٤ مصور) تذكرة الحفاظ ١/٣٦٤ ، الميزان ٢/٦٤ ، الكاشف ٢/١٦٤ ، العبر ١/٣٦٠ ، شذرات الذهب ٢/٢٨ وفيات الأعيان ٣/٢١٦ ، التهذيب ٦/٣١٠ ، التقريب ١/٥٠٥ ، الاغتباط ص ١٧ ، طبقات الحنابلة ١/٢٠٤ ، الكواكب النيرات ٢٦٦ ، جزء من تكلم فيه وهو موثوق (٢١) .

(٢) معمر بن راشد أبو عروة الأزدي ثقة ثبت ، لكن في روايته عن أهل البصرة والكوفة وهما - توفي سنة أربع وخمسين ومائة . التاريخ الكبير ٧/٣٧٨ ، الجرح ٨/٢٥٥ ، -- التذكرة ١/١٤٠ ، الميزان ٤/١٥٤ ، التهذيب ١/٢٤٢ ، التقريب ٢/٢٦٦ .

(٣) أيوب بن أبي تميمة كيسان أبو بكر البصري السختياني ولد سنة ثمان وستين ، ثقـة ثبت حجة عدل . توفي سنة احدى وثلاثين ومائة . ابن سعد ٧/٢٤٦ ، التاريـخ الكبير ١/٤٠٦ ، الجرح ٢/٢٥٥ ، التذكرة ١/١٣٠ ، التهذيب ١/٣٩٧ .

(٤) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس تابعي ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابـن عمر ولا يثبت عنه بدعة مات سنة سبعين على خلاف . التاريخ الكبير ٧/٤٠٧ ، الجـرح ٧/٧ ، الميزان ٣/٤٣ ، هدى الساري ص ٤٢٥ ، التهذيب ٧/٢٦٣ .

(٥) مخوثين : من الاغاثة وهي بضم الميم وسكون الخين المعجمة . النهاية ٣/٣٤٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه عينا طليعة ، ينظران بأى ماء هو ، فانطلقا حتى اذا علما علمه ، وخبرا خبره ، جاءا سريعين ، فأخبرا النبى صلى الله عليه وسلم وجاء أبو سفيان حتى نزل على الماء الذى كان به الرجلان ، فقال لأهل الماء : هل أحسستم أحدا من أهل يثرب ؟ قال : فهل مر بكم أحد ؟ قالوا : مارأينا الا رجلين من أهل كذا وكذا قال أبو سفيان : فأين كان مناخهما ؟ فدلوه عليه ، فانطلق حتى أتى بعرا لهما ففتتة ، فإذا فيه النوى ، فقال : أنى لبنى فلان هذا النوى ؟ هذى نواضح أهل يثرب ، فترك الطريق وأخذ سيف البحر ، وجاء الرجلان ، فأخبرا النبى صلى الله عليه وسلم خبره ، فقال أيكم أخذ هذه الطريق ؟ فقال أبو بكر رحمه الله : أنا هو بماء كذا وكذا ، ونحن بماء كذا وكذا ، فيرتحل فينزل بماء كذا وكذا ، وننزل بماء كذا وكذا ، ثم ينزل بماء كذا وكذا ، وننزل بماء كذا وكذا ثم نلتقى بماء كذا وكذا ، كأنا فرسا رهان ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزل بدرا ... الحديث " (١)

قال ابن اسحق : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة (٢) وعبد الله بن أبى بكر (٣) ، ويزيد بن رومان (٤) عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عدا ابن عباس ، كل قد حدث بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ... وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الحديث رجاله ثقات لكنه موقوف على عكرمة ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥/٣٤٨ ، - لكن أخرج ابن اسحق نحوه ابن هشام ٢/٦٠٧ ، ٦١٧ - ٦١٨ من طريق عكرمة عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن ابن عباس دون ذكر أبي بكر فيكون الحديث متصلا وهو حسن لغيره .

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن يزيد الأنصارى أبو عمر ، أو أبو عمرو المدنى تابعى صغير ثقة ، مات سنة عشرين ومائة على خلاف . الجرح ٦/٣٤٦ ، التهذيب ٥/٥٣ ، التقريب ١/٣٨٥ .

(٣) عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى المدني القاضى ، ثقة من الخامسة مات سنة خمس وثلاثين ومائة . التقريب ١/٤٠٥ .

(٤) يزيد بن رومان مولى آل الزبير ، ثقة من الخامسة ، مات سنة ثلاثين ومائة ، وروايته عن أبى هريرة مرسله روى له الجماعة . التقريب ١/٤٠٥ .

وعلي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرا ، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة ، وأنسة مواليا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا . " (١)

وروى الامام مسلم رحمه الله عن أنس رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال أبي سفيان . قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال : ايانا تريد ؟ يارسول الله ، والذي نفس بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا ... الحديث (٢) - وفي حديث ابن اسحق : " فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ... الحديث .

وسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أجاب المسلمون وخصوصا الأنصار ، ونشطه ذلك ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين ، وسار الجيش الاسلامي حتى نزل قريبا من بدر .

وهناك قام الرسول صلى الله عليه وسلم بحملية استكشاف مع صديقه أبي بكر رضي الله عنه قال ابن اسحق : " ثم نزل قريبا من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .

قال ابن اسحق : كما حدثني محمد بن يحيي بن حبان (٣) ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما

---

(١) ابن هشام ١/ ٦١٣ ، فالحديث بسنده صحيح حيث ان رجاله ثقات .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣ ، النووي ١٢/ ١٢٤ ، - المسند للامام أحمد ٣/ ١٠٥ ، ١١٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٣٤٦ ، فضائل الصحابة للامام أحمد رقم ١٤٣٨ ، ابن هشام ١/ ٦١٤- ٦١٥ الطبري ٢/ ٤٢٤ ، البداية والنهاية ٣/ ٢٦٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣١٤ .

(٣) محمد بن يحيي بن حبان بفتح المهملة وتشديد الموحدة ، ابن منقذ الانصاري الفقيه المدني ، ثقة فقيه ، من الرابعة / مات سنة احدى وعشرين ومائة روى له الجماعة الكاشف ٣/ ١٠٦ ، التقريب ٢/ ٢١٦ .

حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أخبرتنا أخبرنـــاك قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجـــوا - يوم كذا وكذا ، فان كان صدق الذى أخبرنى ، منهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الـــذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان الـــذى أخبرنى صدقنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى فيه قريش . فلما فرغ من خـــبره قال : ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنـــــه قال : يقول الشيخ : مامن ماء ؟ أمن ماء العراق . " (١)

---

(١) الرواية منقطعة لأن محمد بن يحيى بن حبان من الرابعة فلم يدرك زمن القصة ، ولا بد أنه نقله عن غيره ، ولم يبين فحصل الانقطاع والرواية في ابن هشام ١/ ٦١٦ ، تاريخ الطبرانى ٢/ ٤٣٥ - ٤٣٦ البداية والنهاية ٣ / ٢٦٤ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٦٦ تاريخ الخميس ١/ ٣٧٤ ، السيرة الحلبية ٢/ ١٥١ لكن ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٦ قال : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس . وفي هذا الحديث - قال : كما حدثنى محمد بن يحيى ابن حبان وهو من غير من ذكرهم فهو عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما ، وقد صرح ابن اسحق بالتحديث عن محمد بن يحيى فاتصل السند - فالحديث جيد قوى . والله أعلم بالاضافة الى قبول روايات ابن اسحق في السيرة .

فصل مقر قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم

في كل معركة ، وكل جيش لابد من الحرص على القيادة ، والمحافظة عليها ، لأن فقدها يؤدي إلى الوصول إلى القيادة وقرها انهزاما للجيش المحارب ، وارتباكا له في ميدان القتال ، ولأن القيادة وحدها القادرة على سوق الجيش واعطائه الأوامر حسب الخطة الموضوعة للقتال ، ودائما تحرص الجيوش المتحاربة على الوصول إلى القائد حتى تختصر الطريق إلى النصر ، وظهر هذا جليا في غزوة أحد عند ماكر المشركون على المسلمين ووصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرح في وجهه المكرم ، وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم ، وحاول المشركون بكل جهدهم أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله لم يمكنهم من نبيه ، فقاتل دونه صحابته الأبرار رضي الله عنهم وأرضاهم حتى أجهضوا المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترّس عليه أبو دجانة بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك . وأشاع المشركون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماذاك إلا أنهم عرفوا أن الوصول الى القيادة يختصر الطريق الى النصر .

وهذا مارأيناه واضحا في حربنا الأخيرة في بيروت والجنوب اللبناني ، حيث كانت الدعاية للعدو اليهودي أنهم قتلوا القيادة تارة ، وأخرى أن القيادة هربت والتجأت الى احدى السفارات وماذاك الا ليوهنوا من عضد المقاتلين ، ويشتتوا جمعهم .

ففطن الصحابة رضي الله عنهم الى هذا المبدأ ، لذا اتخذوا للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا - وهو العريش - يعتبر مقرا للقيادة ، ثم وفروا له الحماية الكافية ، ومن يا ترى هذه الحماية ؟ سنرى أنه صاحبه إذ هما في الغار .

قال ابن اسحق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر (١) أنه حدث : أن سعد بن معاذ قال :

---

(١) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم الأنصاري المدني القاضي ثقة حجة من الخامسة ، مات سنة خمس وثلاثين ومائة . تهذيب الكمال (٦٦٦/٢ مصور) الكاشف ٢/ ٧٥ ، التقريب ١/ ٤٠٥ .

يانبي الله ، ألا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ماأحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، - فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام ، يانبي الله ، مانحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ماتخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه . " (١)

ولنعلم من كان معه في العريش ، فلا نجد إلا صاحبه إذ هما في الغار ، وكأنه لا ينبغي أن يكون غيره معه .

قال ابن كثير رحمه الله : "وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال : ياأيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت ياأمير المؤمنين . فقال : أما إني مابارزني أحد الا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر . انا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا ، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئلا يهوى إليه أحد من - المشركين ، فو الله مادنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله - عليه وسلم ، لا يهوى إليه أحد إلا أهوى اليه ، فهذا أشجع الناس ... الحديث .

قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يجأه ، وهذا يتلتله ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلها واحدا ، فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر ، يضرب ويجاهد هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله .

ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله : أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم ، فقال علي : فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من

---

(١) هذا السند فيه جهالة من حدث عبد الله بن أبي بكر ، لكن يقال فيه مثل ماقيل في هامش رقم ١ في حديث محمد بن يحيى . ابن هشام ١/ ٦٢٠ - ٦٢١ ، ابن كثير في البداية - ٣/ ٢٦٨ ، السيرة النبوية ٢/ ٤٠٣ - ٤٠٤ ، شرح المواهب ١/ ٤١٦ ، والعريش ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وصلاته فيه ، وحراسة الصديق رضي الله عنه له ثابت بالأحاديث الصحيحة كما يأتي بعد صفحة .

مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه . "

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى الا من هذا الوجه . (١)

وقال ابن اسحق : "ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع الى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره . (٢)

قال ابن كثير رحمه الله : "وهذه خصوصية للصديق ، حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه . " (٣)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٧١ - ٢٧٢ وقد مضى الكلام عنه في الباب الأول .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٦ - ٦٢٧ ، سيرة ابن كثير ٢/ ٤١٠ .
(٣) سيرة ابن كثير ٢/ ٤١٠ .

الرسول مع صاحبه في "الحريش"

روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسع عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم : آت ما وعدتني . اللهم : إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض" فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه ، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه . ثم التزمه من ورائه . وقال : يانبي الله كفاك (١) مناشدتك (٢) ربك فانه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين " (٣) - فأمده الله بالملائكة . . . الحديث " (٤)

إذن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتصال مع ربه في غرفة القيادة - العمليات - ويلح الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه بالدعاء ، أن يعجل له بالمدد ، وأن لا يتأخر عليه بالنصر خوفا على الفئة المؤمنة ، وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يلح حتى وصل المدد ورآه بأم عينية فأخبر بذلك صاحبه المشفق عليه .

روى البخاري رحمه الله بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما : " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد

---

(١) كذاك : بالذال ، ولبعضهم كفاك بالفاء ، وفي رواية البخاري حسبك مناشدتك ربك . انظر النووي ١٢/ ٨٥ .

(٢) مناشدتك : ضبطوها بالرفع والنصب وهو الأشهر ، ومن رفعه جعله فاعلا بكفاك ، ومن نصبه فعلى المفعول بما في حسبك وكفاك وكذاك من معنى الفعل من الكف . والمناشدة السؤال مأخوذة من النشيد وهو رفع الصوت . نووي ١٢/ ٨٥ .

(٣) مردفين : متتابعين نووي ١٢/ ٨٥ ، والآية من سورة الأنفال رقم ٩ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٤ ، النووي ١٢/ ٨٤ - ٨٥ ، وانظر سنن سعيد بن منصور ج ٣/ ٢/ ٣٢٨ نحوه ، والسيرة لابن هشام ١/ ٦٢٧ ، الترمذي ٥/ ٢٦٠ - ٢٧٠ ، الطبري في التفسير تحقيق أحمد شاكر ١٣/ ٤٠٩ - ٤١٠ .

بعد اليوم . فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يارسول الله ، ألححت على ربك - وهو يثب في الدرع ، فخرج وهو يقول " سيهزم الجمع ويولون الدبر . " (١) (٢)

وقال ابن اسحق : " ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع الى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وأبو بكر يقول : يانبى الله : بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجزك ماوعدك ، وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر ياأبا بكر ، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع . " (٣)

وليس معنى ثبوت كون العريش - مقر القيادة للنبى صلى الله عليه وسلم يدير منه المعركة أنه بقى هو وصاحبه في العريش ، فقد صح حديث البخارى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم خرج وهو يثبت في الدرع وهو يقول : " سيهزم الجمع ويولون الدبر . "

وقال ابن اسحق رحمه الله : " ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فحرضهم وقال : والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة ... " الحديث " (٤) .

---

(١) الآية من سورة القمر رقم ٤٥ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة اقتربت الساعة " باب قوله " سيهزم الجمع ويولون الدبر" ٦/٥٤ ، فتح ٨/٦١٦ ، كتاب المغازى باب ٨/٦١٦ ، باب قوله تعالى " بل الساعة - موعدهم والساعة : ادهى وأمر ٦/٥٤ ، فتح ٨/٦١٦ ، كتاب المغازى باب قول الله - تعالى : " ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم " ٥/٤-٥ ، الفتح ٧/٢٨٧ . وحديث البخارى هذا من مراسيل الصحابة لان ابن عباس لم يحضر القصة ، ولعله أخذه عن أبى بكر أو عن عمر رضي الله عنهما ، ويدل على ذلك حديث مسلم السابق فهو عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦٢٧ ، البداية والنهاية ٣/٢٧٦ ، قال الألبانى في تعليقه على - فقه السيرة للغزالى ص ٢٤٣ : وعند ابن هشام في السيرة بدون سند ، لكن وصله الأموى من طريق ابن اسحق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير ، وهذا حسن وسكت عنه ابن كثير في البداية . أ هـ ، قلت والحديث صحيح لغيره بشواهده . وعبد الله بن ثعلبة بن صغير - بالصاد المهملة والمعجمة مصغرا - ويقال ابن أبى صغير له رؤية ولم يثبت له سماع مات سنة سبع أو تسع وثمانين . الاستيعاب ٢/٣٤١ الاصابة ٢/٢٧٦ ، - التقريب ١/٤٠٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٦٢٧ وأخرج الأموى نحوه في مغازيه ذكره ابن كثير في السيرة ٢/٤٣٤ .

وقال ابن كثير في السيرة : " وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديدا ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق ، كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال ، وقاتلا بالأبدان جمعا بين المقامين الشريفين . (١)

أما بالنسبة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو في العريش والحاحه على ربه حتى سقط رداؤه ، فرفع الصديق رضي الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه صلى الله عليه وسلم فقد قال السهيلي فيها :

" وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال : كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ، ويقوى رجاءه ويثبته ، ومقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقام الأحمد ، ويقينه فوق يقين كل أحد ، فسمعت شيخنا الحافظ (٢) رحمه الله يقول في هذا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف ، وكان صاحبه في مقام الرجاء ، وكلا المقامين سواء في الفضل ، لا يريد أن النبي والصديق سواء ، ولكن الرجاء والخوف مقامان لابد للايمان منهما ، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله ، والنبي عليه السلام كان في مقام الخوف من الله ، لأن لله أن يفعل مايشاء ، فخاف ألا يعبد الله في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . " (٣)

وقال : " وأما قاسم بن ثابت ، فذهب في معنى الحديث الى غير هذا ، وقال : انما قال ذلك الصديق مأربة للنبي عليه السلام ورقّة عليه ، لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه ، فقال له : بعض هذا يارسول الله ، أي : لم تتعب نفسك على هذا التعب ، والله فدعمك بالنصر ، وكان رقيق القلب شديد الاشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم (٤)

---

(١) سيرة ابن كثير ٢/ ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(٢) يعني القاضي أبا بكر بن العربي قاله في المواهب اللدنية ١/ ٤٢٠ .

(٣) الروض الأنف للسهيلي ٥/ ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤) الروض الأنف للسهيلي ٥/ ١٣٠ .

قلت : وفي كلام ابن العربي رحمه الله مايأباه الشرع ، إذ لا يمكن أن ينفصل الرجاء عن الخوف ولا الخوف عن الرجاء أبدا في قلب المسلم ، والمسلم الحق يخمر قلبه الرجاء والخوف معا في كل أحواله ، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحق من مثل الاسلام قولا وعملا .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، وكان خلق القرآن ، فكان قرآنا يمشي على الأرض ، علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نفذ القرآن الذي أمره والمسلمين أن يكثروا من الدعاء والالحاح فيه في مثل تلك المواقف : قال تعالى : "ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" (١) وذكر الله عبادة - والدعاء مخ العبادة - فكان الدعاء والالحاح به على الله في هذا الموقف هو معنى : " واذكروا الله كثيرا " .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "قال الخطابي : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال ، بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال ، بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ، لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في النوحة والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ماقال ، - كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وعد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة ، فلهذا عقب بقوله : " سيهزم الجمع ويولون الدبر " انتهى ملخصا . (٢)

وقال ابن هشام : "ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين ، فقال : أين مالي ياخبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يبق غير شكة (٣) ويحبوب (٤) * * وصارم يقتل ضلال الشيب (٥)

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٥ .
(٢) فتح الباري ٧/ ٢٨٩ .
(٣) شكة : بالكسر : السلاح أو مايلبسه الرجل من السلاح . النهاية ٢/ ٤٩٥ ، تهذيب اللغة ٢/ ٤٢٥ ، لسان العرب ١٢/ ٣٣٨ .
(٤) يحبوب : فرس يحبوب : جواد بعيد القدر في الجري . "تهذيب اللغة ١/ ١١٦ ، - سيرة ابن كثير ٢/ ٤٤٨ .
(٥) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩ .

فيما ذكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي " (١)

وقال ابن دحلان في السيرة النبوية : " وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة ، - وقيل عبد العزى ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وكان من أشجع قريش - وأشدهم رماية ، وكان أسنّ أولاد أبي بكر رضي الله عنه ، وكان فيه دعابة ، فلما أسلم قال لأبيه أبي بكر رضي الله عنه : لقد هدفت لي - أي ارتفعت لي - يوم بدر مرارا ، فصدفت عنك أي أعرضت عنك - فقال له أبو بكر رضي الله عنه : لو هدفت لي لم أعرض عنك. (٢)

وهذا يدل على قوة ايمانه رضي الله عنه ، وتقديم مقتضات الإيمان على عاطفة الأبوة والنسب . وصدق الله العظيم إذ يقول : " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم ، أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ... الآية (٣)

وقال ابن كثير رحمه الله " وقد رويا في مغازي الأموي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشي هو وأبو بكر الصديق بين الفئتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " نخلق هاما " فيقول الصديق :

من رجال أعزة طينا * * وهم كانوا أعقّ وأظلما " (٤)

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد أن أبا بكر كان على يمين النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليا كان على يساره . " (٥)

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن أبي عبيد الدراوردي - بفتح الدال والراء والواو وسكون الراء الثانية وكسر الدال المهملة - أبو محمد الجهني مولاهم ، صدوق . توفي سنة ست - وثمانين على خلاف . ابن سعد ٥/٤٢٤ ، التاريخ الكبير ٦/٢٥ ، الجرح ٥/٣٤٥ اللباب ١/٤٦٤ ، الميزان ٢/٦٣٣ ، العبر ١/٢٦٧ ، التهذيب ٦/٣٥٣ ، - التقريب ١/٥١٢ ، الشذرات ١/٣١٦ .

(٢) السيرة النبوية والآثار المحمدية لابن دحلان ١/٢٠٢ وعزاه لابن عساكر .

(٣) سورة المجادلة بعض آية ٢٢ .

(٤) السيرة النبوية والآثار المحمدية لابن دحلان ١/٢٠٢ .

(٥) مجمع الزوائد ٦/٧٧ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

روى الامام أحمد رحمه الله قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين (١) ، حدثنا مسعر (٢) عن أبي عون (٣) ، عن أبي صالح الحنفي ، عن علي قال :-

قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر ، مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل واسرافيل ملك عظيم يشهد القتل ولا يقاتل ، أو قال يشهد الصف . " (٤)

وهذا من أعظم المناقب لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، فالملائكة بل رئيس الملائكة جبريل مع الصديق يدافع وينافح عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويثبت قلبه أمام هول المعركة وكان بجبريل عليه السلام كان مع الصديق في كل موقف حتى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قد ثبت قلبه أمام جزيرة العرب التي ارتدت في وجه خلافته رضي الله عنه كما سنرى ذلك في الباب الثالث .

---

(١) أبو نعيم هو الفضل بن دكين الملائي الكوفي وثقة غير واحد من الأئمة وذكره ابن حجر في المرتبة الأولى من المدلسين توفي سنة ثمان عشرة ومائتين على خلاف . ابن سعد ٦/ ٤٠٠ ، التاريخ الكبير ٧/ ١١٨ ، الجرح ٧/ ٦١ ، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٦ ، - التذكرة ١/ ٢٧٢ ، الكاشف ٢/ ٣٨١ ، الميزان ٣/ ٣٥٠ ، التهذيب ٨/ ٢٧٠ ، - التقريب ٢/ ١١٠ ، طبقات المدلسين ص ٦ ، الشذرات ٢/ ٤٦ .

(٢) مسعر بن كرام بن ظهير بن عبيدة الهلالي العامري أبو سلمة الكوفي ، ثقة ثبت فاضل كان يسمى المصحف من اتقانه توفي سنة ثلاث وخمسين على خلاف . ابن سعد ٦/ ٣٦٤ التاريخ الكبير ٨/ ١٣ ، الجرح ٨/ ٣٦٨ ، التذكرة ١/ ١٨٨ ، العبر ١/ ٢٢٤ ، - الكاشف ٣/ ١٣٧ ، الميزان ٤/ ٦٦ ، التهذيب ١٠/ ١١٣ ، التقريب ٢/ ٢٤٣ ، — الشذرات ١/ ٢٣٦ .

(٣) أبو عون هو عبد الله بن أبي عبد الله الأنصاري الشامي الأعور وثقه الذهبي ، وقال ابن حجر مقبول من الخامسة ، الكاشف ٣/ ٣٦٣ ، التقريب ٢/ ٤٥٧ .

(٤) الحديث اسناده حسن ، أخرجه أحمد في المسند ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٨٢ وقال : رواه أحمد بنحوه والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح . ورواه أبو يعلى وانظر مجمع الزوائد أيضا ٦/ ٥٨ .

موقف الصديق رضي الله عنه من الأسرى

قال تعالى : "فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك - فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين " . (١)

قال ابن كثير : ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر اذا - حدث تأديبا لنفوسهم ، ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه ، كما شاورهم في بدر في الذهاب الى - العير ، وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتى أشار الحباب بن المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم ، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج الى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج اليهم فخرج إليهم ، وشاورهم في الخندق في مصالحة الأحزاب على ثلث ثمار المدينة عامئذ ، فأبى عليه السعدان ، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فترك ذلك ، وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين ، فقال له الصديق : انا لم نجئ لقتال أحد وانما جئنا معتمرين ، فأجابه الى ماقال ، وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الافك : " أشيروا على معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي ورموهم ، وأيم الله ماعلمت على أهلي من سوء ، وأبنوهم بمن ؟ والله ماعلمت عليه الا خيرا ، واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنهم . فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها . " (٢)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فيما يعن له من أمور ، وكان الصديق - رضي الله عنه مقدما على أصحابه في هذا المجال أيضا .

أخرج الحاكم رحمه الله في مستدركه من طريق سفيان بن عيينة (٣) عن عمر بن

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٠ .

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران واسمه ميمون الهلالي أبو محمد وقيل أبا عمران الكوفي المكي ثقة حافظ فقيه امام حجة أثبت الناس في عمرو بن دينار وكان لا يدلس الا عن ثقات مات - في رجب سنة ثمان وتسعين . ابن سعدة ٥/ ٤٧٤ ، التاريخ الكبير ٤/ ١٥ ، الجرح ٤/ ٢٢٥ ، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ ، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤ ، الوفيات ٢/ ٣٤١ ، - تهذيب الكمال (١/ ٥١٤ مصور) التذكرة ١/ ٢٦٢ ، الميزان ٢/ ١٧٠ ، التهذيب ٤/ ١١٧ ، التقريب ١/ ٣١٢ ، العقد الثمين ٤/ ٥١١ ، الكواكب النيرات ص ٢٢٠ .

دينار (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : "وشاورهم في الأمر" قال : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ." (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله : "وهكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكانا حواريي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وأبوي المسلمين . (٣)

وروى الامام أحمد رحمه الله قال : حدثنا وكيع (٤) ، حدثنا عبد الحميد (٥) عن شهر

---

(١) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم مولى ابن باذان ، ثقة ثبت من الرابعة مات - سنة ست وعشرين ومائه . ابن سعده ٤٧٦ ، التاريخ الكبير ٣٢٨/٦ ، الجرح ٢٣١/٨ مشاهير علماء الأمصار ص ٨٤ ، التذكرة ١١٣/١ ، العبر ١٦٣/١ ، الكاشف ٣٢٨/٢ - التهذيب ٢٨/٨ ، التقريب ٦٦/٢ .

(٢) الحديث صحيح وأخرجه الحاكم في المستدرك ٧٠/٣ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير في التفسير ٤٢٠/١ .

(٣) ابن كثير في التفسير ٤٢٠/١ .

(٤) وكيع هو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي - بضم الراء والهمزة ثم سين مهملة - أبو سفيان الكوفي أحد الأئمة الأعلام ، أثنى عليه أئمة الجرح والتعديل ، قال الامام أحمد : مارأيت أوعى للعلم من وكيع مات سنة سبع وتسعين ومائة . ابن سعد ٢١٤/٦ ، التاريخ ١٧٠/٨ الجرح ٢٧٠/٨ ، المقدمة ص ٢١٦ ، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٣ ، صفة الصفوة ١٧٠/٣ - التذكرة ٣٠٦/١ ، الميزان ٣٣٥/٤ ، الكاشف ٢٣٧/٣ ، العبر ٣٢٤/١ ، اللباب - ٤٠/٢ ، التهذيب ١٢٣/١١ ، التقريب ٣٣١/٢ .

(٥) عبد الحميد بن بهرام الخزاعي المدائني ، صاحب شهر بن حوشب ، صدوق من السادسة ثقة وثقة ابن المديني وأحمد وابن معين وأبو داود ، تهذيب الكمال (٧٦٤/٢ مصور) - التقريب ٤٦٧/١ .

بن حوشب (١) عن عبد الرحمن بن غنم (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر : "لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما ." (٣)

وهذا الحديث يدل على فضيلة عظيمة ، ومنقبة جليلة ، اذ اجتماع رأييهما واتفاقهما يقضي بأنهما على الصواب لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوافق أحد الا على الحق والصواب ، وهذا يدل على صحة ماقام به خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من توليه الخلافة وقتال أهل الردة وعدم توريث آل البيت لما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمعه للقرآن ، لأن كل هذا قد اتفقا - الصديق والفاروق - عليه ، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالفهما ما اتفقا أبدا .

كما ورد ان الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر فأشاروا عليه فأصاب أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله يكره أن يخطئ أبو بكر . (٤)

---

(١) شهر بن حوشب الأشعري ، أبو عبد الرحمن الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن مختلف فيه ، وثقة جماعة منهم ابن معين وأحمد ، وضعفه آخرون وقال الذهبي : قد ذهب الى الاحتجاج به جماعة ، وقال ابن حجر : صدوق كثير الارسال والأوهام من الثالثة مات سنة مائة . ابن سعد ٤٤٩/٧ ، التاريخ الكبير ٢٥٩/٤ ، الجرح ٣٨٢/٤ ، الضعفاء للنسائي ص ٢٩٣ ، المجروحين ٣٥٨/١ ، الحلية ٥٩/٦ ، الكاشف ١٦/٢ ، الميزان ٢٨٣/٢ ، العبر ١١٩/١ التهذيب ٣٦٩/٤ ، التقريب ٣٥٥/١ .

(٢) عبد الرحمن بن غنم بفتح المعجمة وسكون النون ، الأشعري ، مختلف في صحبته وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين ، مات سنة ثمان وسبعين ، أخرج له البخاري تعليقا وأصحاب السنن . الكاشف ١٨١/٢ ، التقريب ٤٤٤/١ .

(٣) الحديث اسناده حسن ، وأخرجه الامام أحمد في المسند ٢٢٧/٤ وتفرد به وصححه الاستاذ أحمد شاكر في تفسير ابن كثير ٦٤/٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٣/٩ وفيه "اذا" بدلا من "لو" .

(٤) مجمع الزوائد ٤٦/١٠ عن سهل بن سعد الساعدي وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، وابن حجر في المطالب العالية ٣٣/٤ .

والمشورة في الاسلام مبدأ ثابت مقرر قال تعالى : " وشاورهم في الأمر " وأكده الرسول صلى الله عليه وسلم نظريا وعمليا ، أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة المسلمة في المدينة عندما واجهت الخطر ، إذ أعطاها فرصة ابداء الرأى في كيفية مواجهة الخطر .

وقبل أن يصبح مبدأ الشورى خاصا بالدولة الاسلامية وأمورها ، فإنه صفة للمؤمنين كما قال تعالى : " وأمرهم شورى بينهم " يتصف بها المسلم في كل أمر من الأمور التي يواجهها في حياته مالم يجد فيه نصا من كتاب أو سنة .

ومشورة النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين في بدر كانت تهدف إلى استجلاء مواقف الصحابة وقدرتهم على المواجهة ، ولذا عندما وجد الرسول صلى الله عليه وسلم إجماعا من الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على لقاء العدو ، وسمع مقالتهم استبشر به ونشط له ، لأن ذلك دليل على إدراك المسئولية الملقاة على عاتق الجماعة المؤمنة - الأولى في هداية الناس والوقوف في وجه الطغيان .

ومن نظر إلى سيرة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أن الصديق رضي الله عنه كان المستشار الأول في أى أمر يطرأ على الجماعة الاسلامية ، ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسمع رأى أصحابه في ذلك الأمر . ورأينا ذلك كما مر في أول غزوة - بدر عندما استشار أصحابه ، فكان أول من تكلم أبو بكر رضي الله عنه .

روى الامام مسلم رحمه الله "عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال أبى سفيان قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد ... الحديث " (١)

وعند ابن هشام فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ... الحديث . " (٢)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد ، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣ .

(٢) ابن هشام ١/٦١٤ - ٦١٥ ، مسند أحمد ٣/١٠٥ ، ١١٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

هذا وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون مكانة الصديق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنزلته بينهم ، فكانوا يتوقفون عن إبداء آرائهم حتى يتحدث الصديق . روى البخاري رحمه الله بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ولا تحتّ ورقها ، فوقع في نفسي النخلة ، فكرهت أن أتكلم ، وثمّ أبو بكر وعمر . فلما لم يتكلما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : هي النخلة . فلما خرجت مع أبي قلت : ياأبتاه ، وقع في نفسي النخلة . قال : مامنعك أن تقولها ، لو كنت قلتها كان أحبّ اليّ من كذا وكذا . قال : مامنعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت . (١)

وها نحن أيضا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الأسرى الذين سقطوا في أيديهم من المشركين ، وذلك قبل أن ينزل من الله تشريع في شأنهم فحصل خلاف في الرأي بين الصحابة ، ونجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل إلى رأي - الصديق دون غيره من آراء الصحابة .

روى الامام مسلم رحمه الله قال : " قال ابن عباس : " فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : ماترون في هؤلاء الأسارى ؟ " فقال أبو بكر يانبي الله : هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ماترى ياابن الخطاب ؟ " قلت : لا والله يارسول الله : ماأرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى - أن تمكنا فنضرب أعناقهم . فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان " فسيبا لعمر " فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال أبو بكر ، ولم يهو ماقلت . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان . قلت يارسول الله : أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك . فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب ، باب اكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال ٧/ ١٠٦ فتح ١٠/ ٥٣٦ .

بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أبكى للذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة (شجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله عز وجل : " ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ... الى قوله .. فكلوا مماغنمتم حلالا طيبا (١) فأحل الله الغنيمة لهم . " (٢)

وذكر البغوى الحديث مطولا من طريق أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر وجيئ بالأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- استبقوهم حتى [illegible] ماتقولون في هؤلاء ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله ، قومك وأهلك يارسول الله : — كذبوك وأخرجوك ، قدمهم نضرب أعناقهم ، مكن طيا من عقيل فيضرب عنقه ، ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، ومكنى من فلان - نسيب لعمر - فأضرب عنقه ، فإن - هؤلاء أئمة الكفر . وقال : عبد الله بن رواحة : يارسول الله : أنظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا ، فقال له العباس : قطعت رحمك . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم دخل ، فقال أناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول ابن رواحه . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله ليلين قلوب رجال ، حتى تكون ألين من اللبن ، ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ، وان مثلك ياأبا بكر مثل -

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٧ - ٦٩ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٥ النووى ١٢/ ٨٦ - ٨٧ والحديث بيد وكأنه موسل صحابى ، لكن هذا الحديث - قد أسنده الامام مسلم في أول الحديث من عبد الله بن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .
وذكر ابن كثير في السيرة ٢/ ٤٦٠ وابن حجر في الفتح ٧/ ٣٢٤ ، ٣٥١ - ٣٥٢ - ان الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم باسناد صحيح ان جبريل أمر النبى ان يخير أصحابه في الأسرى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على أن يقتل من قابل مثلهم .

ابراهيم قال : " فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم " (١) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : " إن تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم " (٢) ومثلك ياعمر مثل نوح قال : " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " (٣) ومثلك ياعبد الله بن رواحة كمثل موسى قال : " ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم " (٤) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق ، قال عبد الله بن مسعود : الا سهل * بن بيضاء فإني سمعته يذكر الاسلام ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء .

قال ابن عباس : قال عمر بن الخطاب : فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء ... الحديث بنحو رواية مسلم . " (٥)

---

(١) سورة ابراهيم بعض آية ٣٦ .

(٢) سورة نوح بعض آية ٢٦ .

(٣) سورة يونس بعض آية ٨٨ .

(٥) اسناده ضعيف لأن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه ، لكن يرتقي بالمتابعات والشواهد الى درجة الحسن لغيره . وأخرجه البغوي في تفسيره المعروف بمعالم التنزيل على هامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معالم التنزيل ٣/ ٤٩ - ٥١ ، وأخرج له متابعا الامام أحمد في المسند ١/ ٣٨٣ ، ـ وبتحقيق أحمد شاكر ٥/ ٢٢٧ ، ٦٢/ ١٤ ، والترمذي ٤/ ٢١٣ ، ٥/ ٢٧١ مختصرا تحفة الأحوذي ٥/ ٣٧٢ - ٣٧٥ ، ٨/ ٤٧٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه وفي الباب عن عمر وأبي أيوب وأنس وأبي هريرة . قلت : وقول الترمذي حسن يعني حسن لغيره ، أي لشواهده ، والا فقد صرح هو بالانقطاع ـ وأبو عبيدة في الأموال ص ١٦٧ ، فضائل الصحابة لأحمد رقم ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب السابق أخرجه مسلم ٣/ ١٣٨٥ ، وأبو داود ٣/ ٦١ ، وأبو عبيد في الأموال ص ١٦٦ وابن جرير في تفسيره ١٠/ ٣١ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٢١ ، ٢٢ ، وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وفيه علة الانقطاع ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، والتفسير ٢/ ٣٢٥ ولم يذكر علته ، مجمع الزوائد ٦/ ٨٦ - ٨٧ .

* سهل : انظر تخريج الرواية .

أقول : والاختلاف في الرأى ليس عيباً ولا ممنوعا ، لأن الاسلام لا يقيد الإنسان إلا في الحدود الشرعية أما أن يفكر أو يبدى رأيا في مسألة اجتهادية فهذا من حقه الذى يجب عليه أن يمارسه في الحياة .

ولكون الخلاف حصل في مسألة في زمن النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل كان للأمر الالهى الكلمة الفاصلة فيها ، وأطاع الصحابة ، وتنازلوا عن آرائهم التى أيدوها للنص القرآنى .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وقد اختلف السلف في أى الرأيين كان أصوب؟ فقال بعضهم : كان رأى أبى بكر ، لأنه وافق ماقدر الله في نفس الأمر ، ولما استقر عليه الأمر ، ولدخول كثير منهم في الاسلام ، إما بنفسه وإما بذريته التى ولدت له بعد الوقعة ، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله في حق من كتب له الرحمة . وأما العتاب على الأخذ ففيه اشارة الى ذم من آثر شيئا من الدنيا على الآخرة ولو قل ، والله أعلم . " (١) قلت والرأى الثانى رأى عمر رضي الله عنه لأنه وافق الكتاب.

---

* سهل بن بيضاء القرشى وبيضاء أمة ، واسمها دعد ، واسم أبيه وهب بن ربيعة - بن عمرو كان ممن قام في نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم ، أسلم بمكة وكتم اسلامه ، فأخرجته قريش الى بدر فأسر ، فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلى بمكة فأطلق ، ومات بالمدينة وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم . الاستيعاب ٢/ ٦١ الاصابة ٢/ ٨٤ .

وحصل تصحيف في اسمه في الحديث حيث كتب "سهيل " وذكر الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا الحديث في سهيل بن بيضاء الإصابة ٢/ ٩٠ قال فيه : رواه الطبرانى باسناد صحيح عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود وذكر الحديث قلت والعلة موجودة وهي الانقطاع . وقد ذكرها ابن حجر في ترجمة عبيد الله في التهذيب ٥/ ٧٥ وقال : "روى عن أبيه ولم يسمع منه " .

(١) الفتح ٧/ ٣٢٥ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى أهل الكتاب يدعوهم الى الاسلام . فقد أرسله صلى الله عليه وسلم يوما الى فنحاص بن عازوراء بكتاب ، وكان قد انفرد بالعلم والريادة على يهود بني قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه يأمرهم في ذلك الكتاب بالاسلام وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا ، فلما قرأ فنحاص الكتاب جرى بينهما ماقصه ابن اسحاق فقال :-

" حدثني محمد بن أبي محمد (١) عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر من أحبارهم ، يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يافنحاص : اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل . فقال فنحاص لأبي بكر : والله ياأبا بكر ، مابنا الى الله من فقر إليه كما يتضرع إلينا ، وما نتضرع إليه ، وانا عنه لأغنياء ، وماهو عنا بغني ، ولو كان عنا غنيا مااستقرضنا أموالنا ، كمايزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ماأعطانا الربا .

قال : فغضب أبو بكر ، فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده لولا الصهد الذي بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أي عدو الله .

قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد أنظر ماصنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ماحملك على ماصنعت فقال : أبو بكر يارسول الله ، ان عدو الله قال قولا عظيما ، إنه زعم أن الله فقير وأنهم

---

(١) محمد بن أبي محمد قال الذهبي في الكاشف : يروى عن سعيد بن جبير وعكرمة وعنه ابن اسحاق ، وثق ، وقال في الميزان لا يعرف وقال ابن حجر شيخ لعبد الرزاق مجهول من السابعة .

الكاشف ٣/ ٩٤ ، الميزان ٤/ ٢٦ ، التقريب ٢/ ٢٠٥ .

أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، وضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص ، - وقال : ماقلت ذلك ، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر "لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ماقالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق . (١)

ونزل في أبي بكر رضي الله عنه ، ومابلغه في ذلك من الغضب : "ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور . (٢) (٣)

---

(١) سورة آل عمران بعض آية ١٨١ .

(٢) سورة آل عمران بعض آية ١٨٦ .

(٣) اسناده حسن والله أعلم . ابن هشام ١/٥٥٨ - ٥٥٩ ولم يذكر لها سندا ، وأما السند فهو عن ابن كثير في التفسير ١/٤٣٤ حيث رواه عن ابن اسحاق ، وقال - رواه ابن أبي حاتم ، وانظر السيرة النبوية والآثار المحمدية ١/١٨٣ .

طلب الصديق الزواج من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الامام النسائي رحمه الله في سننه قال : أخبرنا الحسين بن حريث (١) ، قال حدثنا الفضل بن موسى السيناني (٢) عن الحسين بن واقد (٣) عن عبد - الله بن بريدة (٤) عن أبيه (٥) قال : خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنها صغيرة ، فخطبها علي فزوجها منه " (٦)

---

(١) الحسين بن حريث الخزاعي مولاهم أبو عمار المروزي ثقة من العاشرة مات سنة أربع وأربعين ومائتين الكاشف ١/ ٢٢٩ ، التقريب ١/ ١٧٥ .

(٢) الفضل بن موسى السيناني بمهملة مكسورة ونونين أبو عبد الله المروزي ثقة ، أحد العلماء الأثبات من كبار التاسعة مات سنة اثنتين وتسعين ومائة . الميزان - ٣/ ٣٦٠ ، الكاشف ٢/ ٣٨٤ ، التقريب ٢/ ١١١ .

(٣) الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله القاضي ثقة له أوهام من السابعة مات سنة تسع ويقال سبع وخمسين ومائه الميزان ١/ ٥٤٩ ، الكاشف ١/ ٢٣٥ ، - التهذيب ٢/ ٢٧٣ ، التقريب ١/ ١٨٠ .

(٤) عبد الله بن بريدة بن الحصيب - بضم ففتح فسكون - الأسلمي أبو سهل المروزي - قاضيها ، ثقة من الثالثة مات سنة خمس ومائة على خلاف ، روايته عن عمر بن - الخطاب رضي الله عنه مرسله . ابن سعد ٧/ ٢٢١ ، التاريخ الكبير ٥/ ٥١ ، - الجرح ٥/ ١٣ ، التذكرة ١/ ١٠٢ ، الكاشف ٢/ ٧٤ ، التهذيب ٥/ ١٥٧ ، - التقريب ١/ ٤٠٤ .

(٥) بريدة بن الحصيب - بمهملتين مصغرا - بن عبد الله الأعرج أبو سهل الأسلمي صحابي أسلم قبل بدر مات سنة ثلاث وستين . الاستيعاب ١/ ١٧٧ ، أسد الغابة ١/ ٢٠٩ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥ ، التهذيب ١/ ٤٣٢ .

(٦) اسناده منقطع لأن عبد الله بن بريدة لم يسمع من أبيه ، فان سمع فهو صحيح لكن له شواهد وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ٨/ ٦٥٨ ، وأخرجه النسائي في النكاح باب تزوج المرأة مثلها في السن ٦/ ٦٢ والامام أحمد في الفضائل رقم ١٠٥١ ، وابن سعد ٨/ ١٩ عن علياء بن أحمر مرسلا ، وهو والطبراني في الكبير ٤/ ٤٠ عن حجر بن عنبس نحوه وذكر حديث الطبراني ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٨٢ وقال " موضوع وضعه موسى بن قيس ، وكان من غلاة الروافض ويلقب بحصفور الجنة وهو ان شاء الله من حمير النار ، وقد غض في هذه المديحة لعلي أبا بكر وعمر أ . هـ . " وموسى لم يتركه أحد بل قال فيه ابن حجر صدوق . وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٣٨٦ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٤ وقال رجاله ثقات إلا أن حجر بن عنبس لم يسمع من النبي صلى - الله عليه وسلم ، ونحوه ابن حجر في الاصابة ١/ ٣٧٤ .

والذى دفع شيخى الاسلام لخطبة فاطمة هو فرط حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادا رضي الله عنهما أن يوثقا هذا الحب بمصاهرته صلى الله عليه وسلم . وقد عد عمر رضي الله عنه مصاهرة علي وعثمان بن عفان رضي الله عنهما من رسول الله صلى من أعظم مناقبها وضمن مؤهلاتهما للامامة فقال لعلي وهو يوصيه "ياعلي ، لعل هؤلاء القوم يعلمون لك حقك ، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهرك ، وما آتاك الله من الفقه والعلم فان وليت هذا الأمر ، فاتق الله فيه ، ثم دعا عثمان فقال : ياعثمان "فذكر له نحو ذلك . (١)

هذا وقد حصل لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما شرف مصاهرة النبى صلى الله عليه وسلم بزواجه من ابنتيهما رضي الله عنهم أجمعين ، وقد مر معنا زواجه بأم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما ، وسأذكر الآن قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين حفصة بنت عمر .

روى الامام البخارى رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحدث " أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بدرا ، توفي بالمدينة ، قال عمر فلقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقلت ان شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ، قال سأنظر في أمرى ، فلبثت ليالى ، فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا . قال عمر : فلقيت : أبا بكر فقلت : ان شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلىّ شيئا فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر ، فقال . لعلك وجدت علىّ حين عرضت على حفصة ، فلم أرجع اليك ؟ قلت : نعم . قال : فانه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت ، إلا أنى قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لقبلتها . (٢)

---

(١) فتح البارى ٧/ ٦٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المغازى باب مات أبو زيد ولم يترك عقبا وكان بدريا فتح ٧/ ٣١٧ كتاب النكاح باب عرض الانسان ابنته أو أخته على أهل الخير فتح ٩/ ١٧٥ ، باب لا نكاح الا بولى فتح ٩/ ١٨٣ ، باب تفسير ترك الخطبة فتح ٩/ ٢٠١ ، النسائى ٦/ ٧٧ - ٧٨ ، ٨٣ ، ومسند أحمد ١/ ١٢ رقم ٧٤ تحقيق أحمد شاكر ، مسند أبى بكر للمروزى ص ٣٦ - ٣٧ ، ٣٨ - ٣٩ .

وهذا الحديث يدل على أمانة الصديق رضي الله عنه وحفظه لسر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يدل على فطنته وفهمه وفقهه واستنباطه ، وحسن خلقه ومعاملته .

قال الحافظ ابن حجر : " وفيه فضل كتمان السر ، فاذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه ، وفيه عتاب الرجل لأخيه وعتبه عليه ، واعتذاره اليه وقد جبلت الطباع البشرية على ذلك . ويحتمل أن يكون سبب كتمان أبي بكر ذلك أنه خشي أن يبدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتزوجها فيقع في قلب عمر انكسار ، ولعل اطلاع أبي بكر على أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد خطبة حفصة كان باخباره له صلى الله عليه وسلم إما على سبيل الاستشارة واما لأنه كان لا يكتم عنه شيئا مما يريده حتى ولا ما في العادة عليه من غضاضة ، وهو كون ابنته عائشة عنده ، ولم يمنعه ذلك من اطلاعه على ما يريد لوثوقه بإيثاره اياه على نفسه ، ولهذا اطلع أبو بكر على ذلك قبل اطلاع عمر الذي يقع لكلام معه في الخطبة : " (١)

قال العقاد : " وكان الصديق رضي الله عنه في كتمانه عن النبي صلى الله عليه وسلم يتصدى للملام ، ولا يبوح بكلام ، أشفق أن يذيع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبدو له في الحدول ، فتكون في ذلك ملامة ، فآثر هو أن يلام على أن يعرض صاحبه لملام وكأنما خلق أمينا لسر ، فما تعوزه صفة واحدة من صفات الأمناء العظماء . " (٢)

وكأني أرى في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليكتم عن الصديق رضي الله عنه شيئا الا ما أمره الله به كالذي أخبره صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان في شأن المنافقين ولم يخبر أحدا غيره ، حتى سمي أمين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكفى الصديق منقبة أن يخبره الرسول صلى الله عليه وسلم عن شؤونه الخاصة وكفاه منقبة أن يلام ، في سبيل حفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما شدة موجدة عمر على الصديق رضي الله عنهما أكثر مما وجد على عثمان رضي الله عنه ترجع لأمرين :-

أحدهما : ماكان بينهما من أكيد المودة ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما في مكة قبل الهجرة .

ثانيهما : كون الصديق رضي الله عنه لم يعد عليه جوابا كما صرح في الحديث " فلم أرجع اليك" لكن لما عرف الفاروق سبب ذلك ، ذهب ماكان يجد في صدره على الصديق بل حمد له حسن صنيعه وزاد اعجابه رضي الله عنهما .

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٧٧ - ١٧٨ (٢) عبقرية الصديق / للعقاد ص ٧٣ بتصرف كبير .

موقف الصديق من غـــزوة أحـــد

ثم كانت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة على صاحبها صلاة الله وسلامه ، وكانت درسا للمجتمع الاسلامى الذى يربيه الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل كانت - نصرا مابعده نصره .

روى الامام أحمد قال : حدثنا سليمان بن داود (١) ، أخبرنا عبد الرحمن بـن أبى الزناد ، (٢) عن أبيه (٣) عن عبيد الله (٤) عن ابن عباس انه قال : مانصـر الله في موطن كما نصر يوم أحد ....." (٥)

---

(١) سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسى ، البصرى الحافظ ثقة امـام مصنف صاحب المسند قال ابن المدينى مارأيت أحفظ منه ، مات سنة ٢٠٤ هـ . التاريخ الكبير ٤/ ١٠ ، الجرح ٤/ ١١٣ ، التهذيب ٤/ ١٨٢ .

(٢) عبد الرحمن بن أبى الزناد عبد الله بن ذكوان أبو محمد القرشى المدنى ولد سنة - ١٠٠ هـ . صدوق تغير حفظه بعد قدومه بغداد . قال مالك لموسى بن سلمة : طيك بابن أبى الزناد ، وجعله ابن معين أثبت الناس في عروه ، وفي رواية أخرى ضعفه وصحح ابن المدينى والفلاس والساجى حديثه بالمدينة ، وقال أحمد أحاديثه صحاح ، وفي رواية ابنه صالح عنه مضطرب الحديث . ووثقه العجلى ومالك والترمذى وصحح عدة أحاديث له . وأطلق القول بتضعيفه النسائى وأبو زرعة وابن سعد وابـن عدى والحاكم وكان ابن مهدى يخط على حديثه ، وقال الذهبى هو ان شاء اللـه حسن الحال في الرواية .
التاريخ الكبير ٥/ ٣١٥ ، الجرح ٥/ ٢٥٢ ، الضعفاء للنسائى ص ٢٩٦ ، تـاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٨ ، الميزان ٢/ ٥٧٥ ، الكاشف ٢/ ١٦٤ ، العبر ١/ ٢٦٥ والمغنى ٢/ ٣٨٢ ، التهذيب ٦/ ١٧٠ ، التقريب ١/ ٤٧٩ ، الكواكب النيرات ص ٤٧٧ .

(٣) أبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان القرشى أبو عبد الله المدنى المعروف بأبى الزناد - تابعى ثقة متفق عليه ، قال البخارى أصح أسانيد أبو هريرة : أبو الزناد عن الأعرج مات سنة ثلاثين ومائة . التاريخ الكبير ٥/ ٨٣ ، الجرح ٥/ ٤٩ ، الكاشف ٢/ ٨٤ - التهذيب ٥/ ٢٠٣ ، التقريب ١/ ٤١٣ .

(٤) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى أبو عبد الله المدنى ، تابعى ثقة فقيه ، مات سنة ثمان وتسعين على خلاف جرح ٥/ ٣١٩ ، الكاشف ٢/ ٢٢٨ التهذيب ٧/ ٢٣ .

(٥) الحديث حسن الاسناد ان شاء الله وهو من مرسلات ابن عباس ، وأخرجه الامام أحمد في المسند ١/ ٢٨٧ .

قلت : وهذا النصر يأتي من الفوائد والحكم الربانية العظيمة التي استفادها المسلمون بعد ماأصابهم القرح لمخالفة أوامر نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الالتزام بها .

" والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما ، دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب ، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين ، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ماأظهروه من الفعل والقول ، عاد التلويح تصريحا ، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا له وتحرزوا منهم .

" ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها ، فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون . " (١)

لقد أظهرت غزوة أحد أن المشركين كانوا يحسبون حساب نفر من المؤمنين على رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذلك بدى واضحا من استفسار أبي سفيان رضي الله عنه عن هؤلاء النفر: أفي القوم هم أم لا .

روى الامام البخاري رحمه الله عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : " لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة ، وأمّر عليهم عبد الله وقال : لا تبرحوا ، ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن ، قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله بن جبير : عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم ، فأصيب سبعين قتيلا . وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : لا تجيبوه ، فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت ياعدو الله ، وأبقى الله عليك مايحزنك . " (٢)

---

(١) فتح الباري ٣٤٧/٧ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة أحد ٢٩/٥ - ٣٠ الفتح ٣٤٩/٧ ، ورواه الامام أحمد في المسند ٢٨٧/١ - ٢٧٨ نحوه .

قال ابن حجر رحمه الله : "وفي هذا الحديث من الفوائد منزلة أبي بكر وعمر من النبي صلى الله عليه وسلم وخصوصيتها به ، بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما اذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما" (١)

وكأني بهذا الحديث يشهد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما على أنهما الرجلان - اللذان يأتيان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرتبة ، وهذا ماشهد به الأعداء قبل الأصدقاء آنذاك ، والفضل ماشهدت به الأعداء .

وعجبي من الروافض الذين ينكرون أن تكون هذه المرتبة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للعمرين رضي الله عنهما ، فهاهم الكفرة من قريش - آنذاك - والذين مابرحوا في ميدان القتال لا يسألون عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، الا عن العمرين رضي الله عنهما ، وماذاك إلا لمنزلتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلهما الذي عرفه المشركون عدى المؤمنين . وصمد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من أصحابه الأبرار رضي الله عنهم ، ملتفين حوله خشية أن تكر عليه راجعة من المشركين ، وكان من بين هؤلاء النفر أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم وأرضاهم .

قال ابن اسحق : "فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ، منه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصمه (٢) ورهط من المسلمين . (٣)

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٥٢ .

(٢) الحارث بن الصمه - بكسر المهملة وتشديد الميم - ابن عمرو بن عتيك الأنصاري - الخزرجي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكسر في مسيره الى بدر فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهم ثم شهد بئر معونة فقتل فيها . الاستيعاب ١/ ٣٩٨ ، الاصابة ١/ ٣٨٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٣ .

وكيف لا يكون أشجع الشجعان أحد القلة المؤمنة التى ثبتت في هذا الموطن وفي أمثاله كما سنرى ، وقد عرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسالته وشجاعته حتى سأل علي رضي الله عنه الناس قائلا : من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت قال : أما أنا مابارزنى أحد الا انصفت منه ولكن هو أبو بكر ... " الحديث (١) .

قال العقاد : "لما وجب القتال كان هو أقرب المقاتلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غزوة ، وكل مأزق من مآزق الجلاد ، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازمة ، ولم نذكر له قط هزيمة في ساعة من ساعات الشدة ، ولا ثبت نفر قط حيث يصعب الثبات الا كان هو بين أول الثابتين . ولم تكن وقعة قط أشد على المسلمين من وقعتى أحد وحنين ، ولىّ فيهما من ولى ، واستشهد من استشهد وتردد فى صفوف العسكريين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بين المستشهدين ، فذعر الضعيف ، - وقال القوى : ماتصنعون بالحياة بعده ؟ فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففي وقعة أحد - أشد هاتين الوقعتين - كان أبو بكر في طليعة الثابتين ، ونظر الى حلقة من درع نشبت في جبين صديقه وصفيه ونبيه ، فشغله أن يصاب هذا المصاب وأنكب عليها لينزعها ، لولا أقسم عليه أبو عبيدة ليسبقنه هو الى نزعها فجذبها - بثنيته جذبا رقيقا حتى نزعها وسقطت ثنيته . " (٢)

---

(١) أنظر ص من الرسالة .

(٢) عبقرية الصديق ص ٤٤ - ٤٥ ، ورواية نزع الحلقة ضعيفة جدا منحة المعبود ٢/ ٩٩ المستدرك للحاكم ٣/ ٢٦ ، ابن سعد ٣/ ٢٩٨ .

موقف الصديق في غزوة حمراء والأسد بعد أحد

وكان الصديق رضي الله عنه من بين الذين انتدبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا في أثر المشركين بعد هذه المعركة "أحد" وذلك لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم أن المشركين ندموا لم لا تمسوا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين الى الذهاب وراءهم ليرهبهم ويريهم أن به قوة وجلدا .

روى الامام البخارى رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم " (١) قالت لعروة : يا ابن أختى كان أبواك منهم ، الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا ، قال من يذهب في أثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا قال : كان فيهم أبو بكر والزبير . " (٢)

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٧٢ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المغازى ، باب الذين استجابوا لله والرسول ٥/٣٨ فتح ٧/٣٧٣ ، مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما ٤/١٨٨٠ - ١٨٨١ من عدة طرق ، وابن ماجه في المقدمة ١/٥٦ ، والحاكم في المستدرك ٢/٢٤٨ ، ٣/٣٦٣ وقال : وهذا حديث صحيح ولم يخرجاه ابن هشام ٢/١٠١ ، أسباب النزول للواحدى ١٢٦ ، الطبرى في التفسير ٧/٤٠٢ المحقق ، المحب الطبرى في الرياض النضرة ١/٣٨ ، أبو الفرج في زاد المسير - تفسير ابن كثير ١/٤٢٨ - ٤٣٠ ، الدر المنثور ٢/١٠١ . كما ذكر ابن كثير عن الحسن البصرى نحوه ١/٤٣٠ وانظر ابن هشام ٢/١٠٢ - ١٠٣ ، والطبرى في التفسير ٧/٤٠٢ . وقال ابن كثير في تعليقه على حديث البخارى في السيرة النبوية ٣/١٠١ وهذا السياق غريب جدا فان المشهور عند أصحاب المغازى ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائه قتل منهم سبعون وبقي الباقون . أ . هـ .

موقف الصديق بعد غـــزوة

الأحـــزاب

روى الامام أحمد رحمه الله حديثا طويلا في غزوة الأحزاب ، واقتصر على مايهمـنى في بحثى ، قال رحمه الله : حدثنا يزيد (١) ، أنبأنا محمد بن عمرو (٢) عن أبيه (٣) عن جده علقمة بن وقاص (٤) ، قال : أخبرتنى عائشة من حديث طويل في غزوة الأحزاب قالت : ... ثم دعا سعد فقال : اللهم ان كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئـا فأبقنى لها ، وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك . قالت : فانفجر كلمـه وكان قد برئ حتى لا يرى منه الا مثل الخرص (٥) ورجع الى قبته التى ضرب عليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، قالت : فو الذى نفسى محمد بيده انى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا في حجرتى ، وكانوا كما قال الله : " رحماء بينهم " (٦)

---

(١) يزيد بن هارون بن زاذان السلمى أبو خالد الواسطى ، ثقة متقن قال أبو حاتم ثقة امام لا يسأل عن مثله توفي سنة ست ومائتين . ابن سعد ٧/ ٣١٤ ، التاريـخ الكبير ٨/ ٣٦٨ ، الجرح ٩/ ٢٦٥ ، التذكرة ١/ ٣١٧ ، الكاشف ٣/ ٢٨٧ ، العبر ١/ ٣٥٠ ، التهذيب ١١/ ٣٦٦ ، التقريب ٢/ ٣٧٢ .

(٢) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى ، أبو عبد الله ، ويقال أبو الحسن المدنى صدوق حسن الحديث له أوهام . وقال الذهبى : شيخ مشهور حسن الحديث ـ مات سنة خمس وأربعين ومائه على خلاف . التاريخ الكبير ١/ ١٩١ ، الجرح ٨/ ٣٠ ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٣ ، الكاشف ٣/ ٨٤ ، التهذيب ٩/ ٣٧٥ ، التقريب ٢/ ١٩٦ .

(٣) عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى المدنى ، مقبول من السادسة ذكره ابن حبان فـــي الثقات ، وقال الذهبى وثق . الجرح ٧/ ٢٥١ ، الميزان ٣/ ٢٨١ ، الكاشف ٢/ ٣٣٧ التهذيب ٨/ ٨٠ ، التقريب ٢/ ٧٥ .

(٤) علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل الليثى المدنى ، ثقة ثبت من الثانية أخطأ من زعم أن له صحبه ، قيل انه ولد في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عبد الملك ، التاريخ ٧/ ٤٠ ، الجرح ٦/ ٤٠٥ . التهذيب ٧/ ٢٨٠ ، التقريب ٢/ ٣١ .

(٥) الخرص : بضم الخاء المعجمة ، وسكون الراء المهملة وصاد وهي الحلقة الصغـــيرة من الحلى وهي من حلى الأذن . النهاية ٢/ ٢٢ .

(٦) سورة الفتح بعض آية ٢٩ .

قال طلقة : فقلت : يا أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان اذا وجد ، فإنما هو آخذ بلحيته . " (١)

وهذا الحديث يدل على رقة قلب الحبرين - أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما ، وهذه خصوصية للصديق أكثر منها لعمر رضي الله عنهما ، واشتهر عن الصديق رضي الله عنه الرقة الشديدة حتى انه لم يكن ليملك عينه من الدمع عند قراءته أو سماعه للقرآن وهكذا هنا عندما رأى ما بأخيه من ألم الجرح وسكرات الموت ، وما برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحزن ، وما أصابه من أذى حيث كان ملتزما لسعد ، ودماؤه تسيل فتصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتمالك نفسه ، فانفجر بالبكاء حتى سمعه من بخارج البيت ، كما ذكر ذلك الامام أحمد عن عمرو بن شرحبيل* قال : لما انفجر جرح سعد بن معاذ ، التزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلت الدماء تسيل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أبو بكر فقال : واكسر ظهرياه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صه (٢) يا أبا بكر . ثم جاء عمر وقال : انا لله وان اليه راجعون "(٣)

---

(١) الحديث اسناده حسن وقال ابن كثير معلقا على اسناد الحديث : وهذا الحديث اسناده جيد . السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٣٨ وأخرجه الامام أحمد .

(*) هو عمرو بن شرحبيل الهمداني أبو ميسرة حجة ، ثقة عابد مخضرم ، وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة مات سنة ثلاث وستين ، الجرح ٦/٢٣٨ ، الكاشف ٢/٣٣١ ، التهذيب ٨/٤٨٠ ، التقريب ٢/٧٢ .

(٢) صه بفتح الصاد والمهملة وهاء ، بمعنى أسكت ، وهي كلمة زجر تكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث تقال عند الاسكات . النهاية ٣/٦٣ .

(٣) الحديث مرسل لأن عمرو بن شرحبيل تابعي مخضرم ، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٤/٢٩٧ عن عمرو بن شرحبيل أيضا غير مسند ، قلت ورجاله ثقات ، وهذا الأثر عن عمرو بن شرحبيل يشرح لماذا بكى الصديق فهو شاهد للحديث السابق - الحسن . كما ويعتبر الحديث السابق شاهدا له فيرتقي الى درجة القبول . أخرجه أحمد في الفضائل رقم ١٥٠٢ .

وما كان صياح أبي بكر الا رقة ورحمة لما رأى من أذى ، أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما انفجر جرح سعد بن معاذ رضي الله عنه . وكيلا يقول أحد ان عمر كان أثبت قلبا من الصديق ، فهذا أبعد مايكون ، وسيتبين لنا رباطة جأشه وقوة يقينه عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو موقف مشهود ، ضلت فيه عقول ، وطارت به أحلام ، وهو موقف أكثر خطورة من مثل هذا الموقف ـ وان كان جللا ـ وكما قلت كان بكاء الصديق ليس جزعا بل رقة ورحمة .

وهذا الحديث يبين عطف الصحابة على بعضهم البعض ، والرحمة بينهم كما وصفهم بها الله عز وجل في كتابه العزيز "رحماء بينهم" (١)

---

(١) سورة الفتح بعض آية ٢٩ .

غزوة بني المصطلق وآل الصديق رضي الله عنهم

قال تعالى : "إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا اذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا هذا إفك مبين * لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء ، فأولئك عند الله هم الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم * ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم *

ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم * "(١)

ولربما يسأل سائل كيف دخلت الآيات العشر الأوائل في شأن أبي بكر وهن في شأن عائشة رضي الله عنهما ؟

والجواب : أولا : إن هذه الآيات الكريمة نزلت في بيت الصديق نفسه رضي الله عنه وكفاه مفخرة أن ينزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات في بيت أبي بكر رضي الله عنه وعلى فراشه .

ثانيا : ان تبرئة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما مما رماها به المنافقون وغيرهم ممن اغتر بقولهم ، هو بمثابة تبرئة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض

---

(١) سورة النور آية ١١ - ٢٢ .

وعرض صاحبه أبى بكر رضي الله عنه .

وحادثة الافك هذه كانت بعيد غزوة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع في السنة السادسة من الهجرة . وقال الواقدى في مغازيه : " وصفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبى بكر رضي الله عنه وراية الأنصار الى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ويقال كان مع عمار بن ياسر راية المهاجرين . " (١)

---

(١) كتاب المغازى للواقدى ٤٠٧/١ .

حديث الافك كما يرويه البخارى رحمه اللـــه

روى البخارى رحمه الله حديث الافك بتمامه في عدة مواضع من صحيحه ، وسأقتصر على الجزء الأخير من الحديث .

روى البخارى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها قالت : " . . . فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ، ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ماقيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأنى بشئ، قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال : أما بعد ، ياعائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئة فسيبرّئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فان العبد اذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، قلص (١) دمعى حتى ماأحس منه قطرة ، فقلت لأبى : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فيما قال . فقال أبى : والله ماأدرى ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت لأمى : أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قالت أمى : والله ماأدرى ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت وأنا جارية حديثة السن ، لاأقرأ من القرآن كثيرا : إنى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله أعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ، فو الله لا أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف حين قال : فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون " ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، والله يعلم أنى حينئذ بريئة ، وأن الله مبرئى ببرائتى ، ولكن والله ماكنت أظن أن الله تعالى منزل في شأنى وحيا يتلى ، لشأنى في نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا ، يبرئنى الله بها .

---

(١) قلص : بفتح القاف واللام ثم مهملة : ارتفع وذهب ، واستمسك نزوله . المشارق ٢/ ١٨٥ ، النهاية ٤/ ١٠٠ .

فو الله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ماكان يأخذه من البرحاء (١) حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه . قالت : فسرّى ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : ـ ياعائشة أمّا الله فقد برأك ، قالت : فقالت لى أمى : قومى إليه ، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ، فإنى لا أحمد إلا الله عز وجل قالت : وأنزل الله تعالى : " ان الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم " العشر الآيات ، ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتى .

قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة (٢) لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة ماقال فأنزل الله تعالى : " ولا يأتل أولو الفضل منكم إلى قوله غفور رحيم . "

قال أبو بكر الصديق : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . " (٣)

---

(١) البرحاء : بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد . وهي شدة الحمى . وهنا شدة الكرب من ثقل الوحي . المشارق ١/ ٨٣ ، النهاية ١/ ١١٣ .

(٢) مسطح ـ بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء ـ ابن أثاثة بضم الهمزة ومثلثتين بينهما ألف ـ بن عباد ابن عبد المطلب كان اسمه عوفا ، وأما مسطح فلقبه ، واسم أمه سلمى ويقال ريطه ، وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين مات ـ أبوه وهو صغير فكفله أبو بكر رضي الله عنه لقرابة أمه منه ، لأن أم أبى بكر خالة أم مسطح . مات سنة أربع وثلاثين على خلاف . الاستيعاب ٣/ ٤٧٠ ، الاصابة ٣/ ٣٨٨ فتح ٨/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

(٣) صحيح البخارى كتاب المغازى باب حديث الافك ٥/ ٥٥ ، فتح ٧/ ٤٣١ ، كتاب ـ التفسير سورة النور باب لولا سمعتموه ظنتم مايكون ... الكاذبون ٦/ ٥ فتح ٨/ ٤٥٢ باب ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ـ ٦/ ١١ فتح ٨/ ٤٨٧ ، ـ سورة يوسف باب قوله تعالى : " قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ٥/ ٢١٦ مختصرا فتح ٨/ ٣٦٢ ، كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٣/ ١٥٤ ، كتاب الايمان باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب ٧/ ٢٢٩ مختصرا كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : " لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ٤/ ١٢٣ مختصرا . مسلم كتاب التوبة باب حديث الافك وقبول توبة القاذف ٤/ ٢١٢٩ ـ ٢١٣٧ أبو داود ٤/ ١٦٤ ، الترمذى كما في تحفة الأحوذى ٩/ ٢٩ ، ابن ماجه ٢/ ٨٥٧ مسند أحمد ٦/ ١٩٥ ـ ١٩٨ ، ٣٦٧ ـ ٣٦٨ سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٣ ، تفسير الطبرى ١٨/ ٧١ تحقيق أحمد شاكر أسباب النزول للواحدى ٣٣٠ ، لباب النقول ـ للسيوطى ١٥٧ ، أسد الغابة ٣/ ٣٠ ، البغوى والخازن في التفسير ٥/ ٤٦ ، ـ الدر المنثور ٥/ ٢٤ ابن كثير ٣/ ٢٦٨ مجمع الزوائد ٩/ ٢٣٩ ، القرطبى في التفسير ١٢/ ٢٠٢ .

فقوله تعالى : "لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم " قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : " لا تحسبوه شرا لكم أى يا آل أبى بكر ، بل هو خير لكم أى في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ، ورفعة منازل في الآخرة ، واظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولهذا لما دخل عليها ابن عباس وهى في سياق الموت قال لها : ابشرى ، فانك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ، ولم يتزوج بكرا غيرك ، ونزلت براءتك من السماء . " (١)

وقيل الخطاب في "خير لكم" لكل من ساءه ذلك مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم . " (٢)

وقوله تعالى : " لا يأتل أولو الفضل منكم والسعة " أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في الصديق .

قال الحافظ ابن كثير : وهذه الآية نزلت في الصديق حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثه بنافعة شرع تبارك تعالى - وله الفضل والمنه - يحلف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثه ، فانه كان ابن خالة الصديق "رضى الله عنه" وكان مسكينا لا مال له الا ماينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله (٣) وقد وطق وطقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها . وكان الصديق رضي الله عنه معروفا بالمعروف ، له الفضل والأيادى على الأقارب والأجانب ، فلما نزلت هذه الآية الى قوله : " ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " أى : فان الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن المذنب اليك نغفر لك ، وكما تصفح نصفح عنك . فعند ذلك قال الصديق : بلى ، والله إنا نحب - يا ربنا أن تغفر لنا . ثم رجع الى مسطح ماكان يصله من النفقة وقال : والله لا أنزعها منه أبدا في مقابل ماكان قال : والله لا أنفعه بنافعة أبدا ، فلهذا كان الصديق هو الصديق . " (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٢ (٢) انظر الكشاف للزمخشرى ٣/ ٥٣ .
(٣) وطق : يلق اذا أسرع في الكذب وغيره ، والوطق الكذب . تفسير الطبرى ١٨/ ٦٨ محقق ، القرطبى ١٢/ ٢٠٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٦ .

وقد ذكر الامام الفخر الرازى مافي هذه الآية من فوائد أذكر بعضها ملخصا :

١ ـ هذه الآية تدل على أن الصديق رضي الله عنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الفضل المذكور إما دنيوى وإما دينى ، والأول باطل لأن الله الله عز وجل لا يمدح على الفضل الدنيوى ، لأنه لو كان كذلك لكان قوله والسعة تكريرا ، فتعين الثانى .

٢ ـ ان الله سبحانه وتعالى وصف الصديق رضي الله عنه بصفات دلت على علو شأنه في الدين منها :ـ

أ ـ أنه سبحانه وتعالى كنّى عن الصديق بلفظ الجمع وهذا فيه علو شأن لأبى بكر رضى الله عنه . وهذا لا يمنع أن تكون الآية عامة .

ب ـ أن الله عز وجل وصفه بأنه صاحب الفضل على الاطلاق ، وماكان ذلك الفضل لحوش انما كان ابتغاء وجه ربه الأعلى .

جـ ـ أن الله سبحانه وتعالى ميزه عن المؤمنين بقوله تعالى : " ألو الفضل منكم " ومن للتمييز ، والصفة التى بها يقع الامتياز يستحيل حصولها في الخير والا لما كانت ميزة له بعينه .

د ـ أمكن حمل الفضل على طاعة الله تعالى وقوله " والسعة " على الاحسان الى المسلمين ، وكل من كان كذلك كان الله معه لقوله تعالى : " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . "

هـ ـ أن الله سبحانه وتعالى أمره بأن لا يقطع بره عمن أساء إليه ولو كان ظلم ذوى القربى أشد مضاضة . وكأن الله سبحانه وتعالى يقول : أنت أفضل من أن تقابل اساءته بشئ ، وأنت أوسع قلبا من أن تقيم للدنيا وزنا (١)

قلت : وان كان سبب نزول الآية هو أبو بكر رضي الله عنه الا أنها عامة ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أما الحديث المروى في قصة الافك فيه من الفضائل لكثير من الصحابة وفضيلة الصديق تسمو عليها كلها .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٣/ ١٨٧ ـ ١٩٠ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وفيه ـ أى من الفضائل والفوائد ـ تثبت أبى بكر الصديق في الأمور لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادى الحال فيها شهرا كلمة فما فوقها ، إلا ماورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال : " والله ماقيل لنا هذا في الجاهلية ، فكيف بعد أن أعزنا الله بالاسلام " وقع ذلك في حديث ابن عمر عند الطبرانى . " (١)

كما يدل الحديث على شدة ودقة اتباع الصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعندما قالت له عائشة رضي الله عنها " أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قال : والله ماأدرى ماأقول " وفي رواية " فقال : ماذا أقول " وفي أخرى " لا أفعل هو رسول الله والوحي يأتيه " (٢)

كما دل الحديث على أن الصديق رضي الله عنه كان صاحب فضل وأيادى على الأقارب كما كان يتحلى بالصفات الحميدة حيث قد عفى وأصفح عمن ظلمه وأساء اليه ، وماذاك ـ الا لتقواه وورعه . " الا تحبون أن يغفر الله لكم " قال بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى .

---

(١) فتح البارى ٨/ ٤٨٠ .

(٢) انظر تخريج الحديث قبل صفحتين .

غزوة "صلح" الحديبية وموقف الصديق فيها

كان صلح الحديبية بداية الفتح الأكبر ، وايذانا بفتح مكة المكرمة وتطهير بيت الله الحرام من أدران الشرك ، وتخليص العباد وتحريرهم من عبودية الأوثان الى عبادة الواحد الديان .

وكان للصديق رضي الله عنه مواقف مشهورة في هذه الغزوة ، لا تقل عما كان له في غيرها .

روى الامام البخارى رحمه الله بسنده إلى المسور بن مخرمة * ، ومروان بن الحكم * * ـ يزيد أحدهما على صاحبه ـ قالا : "خرج النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة (١) قلد الهدى وأشعره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عينا له من خزاعة ، وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان ـ بغدير الأشطاط (٢) ، أتاه عينه ، قال : ان قريشا جمعوا لك الأحابيش ، (٣) وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا أيها الناس علي ، أترون أن أميل الى عيالهم ، وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين ، والا تركناهم محروبين .

قال أبو بكر : يارسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد قتل أحد ، ولا حرب أحد ، فتوجّه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله . " (٤)

---

(١) ذا الحليفة : بالتصغير والفاء : قرية بينهما وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة . معجم البلدان ٢/ ٢٩٥ .

(٢) غدير الأشطاط : بفتح أوله واسكان ثانيه بعده طاء مهملة على وزن أفعال تلقاء الحديبية ، قريب من عسفان معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/ ١٥٣ معجم البلدان ١/ ١٩٨ .

(٣) الأحابيش : هم حلفاء قريش وهم الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وبنوا المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشيا ، وقيل لتجمعهم لأن تحبش أى تجمع . المشارق ١/ ١٧٦ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة الحديبية ٥/ ٦٧ فتح ٧/ ٤٥٣ .

* المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، الزهرى أبو عبد الرحمن له ولأبيه صحبه مات سنة أربع وستين . التقريب ٢/ ٢٤٤ .

* * مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية أبو عبد الملك الأموى ، ولى الخلافة فى آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس لا يثبت له صحبه التقريب ٢/ ٢٣٨

وهذا الحديث يدل على أن المستشار الأول من بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الصديق . وكأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفى برأى الصديق رضي الله عنه ، والذى كثيرا ماكان يأخذ برأيه ويميل اليه ، لما يراه من لين الصديق وسعة صدره ، وعلمه وفطنته وحسن تصرفه ، فارتضي رأيه في هذه المشورة ، وكأنى - بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتضوا أن يكون الصديق المتحدث بالنيابة عنهم ، فكانوا مجمعين على رأيه ، لأنه لم يروا أن أحدا منهم جاء برأى آخر ، والا لذكرته كتب الأحاديث والسير .

كما يتجلى موقف الصديق الشجاع العالم الفطين في موقفين هامين في الحديث - الذى يرويه البخارى رحمه الله في صحيحه قال بنفس سند الحديث السابق :

" . . . فأتاه - أى عروة بن مسعود - فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل بن ورقاء ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت ان استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فانى والله لا أرى وجوها ، وإنى لأرى أشوابا (١) من الناس خليقا أن يفرّوا ويدعوك .

فقال له أبو بكر رضي الله عنه : امصص ببظر اللاّت ، (٢) أنحن نفر عنه وندعه ؟ : فقال من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذى نفسى بيده ، لولا يدٌ كانت لك عندى لم أجبزك بها لأجبتك . . . .

ثم قال بعد أن تم الصلح : " فقال عمر بن الخطاب : فأتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألست نبى الله حقا ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على

---

(١) الأشواب الأخلاط ووردت أوشابا بتقديم الواو على المعجمة وهم الأخلاط من السفلة ، فالأوشاب أخف من الأوباش . المشارق ٢/ ٢٦٠ ، فتح البارى ٥/ ٣٤٠ .

(٢) البظر : وهو مايخفض من النساء في ختانهن . وامصص بظر اللات : كلمة سب تستعملها العرب لمن تقابحه وتسبه ، وأكثر مايضيفون ذلك للام . المشارق ١/ ٨٨ .

الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً . قال : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال : قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به .

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : ياأبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنيه في ديننا إذا قال : أيها الرجل انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يعصى ربه ، فهو ناصره ، فاستمسك بغرزه (١) ، فوالله انه على الحق . قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به . " (٢)

وهذا الحديث العظيم يدلنا على فطنة الصديق وسرعة البديهة والاجابة ، وماقال " اغضض بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه ؟ : " الا رد على لفظ عروة بن مسعود ، " فاني لا أرى وجوها ، واني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك . " لأن ألفاظ عروة تنم عن احتقار للصحابة الذين تحلقوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعنا في

---

(١) استمسك بغرزه : الغرز بفتح المعجمة وسكون الراء هو للرجال مثل الركاب للسروج وقد ضرب مثل واستعاره ، واتباعه كمن يمسك بغرز رجل الآخر . المشارق ٢/ ١٣١ .

(٢) البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة وكتابة الشروط ٣/ ١٧٨ فتح ٥/ ٣٢٩ ، باب مايجوز من الشروط في الاسلام فتح ٥/ ٣١٣ ، كتاب الصلح باب كيف يكتب " هذا ماصالح فلان فتح ٥/ ٣٠٣ كتاب المغازي باب عمرة القضاء - مختصرا فتح ٧/ ٤٩٩ ، باب غزوة الحديبية فتح ٧/ ٤٥٣ صحيح مسلم ٣/ ١٤١١ - ١٤١٢) مسند الامام أحمد ٤/ ٣٢٦ . سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٨ .

مقدمتهم على خوض المعارك ، فكان رد الصديق رضي الله عنه في محله ، والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيها ولم ينكرها على صاحبه وكانت عادة العرب الشتم بذلك ، لكن بلفظ الأم ، فأراد الصديق رضي الله عنه المبالغة باقامة محمودة مقام أمه ، وحمله على ذلك ماأغضبه من نسبة المسلمين الى الفرار عنه صلى الله عليه وسلم .

كما دل الحديث على أن الصديق رضي الله عنه كان ذا أيادى على الملأ من القوم فكيف بمن دونهم . قال عروة : " اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك به " .

كما دل الحديث على موقف الصديق المرتكز على عقيدة لا تتزعزع ، وبالمواقف والمحن يعرف الرجال ، لقد كان الصديق رضي الله عنه الرجل الوحيد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى اطمأنت نفسه وازداد يقينه ، لصلح النبى صلى الله عليه وسلم مع قريش يوم الحديبية ، حيث اضطرب الناس لهذا الصلح وضاقوا بما جاء في بعض نصوصه ذرعا ، وظهر ذلك جليا في مراجعة الفاروق رضي الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه .

فكان التوافق العجيب بين إجابات النبى صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه ، فهاهو عمر رضي الله عنه يحاور الصديق رضي الله عنه كما حاور النبى صلى الله عليه وسلم فكان جوابهما واحدا .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند قوله : " فأتيت أبا بكر " لم يذكر عمر أنه راجع أحدا في ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر الصديق ، وذلك لجلالة قدره وسعة علمه عنده وفي جواب أبى بكر لعمر بنظير ماأجابه النبى صلى الله عليه وسلم سواء ، دلالة على أنه كان أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين ، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى . " (١)

---

(١) الفتح ٥/٣٤٦ .

وقال الحافظ : " وقد وقع التصريح في هذا الحديث بأن المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأي في ذلك ، وظهر من هذا الفصل أن الصديق لم يكن موافقا لهم بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء " . (١) قلت وقد مر معنا في الهجرة الى الحبشة أن ابن الدغنة وصف الصديق بنظير ماوصفت به خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت صفاتها متشابهة من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء . (٢)

وقال ابن اسحق رحمه الله : " فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، - أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، ومحمد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة . " (٣) .

وهذا يدل على أن هؤلاء الرجال الذين شهدوا على ماصالح عليه محمد صلى الله عليه وسلم سهيلا ، وكانوا بمثابة عليه القوم ، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا بالنسبة إلى الصحابة ، أما المشركون فهم ممثلو قريش .

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٤٦ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٤٦ بتصرف .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٩ .

سرية أبى بكر (غزوة فزارة)

أخرج الامام مسلم عن سلمة بن الأكوع قال : غزونا فزارة وعلينا أبو بكر . أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة ، أمرنا - أبو بكر فعرسنا (١) ثم شن الغارة فورد الماء . فقتل من قتل عليه ، وسبى - وأنظر إلى عنق من الناس (٢) فيهم الذراري (٣) ، فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل . فلما رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم . وفيهم امرأة من بنى فزارة ، عليها قشع (٤) من أدم . (قال القشع : النّطع) معها - ابنة لها من أحسن العرب ، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر . فنفّلنى أبو بكر ابنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا . فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : " ياسلمة : هب لى المرأة " فقلت يارسول الله : والله : لقد أعجبتنى . وما كشفت لها ثوبا ، ثم لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد في السوق . فقال لى : " ياسلمة هب لى المرأة . لله أبوك فقلت : هى لك . يارسول الله : فو الله ما كشفت لها ثوبا . فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة . ففدى - بها ناسا من المسلمين ، كانوا أسروا بمكة " (٥)

وهذه من الغزوات التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أبا بكر رضي الله عنه ، وكانت هذه الغزوة قبل خروجهم الى خيبر بخليل . (٦)

---

(١) عرسنا : التعريس النزول آخر الليل .
(٢) عنق من الناس : أى جماعة : النووى ٦٨/١٢ .
(٣) الذراري : يعنى النساء والصبيان ، النووى ٦٨/١٢ .
(٤) قشع : بالفتح والكسر : وهما لغتان مشهورتان . وهو كما فسره بالنطع ، وقال - صاحب مختار الصحاح ص ٥٣٥ القشع الجلود اليابسة . النووى ٦٨/١٢ .
(٥) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى ١٣٧٥/٣ ، وأبو داود ٦٤/٣ ، وابن ماجه في السنن ٩٤٦/٢ ، المسند للامام أحمد ٥١/٤ ، وكذلك ٤٧/٧ مختصرا .
(٦) انظر سيرة ابن كثير ٣٥٥/٣ نحوه .

وذكر ابن اسحق أن هذه الغزوة كانت بقيادة زيد بن حارثة وأسرت أم قرفة وبنت لها ، وأمر زيد بقتل أمها وكانت بنتها لسلمة بن عمرو بن الأكوع وكان هو الذى أصابها . ويبدو لى والله أعلم أنهما قصتان ، لأن قصة مسلم يقول سلمة بن الأكوع ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بالبنت التى كانت له إلى أهل مكة ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة ، وأما رواية ابن اسحق ، فأهدتها لخاله حزن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن (١) والله أعلم .

هذا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر فى عدة غزوات قال الامام أبو داود السجستانى حدثنا هناد (٢) عن ابن المبارك (٣) عن عكرمة بن عمار (٤) عن إياس بن سلمة (٥) عن أبيه قال : غزونا مع أبى بكر رضي الله زمن النبى صلى الله عليه وسلم فكان شعارنا "أمت أمت" (٦) وقد بين الامام أحمد هذه الغزوة أنها هوزان . (٧)

---

(٢) هناد هو هناد بن السرّى - بفتح مهملة وكسر راء خفيفة وشدة مثناة - ابن مصعب التميمى أبو السرى الكوفي ثقة من العاشرة . المغنى في ضبط الأسماء ص ١٢٧ ، التقريب ٢/ ٣٢١ .

(٣) ابن المبارك هو عبد الله بن المبارك المروزى مولى بنى حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عن الثامنة مات سنة احدى وثمانين ومائة ، ابن سعد ٧/ ٣٧٢ ، التاريخ الكبير - ٥/ ٢١٣ ، مقدمة الجرح ١/ ٢٦٢ الحلية ٨/ ١٦٢ ، تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢ - الوفيات ٣/ ٣٢ ، اللباب ١/ ٣٦٦ ، التذكرة ١/ ٢٧٤ البداية والنهاية ١٠/ ١٧٧ التهذيب ٥/ ٣٨٢ ، التقريب ١/ ٤٤٥ ، الجواهر المضيئة ١/ ٢٨١ ، تاريخ التراث العربى ١/ ٢٧٠ .

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦١٧ بتصرف كبير .

(٤) عكرمة بن عمار العجلى ثقة وفي روايته اضطراب ، وثقه البخارى وأحمد وأبو داود - ويحيى بن سعيد وعلى بن المدينى والعجلى وابن مهدى والدارقطني ثم يقول الحافظ صدوق يغلط . مات قبل الستين ومائة من الخامسة .
التاريخ ليحيى بن معين ٢/ ٤١٤ ، التاريخ الكبير ٧/ ٥٠ ، الجرح ٧/ ١٠ ، - العجلى (ل ٤٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٥٨ ، تهذيب الكمال (١٠/ل ٤٧٥ مصور) ميزان ٣/ ٩١ ، تقريب ٢/ ٣٠ ، طبقات المدلسين ص ٣٠ .

(٥) اياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمى أبو سلمة ويقال أبو بكر المدني ثقة من الثالثة مات - سنة تسع عشرة ومائة ابن سعد ٥/ ٢٤٨ ، تهذيب الكمال (٢/ل ٦٤) تهذيب ١/ ٢٨٨ تقريب ١/ ٨٧ .

(٦) قوله "أمت أمت" شعار يتعارف به المسلمون لأجل ظلم الليل ، قيل المخاطب هو الله تعالى ، فانه الميت فالمعنى ياناصر أمت العدو . عون المعبود ٧/ ٢٥٧ بتصرف كبير .

(٧) رجال الاسناد كلهم ثقات الا أن فيه شبهة التدليس لأن عكرمة من مدلسي الطبقة الثالثة . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في الرجل ينادى بالشعار ٣/ ٣٣ ، المسند ٤/ ٤٦ المستدرك ٢/ ١٠٧ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، - والطبرانى في الكبير ٧/ ١٦ ، طبقات ابن سعد ٤/ ٣٠٥ ، والمغازى للواقدى ٢/ ٧٢٢ ، والبيهقي في السنن ١/ ٣٦١ .

الصديق في غزوة خيبر (١)

روى الامام أحمد رحمه الله في مسنده قال : حدثنا زيد بن الحباب (٢) ، حدثني الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة ، حدثني أبي بريدة قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر ، فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من الغد عمر فخرج ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني دافع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح له ، فبتنا طيبة أنفسنا ، أن الفتح غدا ، فلما أن أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى الغداة ، ثم قام قائما ، فدعا باللواء والناس على مصافهم ، فدعا عليا وهو أرمد ، فنفث في عينه ، ودفع إليه اللواء ، وفتح له. قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها . (٣)

هذا الحديث يفيد أن فيه فضيلة لعلي رضي الله عنه حيث تفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه فبرئت ، وأعطاه اللواء ففتح الله على يديه ، وانه من الذين يحبهم الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله .

---

(١) خيبر : قرية تبعد عن المدينة المنورة ثمانيه برد على جهة الشام ، فتحت في السنة السابعة للهجرة . معجم البلدان ٢/ ٤٠٩ .

(٢) زيد بن الحباب - بضم المهملة وموحدتين - ابن الريان ويقال رومان التميمي أبو الحسين العكلي - بضم المهملة وسكون الكاف - أصله من خراسان ، صدوق يخطئ في حديث الثوري ، وقال الذهبي : الحافظ الثقة صدوق جوال ، ووثقه ابن عدي من التاسعة - التاريخ الكبير ٣/ ٣٥٨ ، الجرح ٣/ ٥٦١ ، الكاشف ١/ ٣٣٧ ، التهذيب ٣/ ٤٠٢ التقريب ١/ ٢٧٣ .

(٣) الحديث اسناده منقطع لكن يرتقي إلى الحسن لغيره بشواهده . أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٥٣ ، البيهقي في السنن ٩/ ١٣٢ نحوه ، وفضائل الصحابة لأحمد رقم ١٠٠٩ - مثله ، والخصائص للنسائي ص ٥ ، والرياض النضرة ٢/ ١٩٣ ونسبه لأحمد .
أما حديث لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " فقد أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب دعاء النبي الناس الى الاسلام ٤/ ٥ فتح ٦/ ١١١ ، باب من أسلم على يديه رجل ٤/ ٢٠ فتح ٦/ ١٤٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٤/ ٢٠٧ ، فتح ٧/ ٧٠ ، كتاب المغازي باب غزوة خيبر/ ٧٦ - فتح ٧/ ٤٧٦ مسلم كتاب فضائل الصحابة ، من فضائل علي رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٢ الحاكم في المستدرك ٣ / ٣٧ ، البيهقي في السنن ٩/ ١٣٢ ، تاريخ الطبري ٣/ ١١ مسند أحمد ٤/ ٥١ ، ٥/ ٣٥٨ ، كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٣٣٨ .

وكذلك يفيد أن فيه فضيلة وكرامة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث كان أول من أخذ اللواء ، وحاول فتح خيبر وحاول جهده ولم يقصر ، ولم يشأ الله أن يكون الفتح إلا على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابراز معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في إعلامه ذلك لصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، وهذا فضل من الله عظيم لعلي رضي الله عنه أيضا . وكذلك بالنسبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ففيه فضيلة له . ولا يقال فيه منقصة لهما لأنها لم تفتح على أيديهما ، وذلك لأنهما قاما بما وجب عليهما ، وعملا بالأسباب ، كما يفيد الحديث تقديم أبي بكر على غيره من الصحابة في أخذ اللواء وهذه منقبة عظيمة له ، لأن ألوية الجيوش لا تعطى الا لمن يتناسب وحطها من شجاعة وإقدام ، وقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطى الراية أو اللواء لأبي بكر في غير هذا الموضع .

وفي رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر كما حدث مسلم رحمه الله عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه (١) قال : "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء إن شاء الله غدا ، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد . قال أبو قتادة فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير .... ثم قال : "ماترون الناس صنعوا ؟ قال : ثم قال : "أصبح الناس فقدوا نبيهم ، فقال أبو بكر وعمر : رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم لم يكن ليخلفكم . وقال الناس : إن ---

---

(١) أبو قتادة الأنصاري هو الحارث ويقال عمرو أو النعمان بن ربعي بن بلدمة بضم الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة السلمي بفتحتين المدني شهد أحدا ومابعدها مات سنة أربع وخمسين .
الاستيعاب ٤/ ١٦١ ، الاصابة ٤/ ١٥٧ ، التقريب ٢/ ٤٦٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم ، فان يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا . . الحديث (١)

قال النووي في قوله صلى الله عليه وسلم : "ماترون الناس صنعوا ؟" معنى هذا الكلام ماتظنون الناس يقولون فينا ؟ فسكت القوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما أبو بكر وعمر فيقولان للناس : ان النبي صلى الله عليه وسلم وراءكم ، ولا تطيب نفسه أن يخلفكم وراءه ، ويتقدم بين أيديكم ، فينبغي لكم ان تنتظروه حتى يلحقكم ، وقال باقي الناس : انه سيقدم فالحقوه . فان أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا ، فانهما على الصواب" (٢)

وفي هذا الحديث عظيم منقبة للصاحبين الجليلين ، شيخي الاسلام ، ودليل على رجحان عقليهما ، وسداد رأيهما ، وأن من يطيعهما يرشد ولا يعرض نفسه للهلاك . وكأنه بقوله صلى الله عليه وسلم" فان يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا في كل شيء يجد لهم ولا يحملون حكمه ، أو تخريجه ولم يكن للشارع الحكيم نص فيه ، فان أطاعوا الشيخين فيما يخبران أو يحكمان به يرشدوا ويهتدوا .

---

(١) أخرجه الامام مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الفائته ١/ ٤٧٢ نسوي ٥/ ١٨٣ ، أبو داود ١/ ١١٦ ، الدارمي ١/ ١٢٢ ، ابن خزيمة ١/ ٢١٥ ، - الدارقطني ١/ ٣٨٦ ، مسند أحمد ٥/ ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، أبو عوانه في المسند ٢/ ٢٨١ ، ٣٧١ ، البيهقي ٢/ ١١٦ ، - ٢١٦ .

غزوة سرية ذات السلاسل (١)

قال ابن سعد رحمه الله في الطبقات (٢) وكانت - أى الغزوة - في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة وهو الذى أيده ابن حجر في الفتح . (٣)

روى البخارى رحمه الله عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أى الناس أحبّ اليك ؟ قال عائشة. فقلت : من الرجال ؟ قال : أبوها . قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعدّ رجالا " وفي رواية أخرى قال : "فسكت مخافة ان يجلعنى في آخرهم " . (٤)

وذكر ابن كثير مارواه البيهقى في سبب سؤال عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحبّ الناس اليه ، فأخرج عن أبى عثمان النهدى ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسى أنه لم يبعثنى على أبى بكر وعمر إلّا لمنزلة لى عنده قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه ، فقلت : يارسول الله ، من أحب الناس إليك ؟ قال عائشة . قلت : انى لست أسألك عن أهلك . قال : فأبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : - عمر ، قلت : ثم من ؟ حتى عدد رهطا قال : فلتفي نفسى : لا أعود أسأل عن هذا . " (٥)

---

(١) السلاسل : بلفظ جمع السلسلة : ماء بأرض جذام ، وبذلك سميت غزاة ذات السلاسل . معجم البلدان ٣/٢٣٣ .

(٢) الطبقات لابن سعد ٢/١٣١ .

(٣) فتح الباري ٨/٧٤ .

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب لو كنت متخذا - ٤/٢٤٩ فتح ٧/١٨ ، كتاب المغازى باب غزوة ذات السلاسل ٥/١١٣ فتح ٨/٧٤ مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبى بكر ٤/١٨٥٦ ، النسائى في الكبرى (كما في تحفة الأشراف ٨/١٥٧) ، الترمذى ٥/٧٠٦ تحفة الأحوذى ١٠/٣٨٢ من طريقين ، ابن ماجه ١/٤٨ المسند ٤/٢٠٣ ، ابن أبى عاصم في السنة ٢/٥٧٧ ، ٥٧٨ ، الحاكم ٤/١٢ ، وعن أنس أيضا الحاكم ٤/١٢ وأخرجه عبد بن حميد في منتخب مسنده (ل ٤٤ب) .

(٥) سيرة ابن كثير ٣/٥٢٠ وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/٣٦ سبب ذلك عن ابن سعد ، وعن البيهقى ٨/٧٥ .

قال النووى : " هذا تصريح بعظيم فضائل أبى بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبى بكر ثم عمر على جميع الصحابة " (١)

قلت : وهذا الحديث يظهر مزية أبى بكر رضي الله عنه على الرجال كما يظهر مزية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على النساء ، وفيه منقبة أيضا لعمرو بن العاص - رضي الله عنه حيث أمره على جيش فيه أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لا يقتضى تفضيله عليهم لأنه يجوز تأمير المفضول على الفاضل ، إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وهذا ماكان من شأن عمرو بن العاص رضي الله عنه . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله " روى اسحق بن راهويه والحاكم من حديث بريدة أن عمرو بن العاص أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا ، فأنكر ذلك عمر ، فقال له أبو بكر : دعه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب ، فسكت عنه . " وقال الحافظ : فهذا السبب أصح اسنادا من الذى ذكره ابن اسحق (٢) قلت : وهو أن أم عمرو بن العاص - كانت من بلىّ فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمرا يستنفر الناس الى الاسلام ويستألفهم بذلك . (٣) وقال الحافظ : "لكن لا يمنع الجمع" . (٤) قلت : وذلك بأن النبى - صلى الله عليه وسلم بعث عمرو لقرابته منهم ، فهو ابن بنتهم ، وكذلك لعلمه بالحرب وادارتها وفنونها .

قال الرافضي : " وأيضا لم يول النبى صلى الله عليه وسلم وآله أبا بكر البتة عملا في وقته بل ولىّ عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى " (٥)

---

(١) النووى على مسلم ١٥/١٥٣ - ١٥٤ .
(٢) فتح البارى ٨/٧٥ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٦٢٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير عنه ٣/٥١٦ ، والفتح ٨/٧٥ .
(٤) فتح البارى ٨/٧٥ .
(٥) منهاج الكرامة ص ١٣٤ ، منهاج السنة ٣/١٢٢ .

هكذا اتخذ الشيعة من تولية عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل مطعنا - في الصديق رضي الله عنه ، ودليلا على أحقية على بالإمامة ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل الصديق تحت أمره عمرو ولكن أرسله في جيش أبي عبيدة بن الجراح مددا لعمرو رضي الله عنهم ، فلما تنازل أبو عبيدة لعمرو رضي الله عنهما أصبح المدد - كله بما فيه الصديق وعمر تحت أمره عمرو رضي الله عنهم جميعا ، وهذا لا يشينه بل يرفع من قدره ، حيث التزم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطاع قائده ، بل هو الذى أشار عليه ذلك لأنه أصلح للأمر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ردا على الرافضي : " هذا من أبين الكذب فلقد تواتر عند أهل الحديث والتفسير والمغازى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، وهو أول حج في الاسلام من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان هذا من خصائص أبي بكر ، كما أن استخلافه على الصلاة من خصائصه ، وكان علي رضي الله عنه من رعيته في هذه الحجة ، فإن لحقه فقال : أمير أم مأمور ؟ فقال علي : بل مأمور ، وكان يصلى خلف أبي بكر ، ويأتم لأمره ، وينادى بأمره في الناس . ولم يول النبى صلى الله عليه وسلم على أبي بكر لا أسامة بن زيد ولا عمرو بن العاص ، فأما تأمير أسامة فهو من الكذب الصريح .

وأما قصة عمرو بن العاص رضي الله عنه ، فان النبى صلى الله عليه وسلم أرسله في سرية ذات السلاسل وكانت الى بنى عذره أخوال عمرو رضي الله عنه ، فأمره ليكون ذلك سببا لتأليف قلوبهم ، ورجاء أن يطيعوه ويسلموا ، ثم أردفه بجيش إبي عبيدة وفيه الشيخان وأوصاه أن يتطاوعا ولا يختلفا ، فلما وصل جيش أبي عبيدة نازعه عمرو وأخذ منه قيادة الجيش كله فأراد عمر بن الخطاب أن ينازعه في ذلك فأشار عليه أبو بكر : لا تفعل ورأى أبو بكر أن ذلك أصلح للأمر ، فكانوا يصلون خلف عمرو مع علمهم أن هؤلاء خير من عمرو ولعلمهم بجواز تولية المفضول لمصلحة راجحة .

والنبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على أبي بكر أحدا في شئ من الأمور ، بل قد علم بالنقل العام المتواتر ، أنه لم يكن أحد عنده أقرب إليه ولا أخص به ، ولا أكثر اجتماعا به

ليلا ونهارا ، سرا وعلانية من أبي بكر ، ولا كان أحد من الصحابة يتكلم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قبله ، فيأمر وينهى ويخطب ويفتي ، ويقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، راضيا بما يفعل ، ولم يكن ذلك تقدما بين يديه ، بل بإذن منه صلى الله عليه وسلم قد علمه ، وكان ذلك معونة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتبليغا عنه وتنفيذا لأمره ، لأنه كان أعلمهم بالرسول وأحبهم اليه وأتبعهم له . " (١)

روى الامام الترمذي رحمه الله حديثا يفيد أن أبا بكر رضي الله عنه ، كان أحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، قال : حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي (٢) أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم (٣) عن الجريري عن عبد الله بن شقيق (٤) قال : قلت لعائشة أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ، قلت: ثم من ؟ قالت : ثم أبو عبيدة بن الجراح ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : فسكتت . (٥) هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ١٢٢ .

(٢) أحمد بن ابراهيم بن كثير بن زيد الدورقي بفتح الدال والراء ، نسبة الى دورق بلد بخوزستان على الأصح ، النكري - بضم النون - البغدادي - ثقة حافظ من العاشرة مات سنة ست وأربعين ومائتين . التاريخ الكبير ٢/ ٦ ، الجرح ٢/ ٣٩ ، اللباب - ١/ ٥١٢ ، التذكرة ٢/ ٥٠٥ ، التهذيب ١/ ١٠ ، التقريب ١/ ٩ .

(٣) اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم بكسر الميم وفتح السين ، الأسدي مولاهم ، أبو بشر البصري ، المعروف بابن عليّة بضم العين وفتح اللام ، ثقة حافظ ثبت من الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين ومائة .
التاريخ الكبير ١/ ٣٤٢ ، الجرح ٢/ ١٥٣ ، التذكرة ١/ ٣٢٢ ، الميزان ١/ ٢١٦ التهذيب ١/ ٢٧٥ ، التقريب ١/ ٦٥ .

(٤) عبد الله بن شقيق العقيلي أبو عبد الرحمن البصري تابعي ثقة ، مات سنة ثمان ومائة ابن سعد ٧/ ١٢٦ . التاريخ الكبير ٥/ ١٦٦ ، الجرح ٥/ ٨٠ ، الميزان ٢/ ٤٣٩ التهذيب ٥/ ٢٥٣ ، التقريب ١/ ٤٢٢ .

(٥) الحديث اسناده صحيح ان شاء الله ، أخرجه الترمذي ٥/ ٦٠٧ ،تحفة الأحوذي ١٠/ ٢٦٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ١/ ٤٨ من المقدمة ، السنة - لابن أبي عاصم ٢/ ٥٧٨ ، مسند أحمد ٦/ ٢٤١ بدون ذكر أبي عبيدة ، وأخرجه أبو يعلى باسناد صحيح عن الاصابة ٢/ ٢٥٣ ، ومثله عن أنس عند ابن ماجه ١/ ٤٨ ، - وابن سعد ٢/ ٣٤٧ عن محمد بن كعب ، وعن أبي عون والحسن مرسلا .

قلت : وأخرج الامام أحمد رحمه الله في المسند حديثا قال : حدثنا أبو نعيم ، ثنا يونس ، ثنا الميزار بن حريث (١) قال : قال النعمان بن بشير (١) : قال : - استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول : والله لقد عرفت أن عليا أحب اليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثا ، فاستأذن - أبو بكر ، فدخل ، فأهوى إليها ، فقال : يابنت فلانة ألا أسمعك ترفعين صوتك على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) وفي رواية أخرى له نحوها وزيادة : قال - فحال النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينها ، قال : فلما خرج أبو بكر ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها " يترضاها : ألا ترين أني حلت بين الرجل وبينك ؟ قال أبو عبد الرحمن : (٤) أحسبه قال : ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضاحكها قال : فأذن له فدخل ، فقال أبو بكر : يارسول الله ، أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما " (٥)

---

(١) الميزار - بفتح أوله وسكون التحتانية بعدها زاي وآخرها راء - ابن حريث العبدي الكوفي ثقة ، مات سنة عشر ومائة . ابن سعد ٣٠٧/٦ ، التاريخ الكبير ٧٩/٧ ، الجرح ٣٦/٧ ، الكاشف ٣٦٥/٢ ، التهذيب ٢٠٣/٨ ، التقريب ٩٦/٢ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك أبو عبد الله ويقال أبو محمد الأنصاري الخزرجي صحابي جليل رضي الله عنه ولد بعد الهجرة وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبشر أمه بأنه يعيش حميدا ويقتل شهيدا - ويدخل الجنة ، وأول من بايع من الأنصار يوم السقيفة .
الاستيعاب أسد الغابة ٢٢/٥ ، الاصابة ، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ص ١٢٢ ، قضاة دمشق ص ٣ ، الرياض المستطابة ص ٢٦٩ ، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ص ١٥٥ ، جمهرة انساب العرب ص ٣٦٤ مشاهير علماء الأمصار ص ٥١ ، التقريب ٣٠٣/٢ .

(٣) الحديث اسناده حسن ، وأخرجه أحمد في المسند ٢٧٥/٤ وانظرها ش رقم (٤)

(٤) قوله : قال أبو عبد الرحمن يعني عبد الله بن الامام أحمد .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٧١/٤ من طريق وكيع قثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الميزار ، وأخرجه أبو داود ٣٠٠/٤ ، عون المعبود ٣٤٣/١٣ من طريق يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن يونس به ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الاشراف ٢٨/٩ بمثل الطريق الأول ، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٤٦/٦ ، وفي جامع المسانيد والسنن ، (مرويات النعمان ل ٨) وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٣ من طريق أبي نعيم . وابن سعد في الطبقات ٨١/٨ عن الواقدي، الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٣ من طريق أبي نعيم وابن سعد في الطبقات ٨١/٨ عن الواقدي .

وهذه الأحاديث الثلاثة - حديث عمرو ، وعائشة ، والنعمان رضي الله عنهم - تبدو في الظاهر متعارضة ، وحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، أما حديث عائشة رضي الله عنها فهو حسب ظنها وماتوصلت اليه من عشرتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما حديث النعمان فهو من اقراره صلى الله عليه وسلم . ويمكن الجمع بين الروايات باختلاف جهة المحبة ، فحب الزوجة يختلف عن حب القريب ، وكذلك حب الأبناء والبنات يختلف عن حب الأصدقاء والأصحاب ، فيكون في حق أبي بكر على عمومه بخلاف علي رضي الله عنهما .

قال المباركفوري رحمه الله في تحفته : " واعلم أن المحبة تختلف بالأسباب والأشخاص فقد يكون للجزئية ، وقد يكون بسبب الاحسان ، وقد يكون بسبب الحسن والجمال وأسباب أخر لا يمكن تفصيلها ، ومحبته صلى الله عليه وسلم لفاطمة بسبب الجزئية والزهد والعبادة ومحبته لعائشة بسبب الزوجية والتفقه في الدين ، ومحبة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بسبب - القدم في الاسلام واعلاء الدين ووفور العلم ، فان الشيخين لا يخفى حالهما لأحد من الناس ، وأما أبو عبيدة فقد فتح الله تعالى على يديه فتوحات كثيرة في خلافة الشيخين - وسماه صلى الله عليه وسلم أمين هذه الأمة .

والمراد في هذا الحديث محبته عليه السلام لهذا السبب ، فلا يضر ماجاء في الأحاديث الأخر شدة محبته صلى الله عليه وسلم لعائشة وفاطمة رضي الله عنها ، لأن تلك المحبة بسبب آخر . " (١)

قال العقاد رحمه الله في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه : " وهذه حقيقة لو لم يؤيدها لسان المقال لأيدها مايسمونه لسان الحال ، فان أبا بكر كان ألزم الناس للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بسره وجهره وأقربهم الى ثقته وحسن رأيه ، وكان النبي عليه السلام يسمر عنده في شؤون المسلمين ويركن الى مشورته في كثير من الأحايين ، واذا بلغ من شأن رجل أن يكون أحب الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو أهل لحبه وأهل لثقته لا مراء ، لأن هذا الحب في النفوس العظيمة ، قرين الثقة والتقدير لا يخلو منهما ، ولا ينفصل عنهما ، فمن استحق منها الحب الراجح فقد استحق عندها الثقة الراجحة في آن .

---

(١) تحفة الأحوذي ١٤١/١٠.

فلم يكن حب النبى -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر -رضي الله عنه- حب الرجل يجرى به من يحبه ، ويخلص له ويليه الجميل من ذات نفسه وماله ثم لا مزيد ، ولكنه كان كذلك حب الرجل من يستحق منه الحب لفضيلته ، وكفايته واقتداره على معونته فيما تجرد له من عمل عظيم لا يضطلع به كل معين . " (١)

قلت: ولقد مر بنا قول خولة بنت حكيم رضي الله عنها عندما أشارت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخطب له عائشة فقالت له : "بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر . " (٢) فاذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم أعرف الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون أن الصديق رضي الله عنه أحب خلق الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يجوز للشيعة والروافض أن يقولوا : "ولم يول النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر البتة عملا في وقته ، بل ولى عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى " (٣) أى يستدلون بهذا على أن عمرا أفضل من الصديق رضي الله عنهما . وقد رأينا آنفا جواب النبى صلى الله عليه وسلم لعمرو رضي الله عنه عندما حدثته نفسه أنه مابعثه على الجيش الذى فيه الصديق وعمر الا لمنزلة له عنده صلى الله عليه وسلم - أى أنه يحبه أكثر منهما أو انه أفضل منهما - فدل بذلك على أن تأمير عمرو على الجيش الذى فيه العمرين ليس كماتوهمته الرافضة بل لخبرته في الحروب ، وليتألف من أرسل اليهم .

قال ابن اسحق : "أخبرنى يزيد (٤) بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى (٥) ، قال كنت في الغزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) عبقرية الصديق ص ١٧٤ - ١٧٥ (٢) المسند ٦/ ٢١٠ وانظر الحكم عليه وتخريجه ص
(٣) منهاج الكرامة ص١٣٤ ، وعنه منهاج السنة ٣/ ١٢٢ .
(٤) يزيد بن أبى حبيب - واسم أبى حبيب سويد الأزدى - أبو رجاء المصرى تابعى ثقة متفق عليه مات سنة ثمان وعشرين ومائه . ابن سعد ٧/ ٥١٣ ، الجرح ٩/ ٢٦٧ ، ثقات العجلى (ل ٦٠ ب) التهذيب ١١/ ٣١٨ .
(٥) عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى ، يكنى أبا عبد الرحمن ، ويقال أبو حماد - وقيل أبو عمرو صحابى مشهور أول مشاهده خيبر ، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح مات سنة ثلاث وسبعين . الاستيعاب ٣/ ١٣١ . أسد الغابة ٤/ ٣١٢ ، الاصابة - ٣/ ٤٣ ، التقريب ٢/ ٦٠ .

عمرو بن العاص الى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعضوها (١) ، قال : وكنت امرأ - لهقا جازرا ، قال : فقلت : أتعطونى منها عشيرا (٢) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم ، قال : فأخذت الشفرتين فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءا ، فحملته الى أصحابى ، فاطبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : أنى لك هذا اللحم ياعوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ماأحسنت حين أطعمتنا هذا ثم قاما يتقيآن مافي بطونهما من ذلك .

قال : فلما ثقل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى في بيته ، قال : فقلت : السلام عليك يارسول - الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت : نعم . بأبى أنت وأمى قال : أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا . " (٣)

لكن وصله الحافظ البيهقي حيث قال : وقد رواه ابن لهيعه (٤) ، وسعيد بن أبى أيوب (٥) عن يزيد بن أبى حبيب ، عن ربيعة بن لقيط (٦) عن مالك بن

---

(١) يعضوها : من عضا ، عضيت الشئ اذا فرقته وجعلته أعضاء . النهاية ٣/ ٢٥٥ .
(٢) عشيرا : هو العشر كنصيب . النهاية ٣/ ٢٤٠ .
(٣) الحديث معضل فهو ضعيف . قال ابن كثير في السيرة ٣/ ٥٢٠ : هكذا رواه - محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . لكنه جاء موصولا من رواية البيهقي فهو حسن لغيره . ابن هشام ٢/ ٦٢٥ .
(٤) هو عبد الله بن لهيعة ، اختلفوا فيه وحاصل كلامهم أنه قد اختلط بعد احتراق كتبه سنة سبعين ومائة ضعفه النسائى ويحيى بن سعيد . مات سنة أربع وسبعين ومائه الضعفاء والمتروكون للنسائى ص ٦٥ ، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبى ص ١٧٥ ، الميزان ٢/ ٤٧٥ ، التهذيب ٥/ ٣٧٣ ، التقريب ١/ ٤٤٤ .
(٥) سعيد بن أبى أيوب مقلاس الخزاعى أبو يحيي المصرى ، ثقة ثبت ، مات سنة أحدى وستين ومائة على خلاف . الكاشف ١/ ٣٥٦ ، التقريب ١/ ٢٩٦ .
(٦) ربيعة بن لقيط بن حارثة بن عميرة التجيبى ، تابعى ثقة ، سكن مصر وحدث بها . التاريخ الكبير ٣/ ٢٨٣ ، ترتيب ثقات العجلى (ل ١٧ ب) ، تعجيل المنفعة ص ١٢٨ .

هدم (١) ، أظنه عن عوف بن مالك ، فذكر نحوه إلا أنه قال : "فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال : " قد تعجلت أجرك ولم يأكله " (٢) ولم يذكر فيه أبا بكر .

قلت : وهذا الحديث يدل على ورع العمرين رضي الله عنهما وتقواهما ، لأنهما لم يقبلا أن يبقى في معدتهما طعام لم يذكر اسم الله عليه ، مع العلم أنها ذبيحة مشرك .

وهذه لم تكن الحادثة الوحيدة التي يخرج الصديق رضي الله عنه مافي بطنه لأجل حرفة الطعام ، حتى بلغ من حرصه أن يسأل غلامه من أين جاءه بالطعام ، اتقاء للشبهات وتحريا للحلال . روى البخاري رحمه الله عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج (٣) ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدري ماهذا؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وماأحسن الكهانة الا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك . فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه . (٤)

---

(١) مالك بن هدم ـ بكسر الهاء وسكون الدال المهملة ـ هكذا ضبطها ابن ماكولا ـ لكن عند البخاري "هرم" بالراء بدلا من الدال ، وذكره البيهقي باسم مالك بن زهدم ، كما ذكره ابن كثير في السيرة ٣/ ٥٢٠ ثقة روى عن عمر بن الخطاب وعوف بن مالك وشهد فتح مصر ، روى عنه ربيعه بن لقيط . التاريخ الكبير ٧/ ٣٠٧ ، ـ ترتيب ثقات العجلي (ل ٥١ب) ابن ماكولا في الاكمال ٧/ ٤٠٦ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٢٠ .

(٣) الخراج : أي يأتيه بما يكسبه . الفتح ٧/ ١٥٤ . والخراج مايقرره السيد على ـ عبده من مال يحضره له من كسبه .

(٤) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ٤/ ٢٣٦ ، فتح ٧/ ١٤٩ ، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة رقم ٦٦٥ وذكر نحوه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣١ ـ وفيه ان الصديق قال : "لو لم تخرج ـ أي اللقمة ـ الا مع نفسي لأخرجتها ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به" ، صفة الصفوة ١/ ٢٥٠ وقال الأستاذ محمد رواس قلعة جي : "الحديث" أخرجه عن أبي بكر الطبراني في الكبير .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " ووقع لأبي بكر مع النعيمان بن عمرو أحد الأحرار من الصحابة قصة ذكرها عبد الرزاق باسناد صحيح : " أنهم نزلوا بماء فجعل النعيمان يقول لهم : يكون كذا ، فيأتونه بالطعام فيرسله إلى أصحابه فبلغ أبا بكر فقال : أراني آكل كهانة النعيمان منذ اليوم ، ثم أدخل يده في حلقه فاستقاء "

وفي الورع لأحمد عن ابن سيرين : "لم أطعم أحدا استقاء من طعام غير أبي بكر فانه أتي بطعام فأكل ثم قيل له جاء به النعيمان ، قال فأطعمتموني كهانة ابن النعيمان ثم استقاء " ورجاله ثقات لكنه مرسل .

ولأبي بكر قصة أخرى نحو هذا أخرجها يعقوب بن أبي شيبة في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا ننزل رفاقا ، فنزلت في رفقة فيها أبو بكر على أهل أبيات فيهن امرأة حبلى ، ومعنا رجل ، فقال لها : أبشرك (١) أن تلدي ذكرا ؟ قالت : نعم ، فسجع لها أسجاعا ، فأعطته شاة فذبحها وجلسنا نأكل ، فلما علم أبو بكر - بالقصة قام فتقايأ كل شيء أكله . " (٢)

قال ابن حجر : " قال بن التين : انما استقاء أبو بكر تنزها لأن أمر الجاهلية وضع ولو كان في الاسلام لغرم مثل ما أكل أو قيمته ، ولم يكفه القيء ، كذا قال . والذي - يظهر أن أبا بكر انما قاء لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن ، وحلوان الكاهن : ما يأخذه على كهانته ، والكاهن : من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعي . وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصا قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) هكذا ، والأولى . أيسرك بمثناة تحتانية وسين مهملة كما هي عند الامام أحمد ٣/ ٥١ .
(٢) فتح الباري ٧/ ١٥٤ ورواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواها أيضا الامام - أحمد في المسند بسند صحيح ٣/ ٥١ ، وفي الفضائل له ١٢٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٦٢ ثم قال : رواه أحمد ورجاله ثقات .
(٣) فتح الباري ٧/ ١٥٤ .

هذه هي سنة الصديق رضي الله عنه في التعامل مع كل شيء حتى مع أخصها له ، يعرضها على الشرع ، فما وافق الشرع استطابه ، والا رده ولو خرجت روحه معه فهو يكره أن يدخل بطنه إلا طيبا .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يألفون أبا بكر لعلمه ، وحسن عشرته ومعاملته ، حتى إذا أراد أحدهم أن يختار لنفسه صاحبا ، فأول مايتبادر لذهنه الصديق ، لسبقه للاسلام ، وحسن بلائه وليتعلم منه ، وينتفع بحسن مصاحبته .

قال ابن هشام رحمه الله : " وكان من الحديث في هذه الغزوة - ذات السلاسل أن رافع بن أبي رافع وهو رافع بن عميرة (١) كان يحدث فيما بلغني عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانيا ، وسميت سرجس ... فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل . قال : فقلت والله لأختارن لنفسي صاحبا ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه في رحلة (٢) قال : وكانت عليه عباءة له مذكية (٣) فكان اذا نزلنا بسطها ، واذا ركبنا لبسها ، - ثم شكها (٤) عليه بخلال له ، قال : وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟ قال : فلما دنوا من المدينة قافلين ، قال : قلت: يا أبا بكر ، انما صحبتك لينفعني الله بك ، فانصحني وعلمني ، قال : لو لم تسألني ذلك لفعلت .

---

(١) رافع بن عميرة وقيل عمرو بن أبي رافع الطائي يكنى أبا الحسن ، وكان دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق الى الشام ، وقالت طيئ : هو الذي كلمه الذئب ودعاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان لصا في الجاهلية شهد غزوة ذات السلاسل وصحب أبا بكر فيها وخبره مشهور . توفي سنة ثلاث وعشرين قبل عمر أسد الغابة ٢/ ١٩٦ .

(٢) الرحل : المكان الذي ينزلون فيه برواحلهم . النهاية ٢/ ٢٠٩ نحوه .

(٣) فدكيه : نسبة الى فدك وهي قرية تبعد عن المدينه مسيرة يومين أو ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله صلحا . معجم البلدان ٤/ ٢٣٨ .

(٤) شكها : الشك : الاتصال واللصوق أي جمعها ولفها عليه ونظمها بشوكه أو خلال . النهاية ٢/ ٤٦٥ .

قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكـــاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل مـــن المسلمين أبدا .

قال : قلت : ياأبا بكر أما أنا والله فانى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبـــــدا وأما الصلاة فلن أتركها أبدا ان شاء الله ، وأما الزكاة فان يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبدا ان شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شـــاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الامارة فانى رأيت الناس ياأبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟

قال : إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك :-

ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليـــه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عوّاذ الله وجيرانه ، وفي ذمته فإياك لا تخفر الله في جيرانه ، فيبعث الله في خفرته ، فإن أحدكم يخفر في جاره ، - فيظل ناتئا غضبه غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره . قال ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له ياأبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا - أجد من ذلك بدا ، خشيت على أمة محمد الفتنة . (٣)

---

(١) تخفر : من خفرت الرجل أى حفظته وأجرته ، وأخفر : اذا نقض العهد . النهاية ٢/٥٢ .

(٢) الحضلة : كل لحمة صلبة مكتنزة . النهاية ٣/٢٥٣ ويفسرها مابعدها .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٦٢٤ وقال ابن الأثير الجزرى في أسد الغابة ٢/١٩٧ ، شهد غزوة ذات السلاسل وصحب أبا بكر فيها وخبره مشهور .

غزوة الفتح * وموقف الصديق رضي الله عنه

لقد كان الصديق رضي الله عنه الرجل الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ماكان يعرفه الأعداء قبل الأصدقاء ، ولقد مر بنا في غزوة بدر الكبرى ان الصديق رضي الله عنه كان ثانى اثنين في العريش حيث كانا يستهلان النصر من عند الله ، كما مر بنا نداء أبى سفيان رضي الله عنه واستفساره عن محمد صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضي الله عنهما :-

" وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن أبى قحافة ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ..." (١)

وها نحن أيضا نرى في هذه الغزوة مايؤكد الذى ذهبنا إليه ، فعندما علم أبو سفيان رضي الله عنه بما قام به بعض القرشيين من مساعدة بنى بكر على خزاعة ، أيقن بأن هذا عملا غادرا ، وناكثا لما تم عليه الصلح في الحديبية ، ويكفى لأن يجعل محمدا صلى الله عليه وسلم في حل من ذلك العهد الموثوق بينهم ، فخرج أبو سفيان رضي الله عنه ليشد في العقد ، ويزيد في المدة .

فدخل أبو سفيان رضي الله عنه على ابنته أم حبيبة فلم يجد عندها من الاقدام ـ مايجده الوالد عند ابنته فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ، "فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

* وسببها أن قريشا تمالأت مع بنى بكر ـ الذين دخلوا في حلفها يوم الحديبية ـ على خزاعة ـ الذين دخلوا في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فأعانت بنى بكر بالسلاح والرجال ـ في قتالها لخزاعة حتى ألجؤوهم الى الحرم ، وقتلوهم فيه ولم يرعووا لله ذمة ، فوصل الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال صلى الله عليه وسلم : "نصرت ياعمرو بن سالم" وهو الذى استنجده .

(١) انظر غزوة أحد والحديث رواه البخارى في كتاب المغازى باب غزوة أحد فتح ٧/٣٤٩ .

" وأتى أبا بكر فقال : جدد العقد وزدنا في المدة . فقال أبو بكر : " جوارى في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب : ماكان من حلفنا جديدا فأخلقه الله ، وماكان منه مثبتا فقطعه الله ، وماكان منه مقطوعا فلا وصله الله ، فقال له أبو سفيان : جزيت من ذى رحم شرا . ثم دخل على عثمان فكلمه .... الحديث " (١)

فما ذهب أبو سفيان رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عمر وعثمان وعلي إلا لعلمه أنه الرجل الثانى في الاسلام ، ومكانته عند رسول الله وعند المسلمين قبل غيره .

---

(١) ذكره موسى بن عقبه في مغازيه كما في سيرة ابن كثير ٣/٥٣٣ ، وقوله رضي الله عنه : " والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم " هناك مايشبهه في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " فوالله لو لم أجد لكم الا الذر لجاهدتكم به " كما هو عند ابن هشام ٢/٣٩٦ .

اسلام أبي قحافة رضي الله عنه

قال ابن اسحق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (١) ، عن أبيه (٢) ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى (٣) قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده : أي بنية ، اظهري بي على أبي قبيس (٤) ، قالت وقد كف بصره : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنية ، ماذا ترين قالت : أرى سوادا مجتمعا ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك مقبلا ومدبرا ، قال : أي بنية ، ذلك الوازع ، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل الى بيته قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورق ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ قال أبو بكر : يارسول الله ، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت .

قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، - قالت : فدخل به أبو بكر ، وكأن رأسه ثغامة (٥) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والاسلام طوق أخي فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أي أخيه ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل . " (٦)

---

(١) يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام المدني ، ثقة ، من الخامسة ، مات بعد المائة . التقريب ٢/ ٣٥٠ .

(٢) عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، كان قاضي مكة زمن أبيه ، وخليفته اذا حج ثقة من الثالثة . التقريب ١/ ٣٩٢ .

(٣) ذي طوى : بفتح أوله ، مقصورمنون ، على وزن فعل : واد بمكة معجم مااستعجم ٣/ ٨٩٦

(٤) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . معجم البلدان ٤/ ٣٠٨ .

(٥) ثغامة : الثغام : نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب ، وقيل هي شجرة تبيض كأنها الثلج . النهاية ١/ ٢١٤ .

(٦) الحديث اسناده صحيح . رواه ابن اسحاق في السيرة كما في ابن هشام ٢/ ٤٠٥ ، والرياض النضرة ١/ ٦٢ وعزاه الى صاحب الفضائل وقال حديث حسن .

وفي رواية أخرى أن أبا بكر رضي الله عنه قال : أما والذى بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحا باسلام أبى طالب منى باسلامه ، أبتغى بذلك قرة عينك ، قال : - صدقت . (١)

قلت : وهكذا لم يجتمع لأحد من الصحابة رضي الله عنهم مثل ما اجتمع لأبى بكر حيث قد أكرمه الله فأسلم والداه وأولاده حتى اجتمع الوالد والولد والابن والحفيد ونالوا جميعا فضل الصحبة ، ولم يكن هذا لأى صحابى مهاجرى غير أبى بكر رضي الله عنه وعن كل الصحابة أجمعين .

وعن علي رضي الله عنه قال في أبى بكر رضي الله عنه : " أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره . " (٢)

وذكر ابن كثير في سيرته رواية عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هنأ أبا بكر باسلام أبيه . (٣)

---

(١) الرياض النضرة ١/ ٦٢ .

(٢) الرياض النضرة ١/ ٦٤ وعزاه للواحدى .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٥٨ .

غـــزوة حنين (١) ومواقف الصديق فيهـــــا

كانت غزوة حنين من أشد الغزوات ضراوة ، حيث اجتمع فيها من عُدد وعـــدد الجيوش مالم يجتمع في أى غزوة أخرى ، وقد غرّ المسلمين بعددهم حتى قالوا : لـــن نغلب اليوم عن مكة كما نص الله ذلك في كتابه العزيز فقال جل من قائل : "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت - عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب اللـــه - من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم . " (٢)

والآيات الكريمة تشير الى أن الأمر كان جد خطير حيث قد كانت الغلبة في أول - المعركة للكفار ، وضاقت على المسلمين الأرض بما رحبت ، وفر من فر ، وانهزم من انهزم ، وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلـــم وقال قولته المشهورة : أنا النبى لا كذب ، أنا بن عبد المطلب " وثبت معه ثلة من المهاجرين والأنصار وعلى رأسهم الصديق ، حتى أنزل الله سكينته عليهم وأنزل جنودا فثبت كفة المعركة لصالح المسلمين ، واجتلد الناس ، ومارجع الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مقيدين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة (٣) عن عبد الرحمن بن جابـر (٤)

---

(١) حنين : واد قبل الطائف قريب من مكة ، قيل بينه وبين مكه ثلاث ليال . معجـم البلدان ٢/ ٣١٣ ، وكانت الغزوة في شوال سنة ثمان من الهجرة .

(٢) سورة التوبة آية ٢٥ - ٢٧ .

(٣) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد الأنصارى أبو عمر المدنى ، تابعى صغير ثقة عالم بالمغازى مات بعد العشرين ومائة على خلاف . الجرح ٦/ ٣٤٦ ، ثقات - العجلى (ل ٢٢٩) الكاشف ٢/ ٥١ ، التهذيب ٥/ ٥٣ .

(٤) عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله الأنصارى ، أبو عتيق المدنى ثقة لم يصب ابن سعد في تضعيفه ، ليس له في البخارى الا حديث واحد . ابن سعد ٥/ ٢٧٥ ، الجرح ٥/ ٢٢٠ ، ثقات ابن حبان ٥/ ٧٧ ، العجلى (ل ٣٦أ) هدى السارى ٢/ ١٨٢ ١٤٠ ، التهذيب ٦/ ١٥٢ ، التقريب ١/ ٤٧٥ .

عن أبيه جابر بن عبد الله (١) رضي الله عنهما قال : لما استقبلنا وادى حنين ، انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط (٢) انما فيه انحدارا ، قال : وفى عماية الصبح (٣) وكان القوم قد سبقونا الى الوادى ، فكمنوا (٤) لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين ، لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا الي ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال فلاشئ ، حملت الابل بعضها على بعض فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

وكان فيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث (٥) وابنه (٦) والفضل بن العباس (٧) وربيعه بن الحارث (٨) وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد (٩) ، ـ

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ـ بمهمله وراء ـ الأنصارى ثم السلمى بفتحتين ، صحابى ابن صحابى عقبى ، غزا تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة ، بعد السبعين وله ألف وخمسمائه وأربعون حديثا . الاستيعاب المحقق ١/ ٢١٩ ، أسد الغابة ـ ١/ ٣٠٧ الكاشف ١/ ٧٧ ، التقريب ١/ ١٢٢ .

(٢) أجوف حطوط : أجوف له جوف النهاية ١/ ٣١٦ ، حطوط : منحدر من حط الشئ اذا أنزله وألقاه ، النهاية ١/ ٤٠٢ .

(٣) عماية : بقية ظلمه الليل ٣/ ٣٠٥ .

(٤) كمنوا استتروا واختبأوا . النهاية ٤/ ٢٠١ ، المصباح المنير ٥٤١ .

(٥) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة وممن كان يؤذيه ، أسلم في الفتح وحسن اسلامه ومن الذين ثبتوا معه في حنين . الاستيعاب ٤/ ٨٣ ، الاصابة ٤/ ٩١ .

(٦) هو ابنه جعفر بن أبى سفيان بن الحارث وأمه جمانة بنت أبى طالب شهد حنينا مع النبى صلى الله عليه وسلم وبقى حتى أيام معاوية وتوفى أوسط أيامه . أسد الغابة ١/

(٧) الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر ولد العباس ، استشهد في خلافة عمر وكان ممن ثبت في حنين . الاستيعاب ٣/ ٢٠٢ ، الاصابة ٣/ ٢٠٣ ، التقريب ٢/ ١١٠ .

(٨) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمى ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، توفي سنة ثلاث وعشرين ـ بالمدينة في خلافة عمر . أسد الغابة ١/ ٢١٠ ، التقريب ١/ ٢٤٦ .

(٩) أيمن بن عبيد بن عمرو بن بلال وهو ابن أم أيمن حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسامة بن زيد لأمه استشهد يوم حنين أسد الغابة ١/ ١٨٢ .

قتل يومئذ . " (١)

فشجاعة الصديق وثباته في كل واقعة ، مستمدتان من إيمانه الراسخ ، ولم يكن صاحبه في الغار وصاحبه في العريش يوم أحد ليفر عنه يوم حنين ، لقد شهد له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأنه أشجع الناس ، فاذا كان كذلك ، لم يكن لأشجع الناس ليفر من موقف صمد فيه من هو أقل منه شجاعة .

وروى البخاري رحمه الله عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : "لما كان يوم حنين نظرت الى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين ، وآخر من المشركين يختله من ورائه - ليقتله ، فأسرعت الى الذي يختله (٢) فرفع يده ليضربني ، وأضرب يده فقطعتها ثم أخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ، ثم برك فتحلل ، ودفعته ثم قتلته ، - وانهزم المسلمون ، وانهزمت معهم ، فاذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له : ماشأن الناس ؟ فقال : أمر الله . ثم تراجع الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أقام بينة على قتيل قتله أسلبه ، فقمت لألتمس بينة علي قتيلي ، فلم أر أحدا يشهد لي ، فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه منه . فقال أبو بكر : كلا ، يعمد أصيبغ (٣) من قريش ، ويدع أسدا من

---

(١) الحديث صحيح حيث قد صرح ابن اسحاق بالتحديث من عاصم والحديث ذكره ابن اسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٢ ، سيرة ابن كثير ٣/ ٦١٨ ، والامام أحمد في المسند ٣/ ٣٧٦ ، وأبو يعلى في المسند (١/ل ١٠٧) وابن حبان - كما في الموارد ٤١٧ ، وذكره البخاري في التاريخ الصغير ١/ ٤ والبزار كما في كشف الأستار ٢/ ٣٥١ ، الطبري في تاريخه ٣/ ٧٤ .

(٢) يختله : أي يغتفله ويراوغه ليقتله . مشارق الأنوار ١/ ٢٣٠ .

(٣) أصيبغ : الأصبغ نوع من الطيور ضعيف ، أي يصفه بالضعف والعجز والهوان . - وقيل شبهه بالصبغاء وهو نبات ضعيف كالثمام . ويروى بالضاد المعجمة تصغير صبغ على غير قياس تحقيرا له . النهاية ٣/ ١٠ .

أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأداه - إلي ، فاشتريت منه خرافا (١) ، فكان أول مال تأثلته (٢) في الاسلام . " (٣)

وهذا الحديث يدل على فضيلة ظاهرة للصديق رضي الله عنه ، حيث لا يستطيع أحد من الصحابة أن يفتى بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم الا باذن منه ، أما الصديق فهو أحد القلائل الذين يفتون بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم اما لعلمه بأن الذى يفتى به سيرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما قد سمعه منه قبل .

---

(١) خرافا : جمع خريف وهى النخلة وفي رواية مخرفا بفتح الميم والراء وهو حائط النخل والبستان فيه الفاكهة . وقوله خرافا يعنى سماه باسم مايخترف من مشارق الأنوار ١/ ٢٣٣ بتصرف .

(٢) تأثلته : أثلة الشئ بضم الهمزة وسكون الثاء : أصله أى اتخذته أصلا . مشارق ١/

(٣) صحيح البخارى كتاب المغازى باب قول الله تعالى : ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ٥/ ١٠١ فتح ٣٦ ، ٥/ ١٠٠ فتح ٨/ ٣٤ ، كتاب البيوع باب بيع السلاح في الفتنة وغيرها ٣/ ١٦ مختصرا فتح ٤/ ٣٢٢ ، كتاب فرض الخمس باب من قتل قتيلا فله سلبه من غير أن يخمس ٤/ ٥٧ فتح ٦/ ٢٤٧ ، كتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك للخصم ٨/ ١١٣ فتح ١٣/ ١٥٨ ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتيل ٣/ ١٣٧٠ ، النووى - ١٢/ ٥٧ عبد الرزاق في المصنف ٥/ ٢٣٦ ، مسند الحميدى ١/ ٣٠٤ ، مسند أبى عوانه ٤/ ١١١ ، ١١٦ ، البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٣٠٩ ، ٩/ ٥٠ ابن الطلاع في أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٣٥٨ ، ابن الجارود في المنتقى ص ٣٦٠ الطحاوى في مشكل الآثار ٣/ ١٣٠ ، ١٣٣ ، مسند أحمد مختصرا ٥/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ ، أبو عبيد في الأموال ص ٣٩٣ ، الذهبى في سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٢٣ سعيد بن منصور ٣/ ٢٧٩/٢ والترمذى ٥/ ١٧٨ ، ابن ماجه ٢/ ٩٤٧ ، أبو داود ٣/ ١٦١ نصب الراية للزيلعى ٣/ ٤٢٩ ومالك في الموطأ ص ٣٠١ ، ابن أبى حاتم في علل الحديث ١/ ٣٠٩ كلهم عن أبى قتادة الأنصارى .

ورواه مسلم ٣/ ١٣٧٠ - ١٣٧٥ ، الطيالسى ١/ ٢٣٨ ، الامام أحمد في المسند ٤/ ٤٥ مسند الامام الشافعي ٢/ ١١٤ ، الطحاوى في مشكل الآثار ٤/ ١٣٩ ، ١٤٠ كلهم من حديث سلمة بن الأكوع .

وأخرجه أبو داود ٣/ ١٦١ ، ١٦٢ ، الدارمى ٢/ ٢٢٩ ، البيهقى في السنن ٦/ ٣٠٩ الهيثمى في موارد الظمآن ص ١٤٠٢ الحاكم في المستدرك ٢/ ١٣٠ ، من حديث - أنس . والطبرانى في المعجم الكبير ٧/ ٢٩٦ من حديث سمرة .

قال النووى رحمه الله : "وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبى بكر الصديق لافتائه بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم واستدلاله لذلك ، وتصديق النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "وقع في حديث أنس أن الذى خاطب النبى صلى الله عليه وسلم بذلك عمر . قال : وأخرجه أحمد وذكر القصة وقول عمر وقد أخرج مسلم وأبو داود بعض هذا الحديث ، لكن الراجح ان الذى قال ذلك أبو بكر كما رواه أبو قتادة ، وهو صاحب القصة ، فهو أتقن لما وقع فيها من غيره . قال : ويحتمل الجمع بأن يكون عمر أيضا قال ذلك تقوية لقول أبى بكر والله أعلم . (١)

قال العماد بن كثير رحمه الله معلقا على ذلك : "وقول عمر في هذا مستغرب ، والمشهور أن ذلك أبو بكر" (٢) وقال أيضا : فلعله قاله متابعة لأبى بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوى والله أعلم ." (٣)

والذى أميل اليه أن الشيخين اجتمعا واتفقا في رأيهما على ذلك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفهما اذا اجتمعا على رأى . والله أعلم .

---

(١) فتح البارى ٣/ ٤٠ بتصرف .
(٢) سيرة ابن كثير ٣/ ٦٢٠ .
(٣) سيرة ابن كثير ٣/ ٦٢٤ .

الصديق رضي الله عنه في غزوة الطائف

لما أكرم الله نبيه بنصره في حنين ودارت الدائرة على أعداء الله ، قدم فلّ ثقيف الطائف ، وأغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، واستعدوا للقتال ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة ويقال سبع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق رحمه الله : "وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو محاصر ثقيفا : ياأبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قعبة (١) مطوّة زبدا ، فنقرها ديك ، فهراق مافيها . فقال أبو بكر : ماأظن - أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وأنا لا أرى - ذلك . " (٢)

ففهم الصديق رضي الله عنه من الرؤيا مافهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على أن الصديق على درجة كبيرة من شفافية الروح ، ودقة الفهم والاستنباط هذا وقد اشتهر عن الصديق رضي الله عنه حسن تعبيره للرؤيا .

روى الامام البخاري رحمه الله أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني أريت الليلة في المنام ظلة (٣) تنطف (٤) السمن والعسل ، فأرى الناس يتكففون منها : فالمستكثر والمستقل ، واذا سبب واصل من الأرض الى السماء ، فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ، ثم وصل . فقال أبو بكر : يارسول الله بأبي أنت ، والله لتدعني فأعبرها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعبرها .

---

(١) القعبة : بفتح القاف وسكون العين المهملة بعدها موحدة مفتوحة بعدها هاء وهي القدح
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٤ .
(٣) ظلة بضم الظاء المعجمة أي سحابة لها ظل . فتح الباري ١٢/ ٤٣٤ .
(٤) تنطف : من نطف ينطف بالضم والكسر اذا قطر الماء قليلا قليلا . والنهاية ٥/ ٧٥ - الفتح ١٢/ ٤٣٤ .

قال : أما الظلة فالاسلام ، وأما الذى ينطف من العسل والسمن فالقرآن ، حلاوته تنطف ، فالمستكثر من القرآن والمستقل . وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض - فالحق الذى أنت عليه ، تأخذ به فيعليك الله ، ثم يأخذ به رجل فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل فينقطع ثم يوصل له فيعلو به . فأخبرنى يارسول الله - بأبى أنت - أصبت أم أخطأت ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : أصبت - بعضا وأخطأت بعضا ، قال : فو الله يارسول الله لتحدثنى بالذى أخطأت . قال : - لا تقسم . " (١)

وهذا الحديث يدل على ادلال الصديق رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى تعبيره الرؤيا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية الدارمي " وكان أعبر الناس للرؤيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قال ابن هبيرة : وفي السؤال من أبى بكر أولا وآخرا وجواب النبى صلى الله عليه وسلم دلالة على انبساط أبى بكر معه ، وادلاله عليه . " (٣)

---

(١) صحيح البخارى كتاب التعبير باب من لم ير الرؤيا لأول عابر اذا لم يصب - ٨٣/٨ فتح ٤٣١/١٢ ومسلم كتاب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا ١٧٧٧/٤ ، - أبو داود رقم ٤٦٣٢ ، ابن ماجه ١٢٨٩/٢ ، الدارمي ١٢٨/٢ ، مسند أحمد ٢٣٦/١ عن ابن عباس ، والترمذى ٥٤٢/٤ وفيه ابن عباس عن أبى هريرة فضائل الصحابة رقم ٥٦٠ ، وروى الديلمى في مسند الفردوس عن سمرة بن جندب قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أولى الرؤيا أبا بكر " كما في الفتح الكبير ٢٦١/١ ، وأدخله الألبانى في ضعيف الجامع الصغير ٣٨٥/١ ونسبه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ٣٤ الى الديلمى وابن عساكر ، وفضائل الصحابة لأحمد رقم ٦٢٣ .

(٢) سنن الدارمى ١٢٨/٢ .

(٣) فتح البارى ٤٣٧/١٢ .

الصديق رضي الله عنه مع وفد بني ثقيف

لما بدا لثقيف أن يدخلوا في دين الله ، حيث قد أسلمت العرب كلها وليس لثقيف بحربهم طاقة ، ائتمروا بينهم فأرسلوا وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق : " فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناه (١) ألفوا بها المغيرة بن شعبة (٢) يرعى في نوبته ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رعيتها نوبا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين ، وضبر (٣) - يشتد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام ، بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطا ، ويكتبوا من - رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم . فقال أبو بكر للمغيرة أقسمت عليك بالله لا تسبقني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدثه . ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى أصحابه ... الحديث " (٤)

قال ابن قيم الجوزية : " ومن الفقه في وفد ثقيف كمال محبة الصديق - رضي الله عنه - له وقصده التقرب اليه والتحبب بكل مايمكنه ، ولهذا ناشد المغيرة أن يدعه هو يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم وفد ثقيف ، ليكون هو الذي سرّه وفرحه . " (٥)

---

(١) قناة : واد بالمدينة ، قيل يأتي من الطائف . مراصد الاطلاع ٣/ ١١٢٥ .

(٢) المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتّب الثقفي ، صحابي مشهور ، أسلم قبل الحديبية وولي امرة البصرة ، ثم الكوفة ، مات سنة خمسين على الصحيح .
أسد الغابة ٤/ ٢٦٩ الاصابة ٣/ ٤٢٣ التقريب ٢/ ٢٦٩ .

(٣) ضبر : من ضبر الفرس اذا جمع قوائمه ووثب . أي وثب واشتد في الجري . الصحاح الصحاح للجوهري ٢/ ٧١٩ .

(٤) سيرة ابن هشام ٥/ ٥٣٩ - ٥٤٠ ، تاريخ الطبري ٣/ ٩٧ - ٩٩ .

(٥) زاد المعاد في هدى خير العباد .

كما يدل الحديث على مكانة الصديق رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يؤثرونه على أنفسهم ، فمن ذا الذى يؤثر غيره على نفسه في مثل هذا الموطن ، وهو تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم باستجابة دعوته : " اللهم أهد ثقيفا وائت بهم " وقد وم أعز العرب - بعد قريش وأكثرهم منعة ، فلولا أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون منزلة الصديق ومكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما آثروه على أنفسهم في كثير من الأمور وهذه الحادثة إحداها .

قال ابن كثير رحمه الله : " وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كانوا إذا أتوا رسول الله عليه وسلم خلفوا عثمان بن أبى العاص (١) في رحالهم ، فإذا رجعوا وسط النهار ، - جاء هو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن العلم ، واستقرأه القرآن ، - فان وجده نائما ذهب إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، فلم يزل دأبه حتى فقه في الاسلام ، وأحبه رسول الله حبا شديدا . " (٢)

ليت شعرى ، ماالذى جعل عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه - وهو قد دخل توًّا في الاسلام - يذهب الى الصديق رضي الله عنه ، ولم يذهب الى رجل آخر ؟ ولعله والله أعلم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره أن يذهب الى أبى بكر رضي الله عنه إن لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم أو وجده نائما ، أو أنه قد سأل - الصحابة عن أعلمهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدلوه على الصديق رضي الله عنه ، فكان يأتيه إن لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وجده نائما .

---

(١) عثمان بن أبى العاص الثقفى الطائفى ، أبو عبد الله ، صحابى مشهور ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف ، ومات في خلافة معاوية بالبصرة
أسد الغابة الاصابة التقريب ٢/ ١٠ .

قال ابن اسحاق : "فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم أمّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الاسلام ، وتعلم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم ، من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . " (١)

وهذا مايدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأخذ بأقوال الصديق رضي الله عنه في رأيه في المسلمين ، وهذه فضيلة عظيمة له رضي الله عنه .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٠ .

الصديق رضي الله عنه في غزوة تبوك (١)

وهذه الغزوة اختلفت عن غيرها من الغزوات ، وذلك لأنه قلّ مايخرج رسول الله صلى الله طيه وسلم في غزوة إلّا كنّى عنها ، الا ماكان من هذه الغزوة ، فانه بيّنها للناس ، لبعد الشقة وشدة الزمان حيث وآنت في زمان عسرة من الناس ، وشدة من الحرّ ، وجدب من البلاد بالإضافة الى كثرة العدو ، فبيّن صلى الله عليه وسلم وجهته للناس ليتأهبوا لذلك ، وحثهم صلى الله طيه وسلم على النفقة والحملان في سبيل الله . فكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه نصيب الأسد في تلك النفقات ، حتى انه ماتذكر هذه الغزوة الا ويذكر ذو النورين بصدقته الشهيرة ، وكان للصديق رضي الله عنه نصيبه أيضا ، والذى لا يقل موقفه عن موقف عثمان رضي الله عنه شهرة ، فإن كان عثمان أنفق جزءا من ماله - وإن كان كثيرا - فان الصديق رضي الله عنه أنفق كل ماله - أو بالأحرى كل مابقى من ماله - في هذه الغزوة ، حتى ليسأله الرسول صلى الله عليه وسلم ماابقيت لأهلك؟ فيجيبه : أبقيت لهم الله ورسوله . رضي الله عنه وأرضاه .

روى الترمذى رحمه الله قال : حدثنا هارون بن عبد الله البزار البغدادى (٢) ، - حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا هشام بن سعد (٣) ، عن زيد بن أسلم (٤)

---

(١) تبوك : مدينه من أعمال الشام ، وتبعد عن المدينة مقدار سبعمائه وخمسين كيلو مترا . والغزوة كانت سنة تسع .

(٢) هارون بن عبد الله بن مروان البغدادى ، أبو موسى الحمال بالمعطلة البزار ، ثقة من العاشرة . مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين . الجرح ٩/٩٢ ، التهذيب ١١/٨ التقريب ٢/٣١٢ .

(٣) هشام بن سعد المدنى أبو عباد ، أو أبو سعد القرشى مولاهم ، قال ابن حجر صدوق له أوهام ورمى بالتشيع وهو أثبت الناس في زيد بن أسلم ، قال العجلى : - جائز الحديث ، حسن الحديث ، وقال أبو زرعة : محله الصدق ، وضعفه جماعة وان اعتبر بما وافق الثقات فلاضير . أخرج له مسلم في الشواهد . التاريخ الكبير - ٨/٢٠ ، الجرح ٩/٦١ ، المجروحين ٣/٨٩ ، الضعفاء للنسائى ص ٣٠٦ ، ديوان الضعفاء ص ٣٢٤ ، الميزان ٤/٢٩٨ ، التهذيب ١١/٤٠ ، التقريب ٢/٣١٨ .

(٤) زيد بن أسلم العدوى ، مولى ابن عمر ، أبو عبد الله ، ويقال أبو أسامة المدنى تابعى ثقة ، عالم كان يرسل من الثالثة ، كان يهابه مالك مات سنة ست وثلاثين ومائة التاريخ الكبير ٣/٣٨٧ ، الجرح ٣/٥٥٥ ، الميزان ٢/٩٨ ، التهذيب ٣/٣٩٥ التقريب ١/٢٧٢ ، التحفة اللطيفة ٢/١٠٩ ، طبقات الحفاظ ص ٥٣ .

عن أبيه (١) قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق .

فوافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما ، فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أأبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله . وأتى أبو بكر بكل ماعنده ، فقال : ياأبا بكر ، ماأبقيت لأهلك ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : والله لا أسبقه إلى شئ أبدا . " (٢)

وهكذا كان الصديق رضي الله عنه دائما السباق الى كل خير ، وما استبق الصحابة في خير قط الا كان رضي الله عنه أسبقهم .

---

(١) هو أسلم العدوى مولى عمر ، أبو خالد ، ويقال أبو زيد ثقة مخضرم مات سنة ثمانين على خلاف . التاريخ الكبير ٢/٢٤ ، الجرح ٢/٣٠٦ ، التذكرة ١/١٣٢ التهذيب ١/٢٦٦ ، التقريب ١/٦٤ .

(٢) الحديث اسناده حسن ان شاء الله فهشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم وأما ارسال زيد فقد صرح المزى رحمه الله بأنه روى عن أبيه وعن ابن عمر تهذيب الكمال (ل ٥/٢٢٦أ) والتهذيب ٣/٣٩٥ ، وبذلك يسلم من الارسال .
والحديث أخرجه الترمذى في جامعه في أبواب المناقب باب مناقب الصديق رضي الله عنه ٥/٦١٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، تحفة الأحوذى ١٠/١٦١ وانظر ٤/٣١٠ ، ٣١٣ في التحفة كذلك ، وأبو داود ٢/١٢٩ ، وعون المعبود ٢/٥٤ ، بذل المجهود ٨/٢٢٦ من طريق عثمان بن أبى شيبة ، وأخرجه بن أبى شيبة في مصنفه ٢/٢/١٩٩ ، ابن ماجه ١/٣٦ ، الدارمى ١/٣٩١ من طريق الفضل ثنا هشام عن زيد عن أبيه قال : سمعت عمر فذكره .
صفة الصفوة ١/٢٤١ ، ونحوه أحمد في الفضائل رقم ٥٢٧ من طريق عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وهو ضعيف .

قال المباركفوري في قوله : " لا أسبقه الى شيء " أي من الفضائل ، لأنه اذا لم يقدر على مغالبته حين كثر ماله ، وقلة مال أبي بكر ، ففي غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه . " (١)

وقال السهانفوري رحمه الله : "وفي هذا الحديث تصريح بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل من أبي بكر التصدق بجميع ماله ، ولم ينكر عليه ، لعلمه بقوة صبره على المشاق وتوكله على الله . " (٢)

وهذه شهادة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذين كانوا يتنافسون في الخير - له بأنه أسبقهم إليه ، ومن قبل كانت شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بأنه مانفعه مال قط ، مانفعه مال الصديق رضي الله عنه وأرضاه .

وقد جاءت الشهادة على لسان الفاروق رضي الله عنه في عدة مواقف أن الصديق رضي الله عنه هو السباق . روى عبد الله بن الامام أحمد رحمهما الله تعالى قال : حدثني محمد بن عباد (٣) وعمرو بن محمد الناقد (٤) قالا : نا حاتم يعني ابن اسماعيل (٥) عن ابن عجلان (٦) ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ان عمر ذكر أبا بكر وهو على المنبر فقال : ان أبا بكر كان سابقا مبرزا " (٧)

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٠/ ١٦١ ، بذل المجهود للسهانفوري ٨/ ٢٢٧ .
(٢) بذل المجهود للسهانفوري ٨/ ٢٢٧ .
(٣) محمد بن عباد الزبرقان المكي ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال أحمد : حديثه حديث أهل الصدق وأرجو أن لا يكون به بأس . توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين . التاريخ الكبير ١/ ١٧٥ ، الجرح ٨/ ١٤ ، التهذيب ٩/ ٢٤٩ ، التقريب ٢/ ١٧٤
(٤) عمرو بن محمد بن بكير الناقد أبو عثمان البغدادي ، ثقة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . التاريخ الكبير ٦/ ٣٧٥ الجرح ٦/ ٢٦٢ ، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٥ ، - الميزان ٣/ ٢٨٧ ، الكاشف ٢/ ٣٤١ ، التهذيب ٨/ ٩٦ ، التقريب ٢/ ٧٨ .
(٥) حاتم بن اسماعيل المدني أبو اسماعيل الحارثي ، ثقة ، قال أحمد زعموا ان حاتما كان فيه غفلة الا أن كتابه صالح . توفي سنة سبع وثمانين ومائة على خلاف . ابن سعد ٥/ ٤٢٥ ، التاريخ الكبير ٣/ ١٧٧ ، الجرح ٣/ ٢٥٨ ، ثقات العجلي (ل ٥٠ ب) الميزان ١/ ٤٢٨ ، الكاشف ١/ ١٩١ ، العبر ١/ ٢٩٢ ، التهذيب ٢/ ١٢٨ ، - التحفة اللطيفة ١/ ٤٣٠ .
(٦) محمد بن عجلان المدني القرشي ثقة اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة ، فيؤخذ منها ماروى عن الثقات كما قال ابن حبان ويحيى القطان . مات سنة ثمان وأربعين ومائة التاريخ الكبير ١/ ١٩٦ ، الجرح ٨/ ٤٩ ، ترتيب ثقات العجلي (ل ٥٠ أ) ، - التذكرة ١/ ١٦٥ ، العبر ١/ ٢١١ ، الميزان ٣/ ٦٤٤ ، التهذيب ٩/ ٣٤١ ، - الشذرات ١/ ٢٢٤ .
(٧) الحديث اسناده صحيح ، أخرجه أحمد في الفضائل رقم ١٩٩ ، وابنه عبد الله بن الامام أحمد في زياداته في كتاب الزهد ص ١١١ .

روى الامام أحمد حديثا آخر في حادثة أخرى قال : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة (١) قال : جاء رجل الى عمر وهو بعرفة ، قال أبو معاوية وحدثنا الأعمش عن خيثمة (٢) عن قيس بن مروان (٣) أنه أتى عمر فقال : جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت فيها رجلا يملى المصاحف عن ظهر قلبه ، فغضب ، وانتفخ حتى كاد يملأ مابين شعبتي الرحل ، فقال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود فمازال يطفأ ويسرّى عنه حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ، ثم قال : ويحك والله ماأطعمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الأمر من أمر المسلمين ، وانه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه ، فاذا رجل قائم يصلي في المسجد ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع قراءته ، فلما كدنا أن نعرفه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . قال : ثم جلس الرجل يدعو ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : سل تعطه ، سل تعطه ، قال عمر : قلت : والله لأغدون إليه فلأبشرنه ، قال فغدوت لأبشره ، فوجدت

---

(١) علقمة هو ابن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة ، أبو شبل النخعي الكوفي تابعي ثقة فقيه عابد مات سنة ستين الى سبعين . التاريخ الكبير ٧/ ٤١ ، الجرح ٦/ ٤٠٤ ، ترتيب الثقات (ل ٢٣ب) التهذيب ٧/ ٢٧٧ ، التقريب ٢/ ٣١ .

(٢) خيثمة هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة ، يزيد بن مالك الجعفي الكوفي التابعي ثقة ، كان يرسل مات سنة ثمانين . ابن سعد ٦/ ٢٨٦ ، التاريخ الكبير ٣/ ٢١٦ الجرح ٣/ ٣٩٣ ، ترتيب ثقات العجلي (ل ١٥ ب) ، التهذيب ٣/ ١٧٨ ، التقريب ١/ ٢٣٠ .

(٣) قيس بن مروان أبي قيس الجعفي الكوفي ، صدوق من الثانية ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وذكر الخطيب أنه من المخضرمين . الكاشف ٢/ ٤٠٦ ، التقريب ٢/ ١٣٠ .

أبا بكر قد سبقني اليه فبشره ، ولا والله ماسبقته الى خير قط إلا وسبقني إليه . " (١)

وفي رواية أخرى : قلت : جئت لأبشرك بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد سبقك أبو بكر ، قلت : إن يفعل فانه سباق بالخيرات ، ماسبقنا خيرا قط إلا سبقنا إليها أبو بكر . " (٢)

والحديث فيه فضيلة أخرى وهي سمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي بكر يبحثان معا أمور المسلمين ، وماروى ذلك لأحد الا لأبي بكر رضي الله عنه ، وهذا يدل على مكانة الصديق رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو بمثابة الوزير الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تبيّن لنا من الأحاديث السابقة أنه المستشار الأول من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

واذا كان الصديق رضي الله عنه قد شاركه في سباق النفقة في غزوة تبوك صحابة كرام ، فإنه قد انفرد في سباق خير لوحده حيث لم يشاركه فيه غيره .

---

(١) الحديث حسن الاسناد ان شاء الله ، والحديث باسنادين حسنين جمعهما أبو معاوية . وأخرجه الأمام أحمد في المسند ١/ ٢٦ وفيه " قال معاوية " بدلا من " قال أبو معاوية " وهو خطأ وضبطها من المسند بتحقيق أحمد شاكر ١/ ٢٢٩ وفيه أيضا " الرجل " بدلا من " الرحل " بسكون الحاء المهملة ، وأخرجه أيضا في المسند ١/ ٣٨ من طريق آخر وتحقيق أحمد شاكر ١/ ٢٧٠ ، ومختصرا ق ١/ ٤٣٧ عن عبد الله بن مسعود ، ١/ ٤٠٠ ، ٤٤٥ ، ٤٥٤ ، والطبراني في الكبير ٩/ ٦٩ من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود نحوه وباسناد حسن والحاكم ٢/ ٣٣٣ من طريق القطيعي عن عبد الله وقال : هذا حديث صحيح الاسناد اذا سلم من الارسال ولم يخرجاه ، والطبراني ٩/ ٦٠ وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٢٧ كلاهما من طريق أبي اسحاق .

(٢) مسند أحمد ١/ ٣٨ ، وتحقيق أحمد شاكر ١/ ٢٧٠ وصححه ، لكن الحديث حسن الاسناد لأن فيه قيس بن مروان وهو صدوق ، وللحديث شواهد كثيرة عن ابن مسعود عند ابن ماجه ١/ ٤١ والمسند بتحقيق أحمد شاكر ٥/ ٢٤٢ ، ٣٠٤ ، ٦/ ٩٩ ، ١٢٨ ، ١٦١ .

روى الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، " من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال فمن تبع منكم جنازة ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة . " (١)

فهو السباق - رضي الله عنه - الى كل بر ، حتى في الأوقات التي لا يخطر ببال الانسان أن يكون هناك سباق فيها .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : " قال القاضي معناه : دخل الجنة بلا محاسبة ، ولا مجازاة على قبيح الأعمال ، والا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى . " (٢)

ونرجع الى غزوة تبوك بعدما شاهدنا سباق الصحابة رضوان الله عليهم في أعمال البر والتقوى ورأينا الصديق قد جاز قصب السبق فيها ، وهنا نرى مدى حبه وشفقته على إخوانه الصحابة عندما اشتد بهم العطش ، فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الله لاغاثتهم .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة وأعمال البر ٢/٧١٣ ، النووي ٧/١١٧ ، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤/١٨٥٧ ، النووي ١٥/١٥٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ص ١٨١ ، وفضائل الصحابة لأحمد رقم ١٠٧ عن منصور بن المعتمر بن عبد الله ، ومصنف عبد الرزاق ٣/٥٩٣ عن الشعبي وابن سيرين مرسلا .
وأخرج الامام أحمد حديثا من طريق سلمة بن وردان وهو ضعيف ٣/١١٨ وفيه أن عمر هو القائل بدلا من أبي بكر رضي الله عنهما ، والبزار كما في كشف الأستار ١/٤٨٩ كذلك من طريق سلمة ، وقال في مجمع الزوائد ٣/١٦٣ ، ورواه أحمد والبزار وفيه سلمة بن وردان وهو ضعيف ، وأحمد في الفضائل رقم ٦٦٠ عن عائشة وفيه مترو كان .

(٢) النووي على مسلم ١٥ / ١٥٦ .

قال الامام ابن جرير الطبري قال : حدثنا يونس (١) قال : أخبرنا ابن وهب (٢) أخبرني عمرو بن الحارث (٣) عن سعيد بن أبي هلال (٤) ، عن عتبة بن أبي عتبة (٥) عن نافع بن جبير "بن مطعم" (٦) عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : حدثنا عن شأن العسرة ، فقال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، حتى أن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى جعل الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل مابقي على كبده . فقال أبو بكر : يارسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا ، فادع لنا قال : أو تحب ذلك ، قال : نعم . فرفع يديه ، فلم يرجعها حتى قالت السماء فأطلت ثم سكبت ، فملأوا مامعهم ، ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت المعسكر . " (٧)

---

(١) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي ، أبو موسى المصري ، ثقة ، من صغار العاشرة ، مات سنة أربع وستين ومائتين ، التذكرة ٢/٥٢٧ ، التهذيب ١١/٤٤٠ التقريب ٢/٣٨٥ .

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبو محمد المصري ثقة حافظ فقيه متفق عليه ، توفي سنة سبع وتسعين ومائة . التاريخ الكبير ٥/٢١٨ ، الجرح ٥/١٨٩ ، ترتيب الثقات (ل ٣٥ب) ، الوفيات ٣/ ٣٦ ، العبر ١/ ٣٢٢ . الكاشف ٢/ ١٤١ ، الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٣٢ ، التهذيب ٦/ ٧١ ، طبقات الحفاظ ص ١٢٦ .

(٣) عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري ، أبو أيوب ثقة فقيه ، حافظ من السابعة ، مات قديما قبل الخمسين ومائة التقريب ٢/٦٧ .

(٤) سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم ، صدوق ووثقه الذهبي والعجلي ، مات بعد الثلاثين ومائة . الميزان ٢/١٦٢ ، التهذيب ٤/٩٤ ، التقريب ١/٣٠٧ .

(٥) عتبة بن مسلم التيمي المدني ، وهو ابن أبي عتبة التيمي مولاهم ، ثقة من السادسة . التهذيب ٧/١٠٢ ، التقريب ٢/ ٥ وانظر تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ١٤/٥٤٢ الحاشية .

(٦) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي أبو أحمد أبو عبد الله المدني ، ثقة فاضل من الثالثة مات سنة تسع وتسعين . ترتيب الثقات (ل ٥٦أ) التقريب ٢/٢٩٥ .

(٧) الحديث اسناده حسن .

وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤/ ٥٤١ ، ٥٤٢ ، وابن خزيمة ١/ ٥٢ ، والحاكم ١/ ١٥٩ ، وأشار ابن حجر إلى رواية ابن خزيمة في الفتح ٨/ ١١١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٨٦ وقال : وأخرجه ابن جرير وابن خزيمة والحاكم وابن حبان وقال ابن كثير في السيرة ٤/ ١١٦ إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

قلت وأخرجه ابن خزيمة والحاكم من طريق سعيد بن أبي هلال عن عتبة - وهو ابن أبي حكيم - عن نافع بن جبير ، وساق السند كما هو عند الطبري ، وهذا وهم ظاهر منه رحمه الله ، بل هو عتبة بن مسلم ، لأن عتبة ابن أبي حكيم لم يعرف له سماع عن نافع انظر ترجمته في تهذيب الكمال (٢/ ١٠٢٢) ، الميزان ٣/ ٢٨ ، التهذيب ٧/ ٩٤ ، - التقريب ٢/ ٤ ، فلم يثبت لابن أبي حكيم لقاء أو سماع ، بينما ثبت لعتبة بن مسلم سماع - كثير ، ويتعجب من الإمام الذهبي أيضا كيف وافق الحاكم على هذا الوهم ، فساق السند عن عتبة بن أبي حكيم ، ثم قال : الحديث على شرطهما ، وقد لفت الشيخ محمود شاكر رحمه الله إلى ماذكر بشأن عتبة فقال في تعليقه على تفسير الطبري ١٤/ ٥٤٢ : عتبة بن أبي عتبة هو : عتبة بن مسلم التيمي .

قلت : ولو سلمنا جدلا أن الراوي هو عتبة بن أبي حكيم ، فكيف يكون على شرطهما قال ابن حجر في التقريب ٢/ ٤ صدوق يخطئ كثيرا من السادسة ، أما ابن أبي عتبة ثقة ، فتخاير الحكمان .

وقد أورد شيخنا الأستاذ محمد الغزالي الحديث في فقه السيرة ص ٤٤٠ بتعليق الشيخ الألباني الذي قال في تعليقه : ذكره ابن كثير في التاريخ ٥/ ٩ من رواية عبد الله بن وهب بسنده إلى ابن عباس ثم قال : " أسناده جيد " وهو عندي غير جيد لأنه من رواية عتبة بن أبي عتبة ، وقد ذكره الحافظ في " اللسان " ٤/ ١٢٩ وذكر أن العقيلي أورده في الضعفاء " ثم ساق له حديثين ، ثم قال : " ولا يتابع على الحديثين جميعا . نعم قد أورد الحديث الهيثمي في المجمع ٦/ ١١٤ ثم قال . رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات ، فإذا صح هذا فالحديث حسن إن شاء الله أو صحيح . أ هـ . تعليق الألباني .

قلت : أولا : لم يذكر الحافظ في اللسان أن العقيلي أورده في الضعفاء كما زعم الألباني ، والذي قاله ابن حجر في اللسان ٤/ ١٢٩ "روى عن مالك بن الحسن وفي مالك نظر قاله العقيلي " ثم ساق له حديثين كما قال الألباني ثم قال : وعتبة هذا عندي هو الغفاري ولا يتابع على الحديثين جميعا . "

ثانيا : أن عتبة الذي ترجم له الألباني هو القزاز وهو غير عتبة بن مسلم - ابن أبي عتبة التميمي ، والقزاز منكر الحديث ولم يعرف له سماع من نافع بن جبير ، وعتبة بن أبي عتبه (مسلم) لم يرو عن مالك بن الحسن الذي قال فيه العقيلي "فيه نظر" والله أعلم .

وهذا هو الذى يظن في الصديق دائما أن يكون مصدر خير له ولغيره رضي الله عنه . فقال عندما رأى مالحق بالناس من شدة : " يارسول الله ، ان الله قد عودك في الدعاء خيرا ، فادع لنا " قال : أوتحب ذلك ، قال : نعم . "فبناء على رغبة الصديق رضي الله عنه والتى قد وافقت رغبة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المستجاب ، فأسقاهم الله ماء غدقا .

قال ابن اسحق : " وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى (١) أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر ، قال : فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين (٢) المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه ، وهو يقول : أدنيا إليّ أخاكما ، فدلياه إليه فلما هيأه لشقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال :ويقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة . " (٣)

---

(١) محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد التيمى ، أبو عبد الله المدنى ، ثقة له أفراد ، من الرابعة مات سنة عشرين ومائة على الصحيح ، لم يسمع من ابن مسعود روى له الجماعة المراسيل لابن أبى حاتم ص ٦٩ ، تهذيب الكمال ١١٥٦/٥ ، - التقريب ١٤٠/٢ .

(٢) ذو البجادين : هو عبد الله بن عبد فهم بن عفيف بن سحيم بن عدى بن ثعلبة بن سعد المزنى ، يقال اسمه عبد العزى فغيره النبى صلى الله عليه وسلم . الاصابة ٣٣٠/٢ ، تجريد أسماء الصحابة ٢٦٩/١ .
قال ابن هشام : وانما سمى ذا البجادين لأنه كان ينازع إلى الاسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويضيقونه عليه ، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره . والبجاد :- الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه ، شق بجاده باثنين ، فاتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البجادين لذلك . والبجاد أيضا المسح قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :
كأن أبانا في عرانين وبقة * * كبير أناس في بجاد مزمّل . انظر ابن هشام ٥٢٨/٢

(٣) الحديث منقطع لأن محمد بن ابراهيم التيمى لم يسمع من ابن مسعود وهو عنه مرسل قال الحافظ في الاصابة بعد ذكر هذا الحديث في وفاته : "رواه البغوى من هذا الوجه ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا . قلت : كل الطرق التى ذكرت وفاة ذى البجادين ضعيفة . انظر الفوائد لابن القيم ص٤٤ ، لكن لا بأس به في السيرة .

وهنا أيضا نرى أن الصديق رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دفن ذى البجادين ، فلا نكاد نجد حادثا إلا وكان للصديق رضي الله عنه يد فيه ، الا القليل جدا من حوادث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل خروجه الى الطائف للدعوة .

حج أبى بكر بالناس سنة تسع[1]

قال ابن اسحق : "ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان وشوال وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين .

وقال ابن اسحق : "وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيف (٢) ، عن أبى - جعفر محمد بن على (٣) رضوان الله عليه أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له يارسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ؟ فقال : "لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى"

رواه ابن هشام ٢/٥٢٧ - ٥٢٨ والسيوطى في الخصائص الكبرى ٢/١١١ ، البداية والنهاية ٥/١٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ٤/٣٢- ٣٣ زاد المعاد ٣/٦-٧ ، - الدرر لابن عبد البر ٢٥٨ ، دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٤٥٦ ، السيرة الحلبية ٣/٢٩٩ عيون الأثر لابن سيد الناس ٢/٢٢٢ ، والواقدى في المغازى ٣/١٠٠٩ - ١٠١٤ بسند فيه يونس بن محمد الكذوب .

(١) هذا ماجزم به البخارى انظر فتح البارى بشرح البخارى ٨/٨٢ ، وابن اسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢/٥٤٣ .

(٢) حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف بضم ففتح الأوسي الأنصارى صدوق من الخامسة وثقة ابن حبان والعجلى ، وقال الذهبى حسن الحديث . الكاشف ١/٢٤٨ ، - الميزان ١/٥٨٤ ، التهذيب ٢/٤٤٨ ، التقريب ١/١٩٤ .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب ، أبو جعفر الباقر ، ثقة فاضل من الرابعة ، مات سنة بضع عشرة ومائة روى عن أبيه وجده وجد أبيه على بن أبى طالب مرسل ، ولم يدرك ولا أبوه عليا . ابن سعد ٥/٣٢٠ ، التاريخ الكبير ١/١٨٣ التهذيب ٩/٣٥٠ ، التقريب ٢/١٩٢ .

ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له : أخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فهو له إلى مدته .

فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أم مأمور؟ فقال : بل مأمور .

ثم مضينا . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدته ، فهو له إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم . " (١)

---

(١) الحديث مرسل ، لأن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه سمع من جديه سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع من جد أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . قال ابن كثير : هذا مرسل من هذا الوجه السيرة النبوية ٤/٦٢ ، لكن له شواهد صحيحه كما في هامش رقم ١ من الصفحة ١٧٧ .

وروى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه : " أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمّره النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس ، لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان"

وفي رواية أخرى : " ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب - وأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة ، فأذن معنا على يوم النحر في أهل منى ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . " (١)

قال الحافظ : " قال الإمام الطحاوي في مشكل الآثار : هذا مشكل ، لأن الأخبار في هذه القصة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث أبا بكر رضي الله عنه بذلك ، ثم أتبعه عليا فأمره أن يؤذن ، فكيف يبعث أبو بكر أبا هريرة ومن معه بالتأذين مع صرف الأمر عنه في ذلك إلى علي ؟

ثم أجاب بما حاصله : " أن أبا بكر رضي الله عنه كان الأمير على الناس في تلك الحجّة بلا خلاف ، وكان علي رضي الله عنه هو المأمور بالتأذين بذلك ، وكان عليا لم يطق - التأذين بذلك وحده واحتاج إلى من يعينه على ذلك فأرسل معه أبو بكر رضي الله عنه أبا هريرة وغيره ليساعدوه على ذلك ، فالحاصل أن مباشرة أبي هريرة لذلك كانت بأمر أبي بكر ، وكان ينادي بما يلقيه إليه علي مما أمر بتبليغه . " (٢)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ٥/ ١١٥ - فتح ٨/ ٨٢ ، كتاب التفسير باب فسيحوا في الأرض ٥/ ٢٠٢ فتح ٨/ ٣١٧ ، وباب " وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ... الآية ٥/ ٢٠٢ فتح ٨/ ٣١٧ وباب الا الذين عاهدتم من المشركين ٥/ ٢٠٣ فتح ٨/ ٣٢٠ ، والترمذي عن ابن عباس ٥/ ٢٧٥ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وأحمد في المسند عن أبي بكر ١/ ٣ وعن علي ١/ ٧٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ والطبري في التفسير ١٤/ ١٠٦ وعن أبي هريرة في المسند لأحمد ٢/ ٢٩٩ وعن أنس عند الترمذي ٥/ ٢٧٥ وقال هذا - حديث حسن غريب من حديث أنس ، وفي المسند ٣/ ٢١٢ ، ٢٨٣ ، والطبري في التفسير ١٤ / ١٠٧ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٣١٨ بتصرف .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : أقبلنا مع أبي بكر حتى إذا كنا بالعرج (١) ثوّب أبو بكر بالصبح أي دعا إليه ، فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره ، فوقف عن التكبير ، وقال : هذه رغوة ناقة النبي صلى الله عليه وسلم الجدعاء ، لقد بدا - لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعله أن يكون رسول الله فنصلي معه . فإذا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أمير أم رسول ؟ - قال :لا ، بل رسول ، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم "ببراءة" أقرؤها على الناس في مواقف الحج .

فقدمنا مكة ، فلما كان قبل "التروية" بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم ، حتى إذا فرغ ، قام علي فقرأ على الناس "براءة" حتى ختمها ، ثم خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة ، قام أبو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم ، حتى إذا فرغ قام على فقرأ على الناس "براءة" حتى ختمها ، ثم كان يوم النحر ، فأفضنا ، فلما - رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضهم وعن نحرهم وعن مناسكهم ، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس "براءة" حتى ختمها . فلما كان يوم النفر الأول ، قام أبو بكر فخطب الناس ، فحدثهم كيف ينفرون ، وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم ، فلما فرغ - قام علي فقرأ على الناس "براءة" حتى ختمها . " (٢)

وهذه الأحاديث تدل على أن الصديق رضي الله عنه كان أمير الحج ، وأن عليا رضي الله عنه كان تحت إمرة الصديق في هذه الحجة - "بل مأمور" و"بل رسول" كما أخبر هو عن نفسه رضي الله عنه .

---

(١) العرج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف ، وقيل واد به . مراصد الاطلاع .

(٢) ذكرها الطنطاوي في كتابه الصديق ص ١٢٥ وذكر نحوها الطبري في التفسير عن علي ١٤/١١٣ ، وابن كثير في التفسير ٢/٣٣٤ ، سيرة ابن كثير ٤/٧٣ ، - وذكرها الحافظ في الفتح ٨/٣٢٠ وقال : "وصححه ابن خزيمة وابن حبان . "

كما يدل الحديث على أن الصديق كان أعلم الصحابة وأفقههم على الإطلاق ، ولذلك أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا على الناس ، يعلمهم مناسكهم ، وماكان يكون له ذلك الا وأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمه مناسك الحج ، ليعلمها للناس ، لأنه لا يعقل أن يرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على رأس الحجيج دون أن أن يعلمه مناسك الحج حيث أن الحج قد افترض قبل هذه الحجة .

روى الإمام أحمد رحمه الله قال : "حدثنا حماد بن سلمة ، عن سماك (١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة مع أبي بكر الى أهل مكة ، فلما بلغ ذا الحليفة بعث إليه فرده ، وقال : لا يذهب بها إلا رجل من أهل بيتي ، فبعث عليا . " (٢)

---

(١) سماك بن حرب بن أوس بن خالد أبو المغيرة الذهلي الكوفي صدوق الا في روايته عن عكرمة ففيها اضطراب مات سنة ثلاث وعشرين ومائه . الجرح ٤/٢٧٩ ، التهذيب ٤/٢٣٢ ، التقريب ١/٣٣٢ .

(٢) الحديث حسن وفيه غرابة وهو قوله : "بعث إليه فرده " لأن الصديق رضي الله عنه لم يرجع حتى أتم الحج ، إلا إن أريد أنه رده عن التبليغ بها وأسنده إلى علي . وأخرجه أحمد ٣/٢٨٣ ، ٢١٢ ، الترمذي ٥/٢٧٥ ، ٢٨٣ ، والنسائي في الخصائص ص ٢٠ من طريق حماد ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب من حديث أنس بن مالك ، وله شاهد من حديث أبي بكر ١/٣ ، والترمذي ٥/٢٧٦ عن علي واسناده صحيح ، ٥/٢٧٦ عن ابن عباس ، وأحمد في المسند ٢/٢٩٩ عن أبي هريرة وهي صحيحه ، مسند أبي بكر للمروزي ص ١٦٦ .
قال ابن كثير : " وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه رجع من فوره ، بل بعد قضائه المناسك التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء مبينا في الرواية الأخرى . التفسير ٢/٣٣٣ .

وطعن الشيعة في صديق الأمة وإمامته رضي الله عنه وأرضاه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أردفه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ليبلغ عنه - صلى الله عليه وسلم - مانزل من سورة براءة . " قال ابن المطهر الحلي :- ولما أنفذه بسورة براءة رده بعد ثلاثة أيام بوحي من الله فكيف يرضى العاقل إمامة من لا يرتضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من الله لأداء عشر آيات من براءة " (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " أما قول الرافضي أنه لما أنفذه ببراءة رده بعد ثلاثة أيام فهذا من الكذب الواضح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أبا بكر على الحج ذهب وأقام الحج في ذلك العام - عام تسع - ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى المناسك كلها وأنفذ في الحج ماأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن لايحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، فنادى بذلك من نادى من الصحابة بأمر أبي بكر ، وكان من جملتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه . (٢)

" وأبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يخرج بسورة براءة ثم عزل بعلي كما يوهم كلام الرافضي ، بل خرج أبو بكر نائبا عن النبي صلى الله عليه وسلم بإمارة الحج وهو أهل لهذه النيابة عنه صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، ونزلت سورة براءة بعد سفره فأردفه النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لسببين :-

أحدهما :- ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية : أن السورة فسخ لعهود سابقة مع المشركين ، وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ، ولا يفسخها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته ، فبعث عليا لأجل فسخ العهود التي كانت مع المشركين خاصة ، ولم يبعثه لشيء آخر .

الثاني :- ماذكره محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى وهو أن في السورة - ثناء من الله عز وجل على الصديق الأعظم رضوان الله عليه وهو قوله سبحانه وتعالى :" - إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا " (٣) فهذا ثناء خالد بخلود القرآن الحكيم ، وكون

---

(١) منهاج الكرامة ١/ ١٣٤ (٢) منهاج السنة ٣/ ١٢٣ .
(٣) سورة براءة بعض آية ٤٠ .

علي رضى الله عنه هو الذى حمل هذا الثناء الإلهي على الصديق رضي الله عنه إلى الحجيج في بيت الله الحرام والمشاعر العظام منقبة كبرى له ، وخزى أبدى لكل من ناقض ذلك باختزان الإحنة والغل لهذا الولى الكريم من أولياء الرحمن الرحيم (١)

ومما يدل على شنيع مايعتقدون - أى الرافضة - أنهم بعضهم يرضى بأن يرجع السنى - المجوسية أو اليهودية لو أن هذه الآية لم تكن من كلام الله عز وجل . " (٢)

الصديق ووفد بنى تميم

أخرج البخارى رحمه الله أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أمّر القعقاع بن معبد بن زرارة . فقال عمر : بل أمّر الأقرع بن حابس : قال أبو بكر : ماأردت إلا خلافى . قال عمر : ماأردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزل في ذلك " ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله . " حتى انقضت " . (٣) أى الآية .

وفي الرواية الأخرى " فأنزل الله " ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم " . . الآية قال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه . يعنى أبا بكر . "(٣)

---

(١) المنتقى للذهبى ص ٣١٢ ، ٣٤٠ الحاشية لمحب الدين الخطيب ، وأنظر الفصل لابن حزم ٤/ ١٤٦ .

(٢) المنتقى للذهبى ص ٣٣٩ - ٣٤٠ الحاشية لمحب الدين الخطيب .

(٣) صحيح البخارى كتاب المغازى باب قال ابن اسحاق غزوة عيينة بن حصن . . " ٥/ ١١٦ فتح ٨/ ٨٤ كتاب التفسير باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ٦/ ٤٦ فتح ٨/ ٥٩٠ باب ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ٦/ ٤٧ فتح ٨/ ٥٩٢ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب مايكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع ٨/ ١٤٥ فتح ١٣/ ٢٧٦ ، النسائى ٨/ ٢٢٦ ، تحفة الأحوذى شرح الترمذى ٩/ ١٥١ . والآيات هى أول سورة الحجرات رقم ١ ، ٢ .

ورب قائل يقول : هاتان آيتان ، وورد لكل واحدة منهما قصة تختلف عن الأخرى قلت : ان الذى يتعلق بقصة أبى بكر وعمر هي أول آية من سورة الحجرات : "ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله" قال الحافظ ابن حجر : "ولكن لما اتصل بها قوله "لا ترفعوا" تمسك منها عمر بخفض صوته (١) ، وأما قوله "لا ترفعوا أصواتكم - فوق صوت النبى" قيل في سببها أنها نزلت في وفد بنى تميم ، وقيل نزلت في ثابت بن قيس ، بالإضافة الى ماذكره أبو جعفر الطحاوى من أنها نزلت في الشيخين (٢) - ولا مانع أن تنزل الآية لعدة أسباب تتقدمها ، ولعل البخارى رحمه الله استشعر ذلك فذكر قصة ثابت بن قيس عقب قصة خلاف أبى بكر وعمر رضي الله عنهما في التأمير .

وقوله : "فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعنى أبا بكر" قال ابن حجر رحمه الله : "قلت : وقد أخرج ابن المنذر من طريق محمد بن عمرو بن علقمة أن أبا بكر الصديق قال مثل ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا مرسل ، وقد أخرجه الحاكم موصولا من حديث أبى هريرة نحوه ، وأخرجه ابن مردويه من طريق طارق بن شهاب عن أبى بكر قال : "لما نزلت لا ترفعوا أصواتكم الآية قال أبو بكر : قلت يارسول الله آليت أن لا أكلمك الا كأخى السرار ." (٣)

وماكان للصديق رضي الله عنه أن يقدم بين يدى الله ورسوله إلا لأنه يعلم أنه مسموح له ذلك ، ولكن لما حصل الخلاف بين الشيخين - وهما من هما من الصحابة - نزل قول الله لهما ولغيرهما من المسلمين تعليما وتأديبا .

---

(١) فتح البارى ٨/ ٥٩١ .
(٢) مشكل الآثار ١/ ١٤١ - ١٤٢ .
(٣) الفتح ٨/ ٥٩١ ، وانظر المطالب العالية ٤/ ٣٤ وقال الأعظمى في تحقيقه "قال البوصيرى : رواه الحارث بسند ضعيف لضعف حصين بن عمرو .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى (١) في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش (٢) بعدهم وموقف الصديق رضي الله عنه

ذكر ابن اسحق رحمه الله تعالى أن صرد بن عبد الله الأزدى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد من الأزد فأمرّه بالجهاد فحاصر جرش بمن فيها وقتل منهم قتلا شديدا . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذى كان عنده رجلان من جرش إذ قال : "بأى بلاد الله شَكَر ؟ فقام الجرشيان فقالا : يارسول الله ببلادنا جبل يقال له شَكَر ، وكذلك تسميه أهل جرش . فقال : إنه ليس بشكر ولكنه شكر . قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن .

قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان فقال لهما : يحكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينحى قومكما ، فقوما إليه فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : "اللهم ارفع عنهم" ، فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم جاؤوا بمن بقي منهم فأسلموا وحسن اسلامهم . (٣)

---

(١) صرد بن عبد الله الأزدى صحابى جليل أسلم في هذه الواقعة سنة عشر . الاستيعاب ١٩٦/٢ ، أسد الغابة ١٦/٣ ، الاصابة ١٧٩/٢ .

(٢) جرش بضم الجيم وفتح الراء وآخره شين معجمة ، موضع معروف باليمن ، سميت بجرش بن أسلم مشارق الأنوار ١٦٩/١ .

(٣) السيرة لابن هشام ٥٨٧/٢ ، وفي أسد الغابة "إلى أبى بكر وعثمان" ١٧/٣ .

بداية مرض الرسول صلى الله عليه وسلم واستخلاف أبى بكر رضي الله عنه للصلاة بالناس

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة من بقيع الغرقد بعد أن زار أهل البقيع واستغفر لهم ، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه ودخل على زوجه عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنهما فوجدها تشكو وجع رأسها فكان مارواه الامام البخارى رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " وأرأساه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك لو كان وأنا حي ، فأستغفر لك وأدعو لك . قالت : واثكلياه والله إنى لأظنك تحب موتى ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا وارأساه : ، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه وأعهد ، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يأبى الله ويدفع المؤمنون "(١) .

كان هذا هو بداية المرض الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيدل - الحديث على أن أول ماطرأ على خلد صلى الله عليه وسلم هو أن يعهد إلى أبى بكر رضي الله عنه ، خوف الفتنة على أمته " أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون " وذلك - لعلمه صلى الله عليه وسلم أن الفرقة والفتنة أكثر خطرا من الحدو الخارجى الذى يتربص بالمسلمين الدوائر ، فألمح صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عن عزمه لأن يستخلف الصديق رضي الله عنه .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المرضى باب مارخص للمريض أن يقول إنى وجع ، أو وارأساه أو اشتد بى الوجع ٨/٧ الفتح ١٢٣/١٠ ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف - ١٢٦/٨ ، الفتح ٢٠٥/١٣ .
والجزء الأول من الحديث رواه أيضا ابن اسحق كما في سيرة ابن هشام ٦٤٣/٢ ، الطبرى في التاريخ ١٨٨/٣ - ١٨٩ . والامام أحمد ٣٤/٦ ، ٢٢٨ ، الدارمى - ٣٩/١ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قوله " فأعهد " أى أعين القائم بالأمر بعدى " هذا الذى فهمه البخارى فترجم به ، وإن كان العهد أعم من ذلك ... ثم قال : فهذا يرشد الى أن المراد الخلافة . " (١)

وروى الإمام مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادعى لى أبا بكر وأخاك ، حتى أكتب كتابا ، فانى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر . " (٢)

وفى رواية الطيالسى في منحة المعبود : " ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر ، - أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه ماحييتم ، ثم قال : معاذ الله أن يختلف المؤمنون على أبى بكر . " (٣)

وهكذا نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أطلع نبيه بأن الأمة لن تختلف على أبى بكر ، وطمأنه بأن الصديق رضي الله عنه هو خليفته لا غير ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا ضرورة لكتابة ذلك الكتاب .

كما اتضح ماتقدم أن أحجام الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة العهد ، إنما - كان لثقته صلى الله عليه وسلم بأصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، بأن لهم من سداد الرأى وشدة الغيرة على صالح الأمة ، وتقدير الكفايات في المجربة ، مايكفل جمعهم

---

(١) فتح البارى ٣ / ٢٠٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبى بكر رضى الله عنه ٤/١٨٥٧ . وأخرجه الامام أحمد في المسند ٦/٣٤ ، ٤٧ ، ١٠٦ ، ١٤٤ ، وابن سعد في الطبقات ٣/١٨٠ ، وابن أبى عاصم في السنه ٢/٥٤٩ ، والطيالسى في منحة - المعبود ٢/١٦٨ ، فضائل الامام أحمد رقم ٢٠٥ ، ٢٢٧ والحسن بن عرفه في جزئه ٢/٢ ، والألبانى في الصحيحه ٢/٣١٠ تحت رقم ٩٦٠ .

(٣) منحة المعبود ٢/١٦٨ ، وأخرجه ابن سعد ٣/٨٠ .

على الرجل الذى ليس أجدر منه بقيادة الأمة من بعده . قال الدكتور البوطى في فقه السيرة : " وان هذا الحديث - ادعى لى أبا بكر وأخاك - ليعتبر بمثابة النص على استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له من بعده ، ولئن كانت الحكمة الالهية اقتضت أن لا يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه عهدا بذلك ، وأن لا يسجل لهم كتابا به ، فكل ذلك كى لا يصبح تراث الحكم والخلافة متبعة من بعده ، وفسي ذلك من مفسدة القضاء على اتباع شروط الصلاح في الحاكم ماهو غير خاف على أحد " (١)

على أنه صلى الله عليه وسلم لم يدع الأمر لاختيارهم المطلق ، بل أعانهم عليه بما يسد مسد الكتابة .

روى الامام البخارى رحمه الله تعالى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : " خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ذلك العبد ماعند الله . قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الاسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر . (٢)

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال : إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعنده - فاختار ماعنده ، فبكى أبو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له . وقال - الناس : انظروا الى هذا الشيخ ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ماعنده وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت -

---

(١) فقه السيرة د . محمد سعيد البوطى ص ٥١٤ .

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة باب سدوا الأبواب الا باب أبى بكر ٤/ ١٩٠ فتح ٧/ ١٢ .

ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ، الا خلة الاسلام ، لا يبقين في المسجد خوخه (١) الا خوخة أبي بكر . "

فكان أبو بكر رضي الله عنه أفهم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان - أعرفهم به ، وأقربهم إلى قلبه ، ولذلك فطن الى المعنى الذى أراده الرسول صلى - الله عليه وسلم .

---

(١) كتاب الصلاة باب الخوخه والممر في المسجد ١/١١٩ فتح ١/٥٥٨ ، ١/١٢٠ عن ابن عباس فتح ١/٥٥٨ ، كتاب فضائل الصحابة باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ٤/٢٥٣ فتح ٧/٢٢٧ .
مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر رضى الله عنه ٤/١٨٥٤ - نووى ١٥/١٥١ ، كذلك ٤/١٨٥٥ والترمذى ٥/٦٠٨ ، تحفة الأحوذى ١٠/١٣٧ الدارمى ١/٣٦ ، ابن سعد ٢/٢٢٨ ، ٢٣٠ ، المسند لأحمد ١/٢٧٠ كلهم عن أبي سعيد .
ورواه الامام أحمد في المسند ٥/٣٣٥ ، ٣٣٩ ، وأبو عبيد في غريب الحديث - ١/٦ عن سهل بن سعد والدارمى ١/٣٨ ، وابن اسحاق في سيرة ابن هشام - ٢/٦٤٩ ، والطبرى في التاريخ ٣/١٩٧ عن عائشة رضي الله عنها . والامام أحمد في المسند ٣/٤٧٨ ، ٤/٢١١ والترمذى ٥/٦٠٧ ، وابن السنى في عمل اليوم والليلة ص ١٥٤ ، فضائل الصحابة للامام أحمد رقم ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ من طريق ابن المعلى عن أبيه مرفوعا . والنسائى في الكبرى كما في تحفة الأشراف ٥/١٨٠ ، وابن سعد ٢/٢٢٧ من طريق جرير بن حازم ومصنف عبد الرزاق ٥/٤٣١ وتاريخ الطبرى ٣/١٩٠ ، ١٩٤ والدولابى في الكنى ١/٥٦ وفضائل الصحابة - للامام أحمد رقم ٢١ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنها .
أما جزء لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر " فبالاضافة الى المواطن التى ذكرت سابقا ففى صحيح البخارى ، فقد أخرجه أيضا في كتاب فضائل الصحابة باب سدوا الأبواب ٤/١٩١ فتح ٧/١٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما . ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه ٤/١٨٥٥ - ١٨٥٦ ، ومن جندب في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٧ الحميدى ١/٦٢ ، ابن ماجه ١/٣٦ ، ابن أبي عاصم في السنه ٢/٥٧٦ من طريق عبد الله بن مره عن أبي الأحوص ... ومسلم ٤/١٨٥٦ من طريق شعبة عن أبي اسحاق ومن ثلاث طرق أخرى كلها عن أبي الأحوص والامام أحمد في المسند ١/٤٣٧ ، ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، الترمذى ٥/٦٠٦ ، تحفة الأحوذى ١٠/١٣٧ وقال الترمذى - هذا حديث حسن صحيح . ومن طريق الثورى عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص ، - مصنف عبد الرزاق ٥/٤٣١ ، ١١/٢٢٨ والطيالسى كما في منحة المعبود ٢/٢٧٠ من طريق عبد الله بن أبي الهذيل بن أبي الهذيل عن أبي الأحوص ، وابن سعد ٣/١٧٦ من طريق عمرو بن مره ومن طريق شعبه عن أبي الأحوص ، ٣/٢٧٦ من طريق عبيد الله بن عمر ، والامام أحمد في الفضائل رقم ٦٩ ، ١٥٤ من طريقين عن أبي الأحوص ، ورقم ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٩٢

وقد دل الحديث على مكانة أبى بكر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو كان هناك خليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكان وزيره الأول ، وثانى اثنين معه فى الغار أبو بكر رضي الله عنه ، وكأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم يشير الى أصحابه بأن يكون أبو بكر هو الرجل الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذا خليلا : - منقبة عظيمة لأبى بكر لم يشاركه فيها أحد . " (١)

وقال الامام أبو الفداء ابن كثير رحمه الله : " وفي قوله عليه السلام "سدوا عنى كل خوخه " يعنى الأبواب الصغار الى المسجد غير خوخة أبى بكر ، إشارة إلى الخلافة ، أى ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين . " (٢)

وقال الحافظ ابن حجر : " قال الخطابى وابن بطال ، وغيرهما في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبى بكر ، وفيه إشارة قوية الى استحقاقه للخلافة ، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم في الوقت الذى أمرهم فيه أن - لا يؤمهم الا أبو بكر " .

= ١٩٣ ، ٦٥٨ ، ٦٧١ من طريق عبد الله بن مسعود ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، عن عائشة ، ٥٦٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما كذلك الصلوات الهامعه ص ١١ ، المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٤٣١ ، والنسائى كما في تحفة الأشراف ٢/ ٤٤٣ والطبرانى في الكبير ٢/ ١٨٠ .

(١) خوخه : بفتح الخائين : كوة بين دارين عليها باب يخترف بينهما أو بين بيتين - مشارق الأنوار ١/ ٢٤٧ ، وابن حجر في الفتح نحوه ٧/ ١٤ .

(١) فتح البارى ٧/ ١٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ٤٥٦ .

وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة ، والأمر بالسد كناية عن طلبهـــا كأنه قال : لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر ، فإنه لا حرج عليه في طلبها ، وإلى - هذا جنح ابن حبان ، فقال بعد أن أخرج هذا الحديث : في هذا دليل علـى أنه الخليفة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لأنه حسم بقوله : "سدوا عنى كل خوخه في المسجد" أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده . " (١)

قال النووىشتى : "وهذا الكلام كان في مرضه الذى توفي فيه في آخر خطبة خطبها ولا خفاء بأن ذلك تصريح بأن أبا بكر هو المستخلف بعده ، وهذه الكلمة إن أريد بهـا الحقيقة ، فذلك لأن أصحاب المنازل اللاصقة بالمسجد ، قد جعلوا من بيوتهم مخـترقا يمرون فيه إلى المسجد ، أو كوة ينظرون إليه منها ، فأمر بسد جملتها سوى خوخـــة أبى بكر تكريما له بذلك أولاً ، ثم تنبيها للناس في ضمن ذلك على أمر الخلافة ، حيـث جعله مستحقا لذلك دون الناس ، وان أريد به المجاز ، فهو كناية عن الخلافة ، وسد - أبواب المقالة دون النظر إليها ، والتطلع عليها . " (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم " ولكن أخوة الاسلام ومودته " أى حاصلة وفي روايـــة " أفضل " وفي رواية أخرى " ولكن خله الاسلام أفضل " قال ابن حجر رحمه الله : " وفيه أشكال فان الخلة أفضل من أخوة الإسلام لأنها تستلزم ذلك وزيادة ، فقيل ان - مودة الاسلام مع النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من مودته مع غيره ، وقيل أفضـــل بمعنى فاضل . ولا يحكر على ذلك اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة ، لأن رجحان أبى بكر عرف من غير ذلك ، وأخوة الاسلام ومودته متفاوته بين المسلمين في نصر الدين واعلاء كلمة الحق ، وتحصيل كثرة الثواب ، ولأبى بكر من ذلك أعظم وأكثر . والله أعلم "(٣)

---

(١) فتح البارى ٧/ ١٤ ، تحفة الأحوذى ١٠/ ١٦٣ .

(٢) الزجاجه ص ٢٤٠ .

(٣) فتح البارى ٧/ ١٣ .

صلاة أبى بكـــر بالناس

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس وهو مريض حتى ثقل بـــه المرض ، فلما استّعزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلى بالناس . وحتى لا يظن البعض أن الصديق رضي الله عنه لم يصل بالناس إلا فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الخلافة قبل هذا الوقت بكثير ، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بلا لا اذا حضرت الصلاة ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلـــى بالناس .

روى الا مام البخارى رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أناسا من بـــنى عمرو بن عوف كان بينهم شئ فخرج إليهم النبى صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه يصلح بينهم ، فحضرت الصلاة ، ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء بلال فأذن بلال بالصلاة ، ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى أبى بكر رضي الله عنه فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم حبس ، وقد حضرت الصلاة ، فهل لك أن تؤم الناس ؟ فقال : نعم إن شئت : فأقام الصلاة ، فتقدم أبو بكر ، ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، يمشى في الصفوف حتى قام في الصف الأول ، فأخذ الناس بالتصفيح حـــتى أكثروا ، وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يكاد يلتفت في الصلاة ، فالتفت فإذا هو بالنبى صلى الله عليه وسلم وراءه ، فأشار إليه بيده ، فأمره يصلى كما هو ، فرفع أبو بكر يـــده فحمد الله ، ثم رجع القهقرى وراءه ، حتى دخل في الصف ، فتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس ، فلما فرغ أقبل على الناس ، فقال : يا أيها الناس إذا نابكم شئ - في صلاتكم أخذتم بالتصفيح ، إنما التصفيح للنساء ، من نابه شئ في صلاته فليقـــل سبحان الله ، فإنه لا يسمعه أحد الا التفت .

يا أبا بكر ما منعك حين أشرت إليك لم تصل بالناس ؟ فقال : ماكان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . " (١)

وفي رواية الإمام أحمد في المسند " كان قتال بين بني عمرو بن عوف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم ، وقال بلال : إن حضرت الصلاة ولم آت ، فمر أبا بكر فليصل بالناس ، فلما أن حضرت الصلاة ، أقام بلال العصر وفي رواية أخرى " الصلاة " ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الحديث . " (٢)

وربما يطرأ على ذهن القارئ هذا السؤال : كيف نوفق بين رواية الصحيح من أن بلالا رضي الله عنه سأل أبا بكر رضي الله عنه " هل لك أن تؤم الناس " أو " أتصلي للناس فأقيم " (٣) وبين الروايات الأخر والتي تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر بلالا أن يأمر أبا بكر ليصل بالناس " إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس . "

والجواب على ذلك : " ان سؤال بلال أبا بكر رضي الله عنهما " هل لك أن تؤم الناس" أو " أتصلي للناس فأقيم " لا يخالف ماذكر من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال بذلك لأن سؤال بلال أبا بكر رضي الله عنهما يحمل على أنه استفهمه هل يبادر بالصلاة ـ أول الوقت أو ينتظر قليلا ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ورجح عند أبي بكر رضي الله عنه المبادرة لأنها فضيلة متحققة ، فلا تترك لفضيلة متوهمة . " (٤)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلح باب ماجاء في الاصلاح بين الناس ٣/ ١٦٥ فتح ٥/ ٢٩٧ كتاب الأذان باب من دخل ليؤم الناس فجاء الامام الأول ١/ ١٦٧ فتح ٢/ ١٦٧ ، ـ كتاب أبواب العمل في الصلاة ، باب مايجوز من التسبيح والحمد في الصلاة للرجال ٢/ ٥٩ ، فتح ٣/ ٧٥ ، باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر ينزل به ٢/ ٦٣ فتح ٣/ ٨٧ كتاب السهو باب الاشارة في الصلاة ٢/ ٦٨ فتح ٣/ ١٠٧ كتاب الأحكام ـ باب الامام يأتي قوما فيصلح بينهم ٨/ ١١٨ ، فتح ١٣/ ١٨٢ ، مسلم كتاب الصلاة ـ باب تقديم الجماعة من يصلي بهم اذا تأخر الامام ١/ ٣١٦ من طرق والنووي ٤/ ١٤٥ .

(٢) المسند للامام أحمد /

(٣) البخاري كتاب الأذان باب من دخل ليؤم الناس فجاء الامام الأول ١/ ١٦٧ ، فتح ٢/ ١٦٧ .

(٤) الفتح لابن حجر ٢/ ١٦٨ بتصرف .

فهذا الحديث يدل على فضيلة الصديق وفضله على جميع الصحابة لاستخلافه للصلاة بهم حال غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قبل مرضه الذى توفي فيه واستخلافه للصلاة بالناس طول مدة مرضه .

كما يدل الحديث على سعة علم الصديق وفقهه ، حيث لم يلتفت في صلاته الا بعد ان كثر التصفيح ، وهذا يدل على علمه بالنهى عن ذلك .

قال الحافظ " كما بين الحديث كرامة أخرى لأبى بكر رضي الله عنه وهي مخاطبته بالكنيه (١) كما يبين تواضع أبى بكر رضي الله عنه وهضمه لنفسه وذلك من استعماله خطاب الغيبة مكان الحضور ، إذ لم يقل : ماكان لى ، فعدل عنه إلى قوله : ماكان لابن أبى قحافة لأن العرب إذا عظمت الرجل ذكرته باسمه وكنيته أو لقبه ، وفي غير ذلك تنسبه إلى أبيه ولا تسميه . (٢)

ولما ثقل المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستطع الخروج إلى الصلاة أمر صحابته أن يؤمهم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم جميعا .

روى الإمام البخارى رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت : "لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه ، فحضرت الصلاة فأذن ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقيل له : إن أبا بكر رجل أسيف (٣) إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ، وأعاد ، فأعادوا له ، فأعاد الثالثة فقال : إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس .

---

(١) الفتح ٢/١٦٨ - ١٧٠ .

(٢) الفتح ١٣/١٨٣ بتصرف يسير .

(٣) أسيف : بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه - رقيق القلب ، فتح ٢/١٥٣ .

فخرج أبو بكر فصلى ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم من نفسه خفه ، فخرج يهادى (١) بين رجلين ، كأنى أنظر إلى رجليه يخطان الأرض من الوجع ، فأراد أبو بكر أن يتأخر ، فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم : أن مكانك ، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه .

فقيل للأعمش : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وأبو بكر يصلى بصلاته والناس يصلون بصلاة أبى بكر ؟ فقال برأسه : نعم .

ثم قال البخارى : رواه أبو داود عن شعبة بعضه . وزاد أبو معاوية : جلس عن يسار أبى بكر فكان أبو بكر يصلى قائما . " (٢)

---

(١) يهادى : بضم أوله وفتح الدال والتهادى التمايل في المشى البطئ ، سن شدة الضعف . فتح ٢/١٥٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأذان باب حد المريض أن يشهد الجماعة ١/١٦٢ فتح ٢/١٥١ ، باب أهل العلم والفضل أحق بالامامة ١/١٦٥ فتح ٢/١٦٤ ، - باب من قام الى جنب الامام لعلة ١/١٦٦ فتح ٢/١٦٦ ، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الامام الأول ١/١٦٧ فتح ٢/١٦٧ ، باب انما جعل الامام - ليؤتم به ١/١٦٨ فتح ٢/١٧٢ باب من أسمع الناس تكبير الامام في الصلاة ١/١٧٤ فتح ٢/٢٠٣ ، باب الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم ١/١٧٥ - فتح ٢/٢٠٤ ، كتاب الوضوء ، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة ١/٥٧ فتح ١/ كتاب الهبة : باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها ٣/١٤٣ ، فتح ٥/٢١٦ مختصرا . أما كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : "لقد كان في يوسف واخوته آيات السائلين " ٤/١٢٢ فتح ٦/٤١٧ ، وفي المغازى - باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته ٥/١٣٩ فتح ٨/١٤١ ، وفي الاعتصام بالكتاب والسنه : باب مايكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع ٨/١٤٥ فتح ١٣/٢٧٦ الجزء الأول فقط . وأخرجه مسلم كتاب الصلاة باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر ١/٣١٣ - ٣١٦ من طرق النووى ٤/١٤٠ ، النسائى ٢/٩٨ ، - الترمذى ٥/٥٧٥ ، الموطأ ١/١٧٠ ، ١٧١ مسند أحمد ١/٢٣١ ، ٣٥٦ ، - ابن سعد ٢/٢٢١ ، ابن ماجه ١/٣٩١ ، الطحاوى في مشكل الآثار ٢/٢٧ ، - وشرح معانى الآثار ١/٤٠٥ ، فضائل الصحابة لأحمد رقم ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ وفي - المسند ١/٢٠٩ والفسوى في تاريخه ١/٤٥٢ ، ٥٠٩ ، والبزار كما في كشف الأستار ٢/٢٢٣ والبيهقي ٣/٨١ .

قال الحافظ في الفتح في قوله : "فوجد النبى صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة" ظاهره أنه صلى الله عليه وسلم وجد ذلك في تلك الصلاة بعينها ، ويحتمل أن يكون ذلك بعد ذلك ، وأن يكون فيه حذف كما تقدم في قوله "فخرج أبو بكر" وأوضح منه رواية موسى بن أبى عائشة : " فصلى أبو بكر تلك الأيام ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد نفسه خفة " (١) كما في الرواية الآتية .

وأخرج البخارى رحمه الله هذه القصة بلفظ آخر فقال : عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : دخلت على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت : ألا تحدثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : بلى .

ثقل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : هم ينتظرونك . قال : ضعوا لى ماءً في المخضب (٢) قالت : ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله . فقال ضعوا لى ماءً في المخضب ، فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله . والناس عكوف فى المسجد ينتظرون النبى صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس . فأتاه الرسول ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس . فقال أبو بكر ـ وكان رجلا رقيقا ـ : ياعمر صل بالناس فقال له عمر : أنت أحق بذلك ، فصلى أبو بكر تلك الأيام ، ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم وجد نفسه خفة ، فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم بأن لا يتأخر ، قال : أجلساني إلى جنبه ، فأجلساه إلى جنب أبى بكر ، قال : فجعل أبو بكر يصلى وهو قائم بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم والناس بصلاة أبى بكر ، والنبى صلى الله عليه وسلم قاعدا .

---

(١) فتح البارى ٢/ ١٥٤ .

(٢) المخضب : بكسر الميم شبه المركن وهي اجانة تغسل فيها الثياب . النهاية ٢/ ٣٩ .

قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس ، فقلت له : ألا أعرض عليك ما حدثتنى عائشة عن مرض النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هات. فعرضت عليه حديثها ، فما أنكر منه شيئا غير أنه قال : أسمت لك الرجل الذى كان مع العباس ؟ قلت : لا . قال : هو علي . " (١)

وهكذا نرى أن الصديق رضي الله عنه أراد أن يصرف ذلك الأمر عنه فطلب من عمر رضي الله عنهما أن يصلى بالناس ، وكأن الصديق رضي الله تعالى عنه قد وافق رأيه رأى ابنته الصديق رضي الله عنها في صرف ذلك الأمر عنه أيضا ، بل هناك من الرواة من صرح بأن أبا بكر هو الذى أمر عائشة رضي الله عنهما أن تكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يصرف ذلك عنه .

قال ابن حجر رحمه الله : "ووقع في مرسل الحسن عند ابن أبى خيثمة أن أبا بكر أمر عائشة أن تكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يصرف ذلك عنه . وقال الحافظ أيضا " زاد حماد بن أبى سليمان عن ابراهيم في هذا الحديث أنا أبا بكر هو الذى أمر عائشة أن تشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يأمر عمر بالصلاة . قال وأخرجه الدورقي في مسنده . (٢)

وأما قول أبى بكر لعمر رضي الله عنهما : "يا عمر صل بالناس ، قال النووى رحمه الله : " فقاله للعذر المذكور وهو أنه رجل رقيق كثير الحزن والبكاء لا يملك عينيه وقد تأوله بعضهم على أنه قاله تواضعا ، والمختار ما ذكرناه . " وفيه فضيلة الصديق وترجيحه على جميع الصحابة وتفضيله وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)

---

(١) صحيح البخارى كتاب الأذان باب إنما جعل الامام ليؤتم به ١٦٨/١ فتح ١٧٢/٢ مسلم كتاب الصلاة باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر ٣١١/١ ، النووى ١٣٥/٤ المسند لأحمد ٥٢/٢ مثله ، ٢٢٨/٦ ، ٢٥١ ، البيهقى ٨٠/٣ مثله ، ٨١ ، - ٨٢ مختصرا ، خيثمة ص ١٣٧ وانظر هامش رقم ٣ من الصفحة السابقة .

(٢) فتح البارى ١٥٣/٢ بتصرف . وحماد بن أبى سليمان سلم الأشعرى مولاهم أبو اسماعيل الكوفي فقيه صدوق مات سنة عشرين ومائة . التقريب ١٩٧/١ .

(٣) النووى على مسلم ١٣٧/٤ بتصرف . وعنه في الفتح ١٥٤/٢ .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " ويحتمل أن يكون رضي الله عنه فهم من الإمامة الصغرى الإمامة العظمى وعلم مافي تحملها من الخطر ، وعلم قوة عمر على ذلك فاختاره . ويؤيده أنه عند البيعة أشار عليهم أن يبايعوه أو يبايعوا أبا عبيدة . والظاهر أنه لم يطلع على المراجعة المتقدمة ، وفهم من الأمر له بذلك ، تفويض الأمر له في ذلك سواء باشر بنفسه أو استخلف . " (١)

وكما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : فأرادت - أي عائشة رضي الله عنها - التوصل الى ذلك بكل طريق فلم يتم . (٢) وكان من تلك الطريق أن راجعته صلى الله عليه وسلم بنفسها ، وطلبت من حفصة أن تراجعه ، وماذاك إلا لحاجة في نفسها صرحت بها في حديثها رضي الله عنها .

روى الإمام البخاري رحمه الله عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : " ان - رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : " مروا أبا بكر يصلي بالناس " قالت عائشة قلت : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس - فقالت عائشة : فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس . ففعلت حفصة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كه ، إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت حفصة لعائشة ماكنت لأصيب منك خيرا . " (٣)

---

(١) الفتح ٢/١٥٤ .
(٢) فتح الباري ٢/١٥٣ .
(٣) صحيح البخاري كتاب الأذان ، باب أهل العلم أحق بالامامة ١/١٦٥ فتح ٢/١٦٤ وباب اذا بكى الامام في الصلاة ١/١٧٥ فتح ٢/٢٠٦ ، مسلم كتاب الاعتصام - بالكتاب والسنة ١/٣١٣ النووي ٤/١٤٠ بدون " ماكنت لأصيب .. الخ " الترمذي ٥/٦١٣ ، النسائي ٢/٩٩ ، ابن ماجه ١/٣٨٩ ابن سعد ٢/٢١٢ ، ٢١٧ - ١٧٩ ، وعبد الرزاق في مصنفه ٥/٤٣٢ ، تاريخ الطبري ٣/١٩٧ نحوه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " قوله صلى الله عليه وسلم " إنكن صواحب يوسف " صواحب جمع صاحبة ، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف -عليه السلام- في إظهار خلاف مافي الباطن . ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به - واحدة وهي عائشة رضي الله عنها فقط ، كما أن " صواحب " صيغة جمع والمراد - بها فقط . ووجه المشابهة بينهما في ذلك : أن زليخا استدعت النسوة ، وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ، ومرادها زيادة على ذلك ، وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف عليه السلام ويعذرنها في محبته ، وإن عائشة رضي الله عنها أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمح المأمومين القراءة لبكائه ، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به " (١)

وقد جاء تصريحها بذلك في الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله عنها قالت : " راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وماحملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر . " (٢)

---

(١) فتح الباري ٢/١٥٣ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ٥/١٤٠ فتح ٨/١٤٠ ، مسلم كتاب الصلاة باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر ١/٣١٣ النووي ٤/١٣٩ المسند لأحمد ٦/٣٤ ، ٢٢٩ ، مصنف عبد الرزاق ٥/٤٣٢ ، - سيرة ابن هشام ٢/٦٥٢ عن الزهري عن حمزة لكن قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢/١٦٦ : " وهذه الزيادة " وماحملني " إنما تحفظ من رواية الزهري عن عبيد الله عنها لا من رواية الزهري عن حمزة ، فضائل الصحابة لأحمد رقم ٥٤٣ ، ٥٨٩ .

هذا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذى توفى فيه ، روى الامام أحمد رحمه الله في المسند قال : حدثنى شبابه (١) ثنا شعبه عن سعد بن ابراهيم (٢) عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى مات فيه : مروا أبا بكر يصلى بالناس قالت عائشة : ان أبا بكر رجل أسيف فمتى يقوم مقامك تدركه الرقة . قال صلى الله عليه وسلم : انكن صواحب يوسف . مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فصلى أبو بكر ، وصلى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه قاعدا . " (٣)

---

(١) شبابة هو ابن سوار الفزارى أبو عمر المدائنى ثقة حافظ تركه أحمد بعد أن كتب عنه لأجل دعوته إلى الإرجاء ، ولكن قال أبو حاتم إنه رجع عنه ، مات سنة خمس وخمسين ومائتين على خلاف . الجرح ٤/ ٣٩٢ ، الميزان ٢/ ٢٦١ التهذيب ٤/ ٣٠٠ ، التقريب ١/ ٣٤٥ .

(٢) سعد بن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابو اسحق البغدادى ، ثقة ولى قضاء واسط وغيرها من القاسمة مات سنة احدى ومائتين . ابن سعد ٧/ ٣٤٣ ، جرح ٤/ ٧٩ ، تاريخ بغداد ٩/ ١٢٣ ، التهذيب ٣/ ٤٦٣ ، التقريب ١/ ٢٨٦ .

(٣) الحديث رجاله ثقات وهو صحيح إن شاء الله ، ومضى تخريجه عدا الجملة الأخيرة ص والجملة الأخيرة من الحديث لها متابعات أيضا والحديث أخرجه الامام أحمد في المسند ٦/ ١٥٩ ، وله متابع في المسند ٦/ ١٥٩ عن عائشة بلفظها : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر قاعدا في مرضه الذى مات فيه " ، والنسائى ٢/ ٧٩ والبيهقى ٣/ ٨٣ ، خيثمة ص ١٣٩ ، جامع الأصول ٨/ ٥٩٩ ، بلفظ آخر في المسند لأحمد : " أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف . " ٦/ ١٥٩ ، وبزيادة " خلفه " عند البيهقي ٣/ ٨٣ .

وفي رواية أخرى عند البيهقي كذلك ٣/ ٨١ وخيثمة ص ١٣٨ بلفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر ، قال ابن كثير في السيرة ٤/ ٤٦٤ : وهذا اسناد جيد ولم يخرجوه ، وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وأبو بكر يصلى بالناس فجلس الى جنبه وهو في بردة قد خالف بين طرفيها ، فصلى بصلاته . وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه كان يقول : آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم في ثوب واحد ملتحفا به خلف أبى بكر . قال ابن كثير في السيرة : " قلت : وهذا اسناد جيد على شرط الصحيح ولم يخرجوه ٤/ ٤٦٤ . وقال في ٤/ ٤٦٥ : " وهذا التقييد جيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه ، لكن روى البيهقي حديثا عن أنس رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبى بكر في ثوب واحد مخالفا بين طرفيه ، فلما أراد أن يقوم قال :

وهذا يدل على تعدد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم للصلاة ، فتارة يصلي قاعدا ، ويصلي الصديق رضي الله عنه بصلاته قائما ، ويصلي الناس بصلاة الصديق ، - وأخرى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف مع المسلمين خلف أبي بكر رضي الله عنه .

لكن لماذا امتنع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يستمر إماما في حديث صلح بني عمرو بن عوف بينما استمر رضي الله عنه في مرضه صلى الله عليه وسلم .

= : فلما أراد أن يقوم قال : ادع لي أسامة بن زيد ، فجاء فأسند ظهره إلى نحره ، فكانت آخر صلاة صلاها . قال البيهقي : ففي هذا دلالة أن - هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة ، لأنها آخر صلاة صلاها ، لما ثبت أنه توفي ضحى يوم الاثنين .

قال ابن كثير ٤/ ٤٦٥ : " وهذا الذي قاله البيهقي أخذه مسلما من مغازي موسى بن عقبة فإنه كذلك ذكر ، وكذا روى أبو الأسود عن عروة . وذلك ضعيف بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم ، كما تقدم تقييده في الرواية الأخرى ، - والحديث واحد فيحمل مطلقه على مقيده . قال : " ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة ، لأن تلك لم يصلها مع الجماعة بل في بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه . ودلل على مايقول بما رواه - البخاري رحمه الله عن صلاة الصديق رضي الله عنه بالمسلمين فجر يوم الاثنين حيث قد كشف ستر حجره عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم ابتسم يضحك ولما افتتن المسلمون فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم أشار اليهم بيده الشريفة أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر فتوفي من يومه ، سيأتي الحديث وتخريجه . قال ابن كثير في السيرة ٤/ ٤٦٦ : " فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثا . وعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر كما جاء مصرحا به في حديث عائشة المتقدم ، ويكون ذلك يوم الخميس وانقطع عنهم الجمعة والسبت والأحد وهذه ثلاثة أيام كوامل . بتصرف .

وأجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال : " والجواب هو الفرق بين المقامين فكأنما رضي الله عنه لما أمضى معظم صلاته في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الاستمرار فيها ، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه الركعة الثانية من الصبح ولما لم يمض منها الا اليسير كما في حديث صلح بني عمرو بن عوف ، لم يستمر ، وكذا حدث لعبد الرحمن بن عوف حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه الركعة الثانية من الصبح (١) ، فانه استمر في صلاته إماما لهذا المعنى .

كما أن أبا بكر رضي الله عنه فهم من إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأمر مجرد كرامة ، وطي غير جهة للزوم ، وكأن القرينة التي بينت لأبي بكر رضي الله عنه ذلك هي كونه صلى الله عليه وسلم شق الصفوف إلى أن انتهى اليه ، فكأنه فهم أن مراده أن يؤم الناس ، وأن أمره إياه بالاستمرار في الإمامة من باب الإكرام له ، - والتنويه بقدره ، فسلك هو طريق الأدب والتواضع ، ورجح ذلك عنده احتمال نزول الوحي في حال الصلاة لتغيير حكم من أحكامها . " (١)

روى الامام أبو داود السجستاني في السنن قال : حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي (٢) ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن اسحق قال حدثني الزهري ، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٣) عن أبيه (٤) عن عبد الله بن زمعه (٥) رضي الله عنه قال : " لما استخر رسول الله صلى الله عليه وسلم -

---

(١) صلاة عبد الرحمن بن عوف ذكرها الامام مسلم في كتاب الطهارة باب المسح على الناصية والعمامة ١/ ٢٣٠ النووي ٣/ ١٧١ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢/ ١٦٨ بتصرف .

(٣) عبد الله بن محمد النفيلي بنون وفاء مصغرا القضاعي ، أبو جعفر الحراني ، ثقة حافظ ، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين . الجرح ٥/ ١٥٩ ، التهذيب ٦/ ١٦ ، التقريب ١/ ٤٤٨ .

(٤) عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني ثقة من الخامسة ، مات في أول خلافة هشام . ترتيب ثقات العجلي (ل ٣٧ب) - التهذيب ٦/ ٣٨٧ ، التقريب ١/ ٥١٧ .

(٥) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي قيل اسمه محمد وقيل أبو بكر اسمه ، وكنيته أبو عبد الرحمن ثقة أحد الفقهاء السبعة مات سنة أربع وتسعين على خلاف ، الكنى للبخاري ص ٩ ، الجرح ٩/ ٣٣٦ ، ترتيب ثقات العجلي (ل ٦٣ أ) ، تهذيب الكمال (١٧/ل ٧٩٢ب) ، التهذيب ١٢/ ٣٠ ، التقريب ٢/ ٣٩٨ .

وأنا عنده في نفر من المسلمين ، دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلـــي بالناس ، فخرج عبد الله بن زمعة (١) ، فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائبـــا فقلت : ياعمر ، قم فصل بالناس ، فتقدم فكبر ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ـ وكان عمر رجلا مجهرا ـ قال : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، ـ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون ، فبعث إلى أبى بكر ، فجـــاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . " (٢) وزاد في رواية قال : "لمـا سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت عمر قال ابن زمعة : خرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرته ، ثم قال : لا ، لا، ليصل للناس ابن أبى قحافة . قال ذلـــك مغضبا (٣) .

قال ابن الأثير : قوله : يأبى الله ذلك والمسلمون " فيه نوع دلالة على خـــلافة أبى بكر رضي الله عنه لأن هذا القول يعلم منه : أن المراد به ليس نفى جواز الصـــلاة خلف عمر ، كيف وهي جائزة خلف غيره من آحاد المسلمين ممن هو دون عمر ، وإنما أراد ـ بالإمامة التى هي الخلافة والنيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك قال فيـــه يأبى الله ذلك والمسلمون " وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد بهذا القول : ان اللـــه

---

(١) عبد الله بن زمعه بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد القرشى ، صحابى مشهور استشهد يوم الدار مع عثمان سنة خمس وثلاثين . الاستيعاب ٢/٢٩٨ ، أسـد الغابة ٣/٢٤٥ ، الاصابة ٢/٣٠٣ ، التهذيب ٥/٢١٨ ، التقريب ١/٤١٦ .

(٢) الحديث اسناده صحيح وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب استخـــلاف أبى بكر ٢/٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ٨/٥٩٤ وأخرجه الامام أحمد في المسند ٤/٣٢٢ ، المصنف لعبد الرزاق نحوه ٥/٤٣٢ وفيه زيادة ملامة سيدنا عمر لعبد الله من زمعة رضي الله عنهما ، والبداية والنهايـــة ـ ٥/٣٣٢ ، والصلوات الهامعة ص ١٣ .

(٣) رواه أبو داود في السنن ، في السنة باب استخلاف أبى بكر ٢/٩٩ والحديث ـ صحيح ، وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ٨/٥٩٤ .

يأبى والمسلمون أن يتقدم في الصلاة أحد على جماعة فيهم أبو بكر ، حيث هو أكبر قدرا ، ومنزلة ، وعلما ، فإن التقدم عليه في مثل الصلاة التي هي أكبر أعمال الاسلام وأشرفها مما يأباه الله والمسلمون ، وهذا صريح في الدلالة ، والأول مفهوم من اللفظ.(١)

وهكذا نجد أن الصحابي عبد الله بن زمعة رضي الله عنه لما نظر فلم يجد أبا بكر في القوم اجتهد في أن أفضل القوم بعد الصديق الفاروق رضي الله عنهما ، وفي هذا دليل على أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا يجعلون الصديق رضي الله عنه هو المقدم في كل فضيلة وشأن ثم الفاروق رضي الله عنه .

ولكننا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أطلع رأسه من حجرته قائلا : " يأبى الله ذلك والمسلمون " يرددها وهو مغضب ، وكأنه صلى الله عليه وسلم يريد أنه لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره "

وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم - نظر نظرة بعيدة ، وهو : حتى لا يأتي قوم ويقولوا ليس لأبي بكر فضل في إمامة الناس بالصلاة ، فإن عمر أمّهم في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الصديق رضي الله عنه ، وهذا مما لا يجعل له ميزة أو فضيلة زائدة على أقرانه من الصحابة فقد اشترك معه فيها غيره ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسد هذا الباب في وجوه من يتحملون الآراء في عدم أحقية أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة وأن لغيره من الفضائل والمميزات أكثر مما له .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : " والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر الصديق رضي الله عنه إماما للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان - الاسلام العملية . قال الشيخ أبو الحسن الأشعري : وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الاسلام .

قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم ، ولما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فان كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فان كانوا في السنة سواء -

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٨/ ٥٦٥ .

فأكبرهم سنا ، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم مسلما . " * .

قلت - الكلام لابن كثير رحمه الله - : وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مماينبغي أن يكتب بماء الذهب ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضي الله عنه وأرضاه .

وصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه في بعض الصلوات ، كما قدمنا بذلك - الروايات الصحيحة ، لاينافي ماروى في الصحيح أن أبا بكر ، ائتم به عليه السلام ، - لأن ذلك في صلاة أخرى ، كمانص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل . " (١)

---

(١) سيرة النبوية لابن كثير ٤/٤٦٧ .

فصـــــــل

أبو بكر رضي الله عنه يؤم المسلمين فيرضى عنه الرسول صلى الله عليـــــه وسلم ويبتســـــم

كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها آخـــــر صلاة صلاها الصديق رضى الله عنه إماما في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يصلهـــــا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين لأنه كان ثقل به المرض ومنعه عن الحركة صلـى الله عليه وآله وسلم .

روى الإمام البخارى رحمه الله عن أنس رضى الله عنه أن المسلمين يناهم في صلاة الفجر من يوم الاثنين ، وأبو بكر يصلى لهم ، لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر إليهم ، وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكـــر على عقبية ليصل الصف ، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة فقال أنس : وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلـــــم فأشار إليهم بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى - الستر . " وفي الرواية الأخرى "فلم يقدر عليه حتى مات . " وفي غيرها : "فتوفي مـــــن يومه . " (١)

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصحابة قد اصطفت صفوفهم للصلاة خلـف من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون خليفة ، فإذا بالبشر والسرور والرضى يطفـح

---

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته ٥/ ١٤١ فتح - ٨/ ١٤٣ ، كتاب الأذان ، باب أهل العلم والفضل أحق بالامامة ١/ ١٦٥ فتح ٢/ ١٦٤ باب هل يلتفت لامر ينزل به ١/ ١٨٣ فتح ٢/ ٢٣٥ ، كتاب العمل في الصلاة باب مـن رجع القهقرى في صلاته ٢/ ٦٠ فتح ٣/ ٧٧ ، مسلم في كتاب الصلاة باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر ١/ ٣١٥ من طرف النووى ٤/ ١٤٢ ، النسائى ٤/ ٧ ، ابن ماجه ١/ ٥١٦ المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٤٣٣ ، مسند أحمد ٣/ ١١٠ ، ١١٦ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، - ٥/ ٥٠ ، ٣٦١ ، الحميدى ٢/ ٥٠١ ابن سعد ٢/ ٢١٧ وأبو عوانة ٢/ ١٢٥ من طـرق والدارمى ٢/ ٢٨٧ ، سيرة ابن هشام ٢/ ٦٥٢ ، صفة الصفة ١/ ٢٢١ نحوه .

على وجهه الكريم وكأنه ورقة مصحف رضا بما وفق الله الجماعة المسلمة إلى الصلاة خلف أبي بكر رضي الله عنه ، الذي أعده لهذه الخلافة منذ زمن . قال القسطلاني "ضاحكا فرحا باجتماعهم على الصلاة ، واتفاق كلمتهم ، واقامة شريعته . "وقال أيضا : "وفيه أن أبا بكر كان خليفة في الصلاة الى موته عليه الصلاة والسلام ، ولم يعزل كما زعمت الشيعة أنه عزل بخروجه عليه الصلاة والسلام وتقدمه وتخلف أبي بكر . " (١)

وروى الإمام عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله قال : حدثنا أبو معمر (٢) قثنا عبد الله بن جعفر (٣) قال حدثني مصعب بن محمد (٤) عن أبي سلمة (٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستورا ، أو فتح بابا في مرضه الذي مات فيه ، فرأى الناس خلف أبي بكر يصلون ، فسر بذلك وقال : الحمد لله انه لم يمت نبي حتى يؤمه رجل من أمته ثم يقول : أيها الناس من أصيب بمصيبة منكم من بعدي فليتخر عن مصيبته بي ، فانه ليس أحد يصاب من أمتي بعدي بمثل مصيبته بي صلى الله عليه وسلم . "(٦)

---

(١) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري / الامام القسطلاني ٢/٤٤

(٢) أبو معمر هو اسماعيل بن ابراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي القطيعي الهروي نزيل بغداد ثقة مأمون ثبت ، مات سنة ست وثلاثين ومائتين . ابن سعد ٧/٣٥٦ - التاريخ الكبير ١/٣٤٢ ، الجرح ٢/١٥٧ ، التهذيب ١/٢٧٣ ، التقريب ١/٦٥ .

(٣) عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم ، أبو جعفر المديني ، والد علي بن المديني ضعيف من الثامنة مات سنة ثمان وسبعين ومائة . التاريخ الكبير ٥/٦٢ ، - الجرح ٥/٢٢ ، المجروحين ٢/١٤ ، الميزان ٢/٤٠١ ، التهذيب ٥/١٧٤ ، - التقريب ١/٤٠٦ .

(٤) مصعب بن محمد بن شرحبيل العبدري المكي ، ثقة ، وقال الحافظ : لا بأس به التاريخ الكبير ٧/٣٥١ ، الجرح ٨/٣٠٤ ، الميزان ٤/١٢٢ ، التهذيب ١٠/١٦٤ التقريب ٢/٢٥٢ .

(٥) أبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري قيل اسمه عبد الله وقيل اسماعيل ، - تابعي ثقة امام توفي سنة أربع وتسعين ، ابن سعد ٥/١٥٥ ، التاريخ الكبير ٥/١٣٠ التهذيب ١٢/١١٥ ، والتقريب ٢/٤٣٥ .

(٦) الحديث سنده ضعيف لكنه يرتقي بالمتابعات والشواهد : تابعه أبو عبد العزيز موسى بن عبيدة الزهدي عند ابن ماجه ١/٥١٠ ، وأبو الفتح ابن أبي الفوارس في الجزء الأربعين من فوائده (ل ٦٥أ) من طريقه ، وموسى ابن عبيدة ضعيف ،لكن لا بأس به في المتابعات . وأخرجه الطبراني في الصغير (١/٢٢٠) ، وأخرجه ابن سعد من طريق الواقدي عن محمد بن ابراهيم ، ومن طريق أبي معشر نجيح عن محمد بن قيس مرسلا نحوه . ورواه البغوي في معجم الصحابة (ل ٣٥٧) والطبراني في الكبير ٧/١١٦ ذكر المصيبة فقط ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢١٨ باسناد حسن عن بريدة - .

لقد كشف الله لرسوله صلى الله عليه وسلم عن مدى تأثير ووقع نبأ وفاته صلى الله عليه وسلم على صحابته رضوان الله تعالى عليهم .

لقد أحس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدنيا أظلمت عندما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يطيقوا فراقه ، فقد ذكر صاحب تاريخ الخميس أن أبا بكر رضي الله عنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ائذن لى فأمرضك ، وأكون الذى يقوم عليك ، فقال : ياأبا بكر ان لم أحمل أزواجى وبناتى وأهل بيتى علاجى ازدادت مصيبتى عليهم عظما ، وقد رفع أجرك على الله . " (١) هكذا كان الصديق في حبه لرسول الله ، لا يستطيع البعد عنه يريد أن يمرضه ليكون بجانبه ، وقد وقع أجره على الله .

= ذكر المصيبة أيضا فقط ، وابن المبارك فى الزهد ص ٧٧ نسخه نعيم بن حماد ، وابن - عدى في الكامل والبيهقى في شعب الايمان ، والطبرانى عن باسط الجمحى ، كما ذكره السيوطى في الجامع الصغير ، وأدخله الألبانى في صحيح الجامع الصغير ٦/ ٢٧٨ .

(١) تاريخ الخميس ٢/ ١٦٢ .